حكايا الصوفية

قنوع

الطبيب الشيخ

محمد أبو اليسر عابدين

رحمه الله

دار البشائر

للطباعة والنشر والتوزيع

حكايا الصوفية

الطبيب الشيخ
محمد أبو اليسر عابدين
رحمه الله

دار البشائر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد كان القصص القُرآني ـ بما حواه من إخبار عن الأمم الغابرة، والأنبياء والرسل، ودعوتهم أقوامهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وبما ضُرب فيه للناس من كل مثل ـ أسلوباً ناجعاً في تثبيت إيمان المؤمنين، وتليين قلوبهم للحق، وحُجَّةً على إنكار الكافرين وجَحْد الجاحدين، قال تعالى: ﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبِّتُ به فؤادَك﴾ [هود: ١٢٠] كل ذلك كان في تعبيرٍ مشرق، وكلمات عذاب، وبيانٍ معُجز، يأخذُ بالألباب.

ولما كان القرآن خيرَ مثالٍ يحتذى في القصص ﴿نحن نقصُّ عليك أحسنَ القصص﴾ [يوسف: ٣]، وكان ترخيصُ الرسول ﷺ للصحابة بالتحديث بقوله: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار»[1] فقد عُني المسلمون بالقصص، وصاروا يروونه ويتحدثون به، وينقلهُ عنهم التابعون ومَنْ بعدَهم، حتى عُرف نفرٌ من الصحابة بالقصص، كسليمان بن عتر التُّجِيبي في مصر (ت٣٨هـ)، والأسود بن سريع في

---

(١) أخرجه البخاري ٦/ ٣٦١ الأنبياء باب ماذكر عن بني إسرائيل، والترمذي رقم ٢٦٧١ في العلم باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل.

البصرة (ت٤٢هـ)، وزيد بن صوحان في الكوفة (ت٣٦هـ)، ويقال: إنّ أوّل من قصّ في عصر الصحابة تميمٌ الداريّ، استأذن عمر بن الخطاب في أن يقصّ قائماً، فرخّص له عمرُ رضي الله عنه في ذلك، فكان يعظُ الناس ويذكرهم بما يرويه لهم[1]. وممن عُرف من التابعين بالقصص عُبيد بن عمير في مكة (ت٧٤هـ)[2]، ومسلم بن جندب في المدينة (ت١٠٦هـ)، والحسن البصري (ت١١٠هـ)، ومطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير بالبصرة (ت٨٦هـ)، ووهب بن منبه (ت١١٤هـ)، وكعب الأحبار (ت٣٢هـ) وغيرهم، ودرج على ذلك من جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم زمنِ خلفاء بني أمية وبني العباس، ثم دُوِّنت هذه القصص في كتب التفسير والتاريخ والتراجم.

ومع توالي الأيام وكرِّ السنين نشأ قصص من نوع آخر، وهو مما كان يجري من حوادث نادرة مع كبار الأولياء والصالحين، والعلماء المخلصين، ممن نذروا الله نفوسَهم وأنهكوا في سبيله مُهَجَهم وأجسادَهم، فجرَتِ الحكمةُ على ألسنتهم، فتتبّع الناسُ سيرهم وأخبارهم، وتأثروا بسلوكهم وأحوالهم، ودوّنتْها كتبُ الصوفية في التراجم والطبقات.

وكان الهدف من تسجيل هذه القصص وروايتها هو تذكير الإنسان المسلم بربِّه، وانتشالَه من المهالك والموبقات، وتقويمَ سلوكِه في الحياة، وترقيتَه ورفعَه إلى أعلى عليين، لعل هذه القصص تصادف قلباً نائماً فتوقظَه، أو ضالاً حائراً فتهديَه، أو عاصياً فتردعَهُ وتردَّه إلى جادَّة الحق، قال تعالى: ﴿فاقصصِ القَصَصَ لعلَّهم

(١) انظر مسند أحمد ٣/ ٤٤٩.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٨٢.

يتفكرون﴾ [الأعراف: ١٧٦].

من هذا التصور للقصص انطلق الشيخ الطبيب أبو اليسر عابدين رحمه الله وطيب ثراه فنسج على هذا المنوال، وأدلى بدلوه بين الدلاء، فاختار من كتب التفسير والتاريخ والتراجم والطبقات أحاديث وأخباراً تروِّحُ النفوس وتُؤنسها بأخبار هذه الطبقات العليَّة من عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين، المتمسِّكين بشرع الله، وسنة رسوله ﷺ.

وقد تنوَّعت هذه الحكايا بتنوع أصحابها، وتفاوتتْ درجات إفادتها بتفاوت مصادرها وتعدُّدها.

فما كان منها مأخوذاً من كتاب الله تعالى فهو أعلاها قلباً وقالباً وكيف لا يكون ذلك والله سبحانه يصفُ القصص التي حواها القرآن الكريم بقوله: ﴿نحن نقصُّ عليك أحسن القصص﴾ [يوسف: ٣].

وكذلك القصص الثابتة عن النبي ﷺ وبقية إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لها المرتبة العالية والمقام الرفيع. يليها قصص الصحابة والتابعين، والأولياء والصالحين، عليهم رضوان الله وسلامه أجمعين.

وما جاء من حكايا الصالحين مخالفاً لظاهر الشرع وتعاليمه فرأي المؤلف فيه واضح وصريح، ومنهجه فيه صحيح، قد بيَّنه في فتواه لأحد سائليه عن هذا الأمر فقال: «إن السادة الصوفية أربابَ الأحوال المرضية يقولون على حَسَب واردهم بمُوهم الأقوال، فما وافق الشريعةَ أُخذ، وما خالفها رُدَّ ونُبذ، لضعف إرادتهم،

ولأنهم متَّبعون لا مُشَرِّعون»[1] . وقد قال اليافعي - رحمه الله - في كتابه «روض الرياحين» في الحديث عن حكايات أهل التصوُّف : وليس يترتَّب على هذه الحكايات شيءٌ من الأحكام الشرعية ، بل هي مُجرَّد حكايات وعظيَّة[2] .

وخلاصة القول في ذلك ما قاله الجنيد سيِّد هذه الطائفة وزعيمُها : «علْمنا مضبوطٌ بالكتاب والسُّنَّة . من لم يحفظ الكتاب ، ويكتب الحديث ، ولم يتفقَّه ، لا يُقْتدى به»[3] .

وسئل الجنيد : ما للمريد في مجازات الحكايات؟ فقال : الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوِّي بها قلوب المريدين . قيل له : فهل في ذلك شاهد؟ **قال : قوله** عز وجل : ﴿وكلاًّ نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبِّتُ به فؤادك﴾ [هود : ١٢٠][4]

وذكر الشيخ في باب «حسن الظن بكرامات الأولياء» قصة فى تفسير كلام الأولياء يمكن أن تُفسِّر كثيراً من حكايات وأقوال هذه الطائفة التى يراها بعضهم مخالفة لظاهر الشرع وأحكامه[5] .

ومن أهم صفات الأولياء التى ذكرها الشيخ أبو اليسر في هذا الكتاب ، أنهم يكرهون الشهرة ، ويحبُّون خمولَ الذكر ، ويخفون كراماتهم ولا يظهرونها إلا

---

(١) هذه الفتوى صادرة عن المفتي العام للإقليم السوري (المؤلف) في دمشق بتاريخ ٢١/ ١/ ١٣٧٩هـ - الموافق ٢٧/ ٧/ ١٩٥٩م .

(٢) انظر «روض الرياحين» ٧ - ٨ بتصرُّف .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٧) .

(٤) المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير (ترجمة الجنيد) .

(٥) انظر ص١٢٣ من هذا الكتاب .

للضرورة. ونقل قول الشيخ أبي عبد الله القرشي عندما سُئل عن الكرامة فقال: «من لم يكن كارهاً لظهور الآيات، وخوارق العادات منه، كراهية الخَلْق لظهور المعاصي، فهي حجابٌ في حقِّه، وستْرُها عنه رحمة».

ومن صفات القوم أيضاً خوفُهم أن يكونوا مُسْتَدرَجين بهذه الكرامات.

لقد حوى هذا الكتاب من خلال حكاياته جميعَ معاني التصوف التي ذكرها الجنيد[1] من زهدٍ في الدنيا، وتوكُّلٍ على الله، ورغبةٍ في الطاعات، وصبرٍ على الحرمان، .... وغير ذلك من المعاني السامية، والأخلاق النبيلة التي عبَّر عنها الجُنيد بقوله: التصوُّف: الخروج عن كلِّ خُلُق دني، والدخول في كلِّ خُلُق سني.

فالصوفي كما عرَّفه الشبلي هو «مَن صفا قلبه فصفا، وسلك طريق المصطفى، ﷺ، ورمى الدنيا خلف القفا، وأذاق الهوى طعم الجَفَا»[2].

وقال فيه أيضاً: «مَنْ صفا من الكدَر، وخلص من العكَر، وامتلأ من الفكَر، وتساوى عنده الذهب والمَدر»[2].

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٢٢.

(٢) حلية الأولياء: ١/ ٢٣.

عملنا في الكتاب:

وبعد، فهذا كتاب «قصص الصالحين» أخي القارئ، خلَّفه المؤلف من جملة ماخلَّف من كتبٍ ورسائلَ عديدة، عاش حياتَهُ دائباً في جمعها وتنسيقها وتبويبها، إذْ كان رحمه الله ـ في أوقات فراغه ـ لا ينفكُّ بين كتابٍ وقلم، لايفوتُه خبرٌ يسمعهُ أو حديثٌ يقرؤه، أو طُرْفة تُنقل إليه، إلا ولها في مؤلفاته حيِّزٌ ونصيب، ومن يدري لعل الكتب التي تركها رحمه الله لم تبلغْ عنده الغاية التي يرجوها لها من الكمال، إذ كانت خاضعةً مدَّةَ حياته للتغيير والتبديل، أو التشذيب والتبويب.

ولما عُهد إلينا الاضطلاع بهذا الكتاب والنهوض به وتقديمه إلى القراء ـ إذ كان على أوراق وقصاصات متفرقة، لايجمعها باب أو فصل ـ قمنا بإعداده على مراحل، نجملها فيما يلي:

١ ـ قابلنا الأخبار الواردة فيه على الأصول التي نقل عنها المؤلف مااستطعنا إلى ذلك سبيلاً، وقمنا بما يستتبعُ ذلك من تقويم النصوص.

٢ ـ وضَعْنا لكلِّ خبر عنواناً جانبياً يُنبئ عن مضمونه.

٣ ـ فرزْنا القصص المتشابهة المضمون وسلكْناها في أبواب.

٤ ـ عنْونَّا الأبواب ونسَّقناها بشكلٍ يتناسبُ مع مفهوم السلوك عند المتصوفة، مبتدئين بمعرفة الله تعالى والعلم، ومنتهين بأهوال يوم القيامة.

٥ ـ ضبَطْنا من الكلام مايحتاجُ إلى ضبط مراعين في ذلك علامات الترقيم والتفصيل المناسب.

٦ ـ ما كان من آيات حصرَنْاه بأقواس مزهَّرة ﴿. . .﴾ وما عزي إلى رسول الله ﷺ من قول حصرناه بتنصيص «. . .».

٧ ـ صنعنا فهرساً مفصلاً لأبواب الكتاب وعنواناته.

نسأل المولى سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب كل قارئ، وأن يتغمَّد مؤلفه وجامعه برحمته الواسعة، وأن يتقبَّلَ عملنا فيه، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مأمون محمد سعيد الصاغرجي   عدنان عبد ربه   محمد أديب الجادر

دمشق في ٢٠ ذي القعدة ١٤١٣ هـ

١١ أيار ١٩٩٣م

معرفة الله تعالى

في الحديث : «لو عرفتمُ الله حقَّ معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال».

* * *

دعوة عيسى للعابد:

حكي أن عيسى عليه السلام اجتاز جبلاً فيه عابد يعبد الله عند عين من ماء لطهارته وشربه، وبستان ينبت له الهندباء لقوته. فسلَّم عليه المسيح عليه السلام فردَّ السلام عليه. فقال له عليه السلام: منذ كم أنت ههنا تعبد الله؟ قال: منذ ثمانين سنة أسأل حاجة من الله فلم يقضها لي. فقال عيسى عليه السلام: وماهي؟ قال: أن يسكن قلبي ذرَّةٌ من معرفته ومحبته فلا يفعل، وأنت نبيُّه فسل لي هذه الحاجة. فتوضأ عيسى عليه السلام من العين وصلى ركعتين وسأل حاجته ثم مضى، وبقي مابقي في سفره، فلما رجع إلى ذلك المكان رآه خالياً والعين غائرة والبستان خراب فقال: يارب سألتك له المعرفة والمحبة فقبضت روحه! فأوحى الله إليه: ياعيسى ! أما علمت أن خراب الدنيا في محبتي ومعرفتي، ومن عرفني وأحبني لايسكن إلا إليّ ولايقرّ قراراً، فإن أحببت أن تراه فأشرفْ عليه في هذا الوادي. فأشرف عليه، فإذا هو جالس قد ذهلَ وتحيَّر وخرج لسانُه على صدره شاخصاً ببصره نحو السماء. فناداه عيسى عليه السلام والعابد لايسمع نداءه، وحرَّكه فلم يشعر، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: فوعزَّتي وجلالي لو قطعته بالسيف ماشعر به؛ لأني أسكنتُ قلبه معرفتي ومحبتي وهو أقل من ذرَّة، ولو زدته أدنى شيء لطار بين السماء والأرض وطاش.

يهودي يسأل أبا بكر وعليٌ يجيبه:

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أقبل يهودي بعد وفاة الرسول ﷺ حتى دخل المسجد قال: أين وصيُّ محمد؟ فأشار القومُ إلى أبي بكر رضي الله عنه. فقال: أسألك عن أشياء لايعلمها إلا نبيٌّ أو وصيّ. فقال أبو بكر: سَلْ عمَّا بدا لك. فقال اليهودي: أخبرني عمَّا لايعلمُ الله، وعما ليس لله، وعما ليس عند الله. فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة وهمَّ هو والمصلُّون به، فقال ابن عباس رضي الله عنه: ماأنصفتم الرجل، إن كان عندكم جوابُه وإلا فاذهبوا به إلى من يُجيبه، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لعلي رضي الله عنه: «أيَّد الله قلبه وثبَّت لسانه» فقام أبو بكر ومن حضر حتى أتوا علياً فأفادوا له ذلك. فقال: نعم! مالا يعلمه الله هو الشريك. قال تعالى: ﴿أتُنبِّئون الله بمَا لا يعلمُ في السَّموات ولا في الأَرض﴾ [يونس: ١٨]. وأما ماليس لله، فليس له ولد قال تعالى: ﴿وقالت اليهودُ عَزيرٌ ابنُ اللهِ وقالتِ النَّصارى المسيحُ ابنُ اللهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. وأمّا ما ليس عند الله فالظلم. قال تعالى: ﴿ولا يظلمُ ربُّك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩].

* * *

عليٌ ومعرفته الله تعالى:

قيل لعلي رضي الله عنه: عرفتَ الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله؟ فقال علي رضي الله عنه: لو عرفتُ الله بمحمد ماعبدتُه، ولو عرفت محمداً بالله مااحتجتُ إلى رسول. ولكن عرَّفني به بنفسه بلا كيف.

وقيل: ياأمير المؤمنين تعبد من ترى أو من لا ترى؟ فقال أعبد من أرى، لارؤية الخيال ولكن رؤية القلب.

تفسير الرؤيا لشمس الدين التبريزي

* * *

نكران الجن عند المعتزلة ومحاورة بين الغزالي والزمخشري :

حُكي أن الإمام الغزالي محيي السنة كان مفتي الثقلين فسأل الجنَّ يوماً عن الحوادث قالوا : إن الإمام الزمخشري صنف كتاباً في التفسير وبلغ إلى النصف . فطلب منهم أن يأتوا به ، فأتوا به . فكتب جميع ماألفه ، ثم وضعوا النسخة في مكانها . فلما جاء الإمام الزمخشري إليه أراه إياه ، فتعجب الزمخشري وتحيَّر وقال : إنْ قلت : هو لي وأنا خبأته وماطلع عليه أحد غيري فمن أين جاء هذا؟ وإن هو لغيري فالتوارد في اللفظ والمعنى والوضع والترتيب في هذا القدر من الكتاب لايقبله العقل . قال الإمام الغزالي : هو لك وقد وصل إلينا من أيدي الجن .

وكان الزمخشري يُنكر الجن ، فاعترف في مجلسه .

ولايلزم من هذا علم الجن بالغيب قال تعالى : ﴿تبيَّنَتِ الجنُّ أن لو كانوا يَعْلَمونَ الغيبَ مالبثوا في العَذَابِ المُهينِ﴾ [سبأ : ١٤] .

قلت : وقد طال الجدال والخصام في زمنهما بينهما لأن الإمام الغزالي كان شافعياً سلفياً وليّاً ، وكان الزمخشري معتزلياً ذا بدع كثيرة . ومناظرتهما في قوله تعالى : ﴿الرَّحمنُ على العرشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] شهيرة . فقد سأله الزمخشري عنها فأجابه الغزالي بقوله : إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك؟ ثم جعل يقول :

قُلْ لمن يفهمُ عني ما أقولْ ... قصِّر القول فذا شرحٌ يطولْ
ثَمَّ سِرٌّ غامض من دونه ... قصَّرت والله أعناق الفحولْ
أنت لاتعرف إيَّاك ولا ... تدري من أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكِّبَتْ ... فيك حارَتْ في خفاياها العقولْ
أين فيك الروحُ في جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجولْ
وكذا الأنفاس ُهل تحصُرها ... لا ولا تدري متى عنك تزولْ

أيـن منك العقلُ والفهمُ إذا ... غلب النومُ فقُل لي ياجهولْ
أنت أكلُ الخبزِ لاتعرفُهُ ... كيف يجري فيك أم كيف تبولْ
فإذا كانت طواياك التي ... بين جنبيك كذا فيها ضَلُولْ
كيف تدري مَنْ على العرش اسْتَوى ... لا تقلْ كيف استوى كيف النزولْ
كيف يحكي الربُّ أم كيف يُرَى ... فلعمري ليس ذا إلا فُضُولْ
فهو لا أين ولا كيف له ... وهو ربُّ الكيف والكيفُ يحولْ
وهو فوقَ الفوقِ لا فوقَ له ... وهو في كلٍّ النواحي لا يزولْ
جلَّ ذاتاً وصفاتٍ وسمَا ... وتعالى قدرُهُ عما تقولْ

قيل لما انتهى من قوله قال الزمخشري : والله ماغلبتني بعلمك ولكن غلبتني بولايتك .

* * *

طول الحياة واليقظة محبوبان لتحصيل معرفة الله تعالى:

قال الإمام القشيري رحمه الله : كان لرجل تلميذان اختلفا فيما بينهما فقال أحدهما : النوم خير لأنَّ الإنسان لايعصي الله في تلك الحالة . وقال الآخر : اليقظة خير لأنه يعرف الله في تلك الحالة . فتحاكما إلى ذلك الشيخ فقال : أما أنت الذي قلت بتفضيل النَّوم فالموتُ خيرٌ لك من الحياة، وأما أنت الذي قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خيرٌ لك .

وفي هذه القصة إشارة إلى أنّ طول الحياة واليقظة محبوبان لتحصيل معرفة الله تعالى، وحسن القيام لطاعته .

* * *

وعن عبيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي ﷺ آخى بين رجلين، فقُتل

أحدهُما في سبيل الله، ثم مات الآخر بعدَهُ بجمعة أو نحوها فصلوا عليه، فقال عليه السلام: «ماقلتم؟» قالوا: دعَوْنا الله أن يغفرَ له ويرحمَه ويُلْحِقَه بصاحبه، فقال النبيُّ عليه السلام: «فأين صلاته بعد صلاته وعمَلُه بعد عمله، أو قال صيامه بعد صيامه؟ إن لَمَا بينهما أبعدَ ممَّا بين السماء والأرض».

وفي بعض الأخبار: إنَّ الموتى يتأسَّفُون على انقطاع الأعمال عنهم حتى يتحسَّرون على ردِّ السلام وثوابه.

* * *

ليس للعبد إلا مولاه:

قال سهل رضي الله عنه: ليس للعبد إلا مولاه، وأحسنُ أحواله أن يرجعَ إلى مولاه. إذا عصى قال: يارب استُر عليّ. فإذا ستَرَ عليه قال: ياربِّ تُبْ عليّ. فإذا تاب عليه قال: ياربّ وفِّقْني حتى أعمل. فإذا عمل قال: يارب وفِّقني حتى أُخلص. فإذا أخلص قال:يارب تقبَّل مني.

* * *

الحياء من الله تعالى:

قال بعض الكبار: المغفرة أشد عند العارفين من العقوبة لأن العقوبة جزاء فتكون الراحة عقيب الاستيفاء، فهو بمنزلة من استوفى حقَّه، والغفران ليس كذلك فإنك تعرف أن الحق عليك متوجِّه، وأنه أنعم عليك بترك المطالبة، فلا تزال خجلاً ذا حياء. ولهذا إذا غفر الله تعالى للعبد ذنبه أحال بينه وبين تذكُّره وأنساه إيَّاه، وإنه لو تذكّره لاستحيا. ولاعذاب على النفوس أعظم من الحياء، حتى يودُّ صاحب الحياء أنه لم يكن شيئاً، كما قالت مريم الكاملة: ﴿ياليتني مِتُّ قَبْلَ هذا وكنتُ نسيًا منسيًا﴾ [مريم: ٢٣] هذا حياء من المخلوقين فكيف بالحياء من الله تعالى فيما فعل العبد من المخالفات؟

ومن هذا الباب ماحُكي: أنّ الفضيل قُدِّس سرُّه وقف في بعض حجّاته ولم ينطق بشيء فلما غربت الشمس قال: واسوأتاه وإن غفرت.

* * *

غيرة الله وحبه المدح والعذر:

قال النبي ﷺ: «ما أحدٌ أغْيَرُ من الله عز وجل، ولذلك حرَّم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وما أحد أحبُّ إليه المدح من الله تعالى، ولذلك مدح نفسه، وما أحدٌ أحبُّ إليه العُذْر من الله تعالى، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتاب».

* * *

تحسين الظن بالله:

قال بعض العارفين: مثال من أحسن في الله ظنَّه مثال من سلَّط الله عليه الشيطان ليفتنه ويمتحنه، فلما جاءه الشيطان أخبره بأنه رسول من عند الله، وأنه رسول رحمة، وقال: جئتك لأشدَّ عضُدك في الخير، وألهمك رُشدك لتكون عند ربِّك في درجة العرش. فحسَّن بربه ظنَّه، وخرَّ ساجداً فصيَّر الله الشيطان مَلَكاً كما ظن.

كما روي أنّ الجن صنعت لسليمان عليه السلام أرضاً وصفَّحتها بالزُّمُرُّد الأخضر، وحصبتها باللؤلؤ والجواهر لتفتنه بها، وهو لايعلم. فرأى أنَّ ذلك من مواهب ربه له في دار الدنيا فخرَّ ساجداً لله، فأثبتها الله له أرضاً مقدَّسة كما ظنّ إلى أن مات على حُسن ظنه بربِّه.

* * *

عيسى ويحيى في تحسين الظنِّ بالله:

لقي يحيى عيسى عليهما السلام، فتبسَّم عيسى في وجه يحيى فقال: مالي أراك لاهياً كأنك آمن؟ فقال يحيى مالي أراك عابساً كأنك آيس؟

فقالا: لانبرح حتى ينزل علينا الوحي. فأوحى الله تعالى: أحبُّكما إليّ أحسنكما ظناً بي.

* * *

كل مخلوق له مايقهره والله قاهر كلّ شيء:

يُقال: أولّ ماخلق الله ذرّة بيضاء، فنظر إليها فذابت حتى صارت ماء من هيبة الحقّ جلّ وعلا، وارتفع زَبَدُها فخلق منه الأرض، فتكبَّرت وقالت: من مثلي؟ فخلق الله الجبال فجعلها أوتاداً في الأرض فقهرها بالجبال، فتكبَّرتِ الجبال فخلق الحديد وقهر الجبال به، فتكبَّر الحديدُ فقهره بالنار، فتكبَّرَتِ النار فخلق الماء فقهرها به، فتكبَّر الماء فخلق السحاب، ففرَّق الماء في الدنيا، فتكبَّر السحاب فخلق الرِّياح ففرقت السَّحاب، فتكبَّرت الرياح فخلق الآدمي حتى جعل لنفسه بيتاً وكِنّاً من الحرّ والبَرْد والرياح، فتكبَّر الآدمي فخلق النوم فقهره به، فتكبَّر النوم فخلق المرضَ فقهره به، فتكبَّر المرض فخلق الموت فتكبَّر، فقهره بالذبح يوم القيامة حيث يُذبح بين الجنة والنار. كما قال تعالى: ﴿وأنذرْهم يومَ الحَسْرةِ إذ قُضي الأمرُ﴾ [مريم: ٣٩] يعني إذ ذُبح الموت.

فالقاهر فوق الكلِّ هو الله تعالى.

* * *

رحمة الله خير من كل شيء والعاقبة لها:

قيل: وقف ثلاثة من الفقراء على باب أحد الملوك الجبابرة، فقال أحدهم: أتمنَّى أحد صناديق خزينة الملك. وقال الثاني: أتمنَّى إحدى جواري الملك الحسان أتزوَّجها. وقال الثالث: أتمنَّى رحمة الله تعالى. فاتفق أن وقع نظر الملك من القصر عليهم، فأمر بإحضارهم وأنْ يصدقُوه الخبر، فقال كلٌّ منهم ماأسرَّه، فأعطى أحدَهم صندوقاً من المال، وزوَّج الآخر بسُرِّيَّة حسناء، وقال للآخر: اذهب

فاطلب الرحمة ممن طلبتَها منه . وأضمر له شيئاً، وقال : اذهبوا . وأمر الملك شرطته أن يضربوا من الثلاثة من يجدونه فارغاً لاشيء معه .

فاتفق أن صاحب الصندوق استأجر الفارغ طالبَ رحمةِ الله تعالى ، فأتى الشرط ومسكوا الفارغ وهو صاحب الصندوق فقتلوه . ثم اجتازوا نهراً في طريقهم فغرق به زوج السُّرِّيَّة ، فتزوجها طالب الرحمة وأخذ المال وبنى منه ملجأ للفقراء والغرباء . فاتفق أن الملك كان متخفِّياً لتفقُّد أحوال رعيَّته فرأى هذا الملجأ فدخله ، فسأل عن صاحبه فدلُّوه عليه ، فسأله عن حاله فحكى له غريب قصَّته فعرَّفه الملك بنفسه وطلب أن ينظر إلى سرِّيته ليعلم صدقه ، فنظر إليها فصدَّقه ، فكان ذلك سببَ توبة الملك ورجوعه إلى ربه ، وقرَّب طالب الرحمة وولاَّه بعض عمله .

* * *

العلم والعلماء

فضل العلم في الميزان:

يُجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه فيخف، فيجاء بشيء أمثال الغمام فيوضع في كفة ميزانه فترجح، فيقال له: أتدري ماهذا؟ فيقول: لا. فيقال له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلِّمه الناس.

* * *

علم علي رضي الله عنه وعبرة لمن يسأل تعنُّتاً لاتفقهاً:

رُوِي أنَّ علياً رضي الله عنه صعِد المنبر يوماً وقال: سلوني عمَّا دون العرش، فإنَّ مابين الجوانح علمٌ جَمّ، هذا لعابُ رسول الله ﷺ في فمي، فوالذي نفسي بيده لو أُذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما، فأخبرتُ بما فيهما لصدَّقاني على ذلك. وكان في المجلس رجلٌ يماني فقال: ادَّعى هذا الرجل دعوى عريضة، لأفضحنَّه، فقام وقال: أسأل؟ قال: سَلْ تفقُّهاً ولاتسأل تعنُّتاً. فقال: أنت حملتني على ذلك، هل رأيت ربَّك ياعلي؟ قال: ماكنتُ أعبدُ ربّاً لم أره. فقال: كيف رأيت؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العِيان، ولكن رأته القلوبُ بحقيقة الإيمان، ربي أحدٌ واحدٌ لاشريك له، أحد لاثاني له، فَرْدٌ لامثل له، لايحويه مكان، ولايداوله زمان، ولايُدرك بالحواسّ، ولايقاس بالقياس. فسقط اليماني مغشيّاً عليه، فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لاأسأل تعنُّتاً.

* * *

العلم والعمل والأمر بهما:

قال تعالى: ﴿أَتَـأْمُرُونَ النَّاس بالبِرِّ وتنسونَ أنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال عليه الصلاة والسلام: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه. فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يافلان ماشأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه».

رواه الشيخان

* * *

﴿أَتَـأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ وتنسونَ أنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقيل الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان.

فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لايعلم.

قال صاحب «بدء الأمالي»:

وعالم بعلمه لم يعملن   معذب من قبل عُبَّاد الوثن

* * *

عمل العلماء وعمل العامة:

قالوا: إذا عمل العلماء المباحات عمل الجُهَّال المكروهات، وإذا عمل العلماء المكروهات عمل الجُهَّال الحرام، وإذا عمل العلماء الحرام كفرت العامة. قال تعالى: ﴿أفرأيتَ من اتَّخذَ إلـهَهُ هواه وأضلَّه اللهُ على علمٍ وختَمَ على سَمْعِهِ وقلبِه وجَعَل على بَصرِه غشاوةً فَمَنْ يهديهِ من بعدِ الله﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿إنَّما التَّوبةُ على الله للَّذين يعملُونَ السُّوءَ بجهالةٍ ثم يَتُوبون من قريبٍ﴾ [النساء: ١٧].

* * *

مآل العلم إلى التعبد والزهد والتوكل:

قال عبد الله التُّستري: جملة العلوم أدنى باب من التعبُّد، وجملة التعبُّد أدنى باب من الورع، وجملة الورع أدنى باب من الزهد، وجملة الزهد أدنى باب من التوكُّل.

وقال أيضاً: علامة المتوكل ثلاث: لايسأل ولا يردُّ، ولايحبس.

* * *

منام الشاذلي في الأقصى ومحاورة بين الغزالي وموسى عليه السلام:

ذكر الراغب الأصفهاني في «المحاضرات» أنه قال الإمام الشاذلي قُدِّس سرُّه، صاحب حزب البحر: اضطجعتُ في المسجد الأقصى فرأيتُ في المنام قد نُصب تختٌ خارجَ الأقصى في وسْط الحرم، فدخل خلقٌ كثير أفواجاً أفواجاً فقلت: ماهذا الجمع؟ فقالوا: جمعُ الأنبياء والرسل عليهم السلام قد حضروا ليشفعوا في حسين الحَلاج عند محمد عليه الصلاة والسلام في إساءةِ أدبٍ وقعَت منه. فنظرتُ إلى التخت فإذا بنبينا محمد ﷺ جالسٌ عليه بانفراده، وجميع الأنبياء على الأرض جالسون، مثل سيدنا إبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام. فوقفتُ أنظر وأسمع كلامهم. فخاطب موسى نبيَّنا محمداً عليهما الصلاة والسلام وقال: إنك قد قلت: «علماءُ أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فأرِنا منهم واحداً. فقال عليه الصلاة والسلام: هذا وأشار إلى الإمام الغزالي قُدّس سرُّه. فسأله موسى سؤالاً فأجابه بعشرة أجوبة. فاعترض عليه موسى بأن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال، والسؤال واحدٌ والجواب عشرة. فقال الإمام الغزالي: هذا الاعتراض واردٌ عليك أيضاً حين سُئلت: ﴿وما تلكَ بيمينِكَ ياموُسَى﴾ [طه: ١٧]. وكان الجواب عصاي، فأوردت صفاتٍ كثيرة.

قال: فبينما أنا متفكرٌ في جلالة قدر محمد عليه الصلاة والسلام وكونه جالساً على التخت بانفراده والخليل والكليم والرُّوح جالسون على الأرض إذ رفسني شخصٌ برجله رفسة مزعجة فانتبهتُ فإذا بقيِّم يُشعل قناديل الأقصى. قال: لاتعجب فإنَّ الكلَّ خُلقوا من نوره، فخررت مغشياً. فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده إلى يومي هذا.

* * *

ثلاثة منكر وطالب دنيا وطالب آخرة أتوا ابن عربي:

قيل إن ثلاثة أتَوا إلى سلطان العارفين سيدي محيي الدين قُدِّس سرُّه، فأما أحدهم فممتحِنٌ منكِرٌ معترض، وأما الآخر فطالبُ دنيا، وأما الثالث فمتبرِّكٌ معتقِد طالبُ آخرة. فقال للثالث: أنت منَّا فتوجَّه إليه الشيخ رضي الله عنه توجُّهاً وصل به إلى ربه. وقال لطالب الدنيا: ستجري عليك الدنيا خيراً. ففُتح عليه حتى صار من أكبر أغنيائها. وقال للأول: سوف ترى مايحلُّ بك. فكان عاقبةُ أمرِه أن أحبَّ نصرانيَّةً فلم تقبل بزواجه حتى تنصَّرَ ولحِقَ بهم والعياذ بالله من مكر الله والطعن بأولياءالله.

* * *

الصبر على العبادة والعلم يورث المقام العالي:

حكى بعض أهل العلم قال: كنت بالمَصِّيصة وإذ برجلين يتكلّمان في الخلوة مع الله تعالى، فلما أرادا الانصراف قال أحدهما للآخر: تعال نجعلْ لهذا العلم ثمرةً، ولايكون حجةً علينا، فقال له: اعزِمْ على ماشئت. فقال: عزمتُ على أن لاآكلَ ماللمخلوق فيه صنع. قال: فتبعتُهما وقلت: أنا معكما. فقالا: على الشرط؟ قلت: على أي شرطٍ شرطتما.

فصعِدا جبل لُكام ودلاّني على كهف وقالا: تعبَّدْ فيه. فدخلتُ فيه، وجعل

كلُّ واحدٍ منهما يأتيني بما قسم الله تعالى، وبقِيتُ مدةً ثم قلت: إلى متى أقيم ههنا؟ أسيرُ إلى طرَسوس وآكل من الحلال وأعلِّم الناس العلم وأقرأ القرآن. فخرجت ودخلت طرَسوس وأقمتُ بها سنة، وإذا أنا برجل منهما قد وقف عليَّ وقال: يافلان خنُتَ في عهدك ونقضتَ الميثاق، أما إنك لو صبرتَ كما صبرَنْا لوُهب لك ماوُهب لنا. قلت: وماالذي وُهب لكما؟ قال: ثلاثة أشياء: طيُّ الأرض من المشرق إلى المغرب بقدَمٍ واحدة؛ والمشيُ على الماء؛ والحَجْبَة إذا شئنا.

ثم احتجب عني، فقلت: بالذي وهب لكما هذا الحال إلاَّ ماظهرتَ لي، فقد شويت قلبي. فظهر وقال: سل، فقلت: هل لي إلى ذلك الحال عودة؟ قال: هيهات لايؤْمَن الخائن.

وفي الحكاية إشارة إلى أن الله تعالى يمنُّ على من يشاء.

* * *

الإحسان لأهل العلم:

كان أحد العلماء ماراً في مفازة، فصادف أحد الأغنياء راكباً هو وخدمه، فلما رأى العالمَ أمر أحد خدمه أن يعطيه مركوبه، فأركبه. فنام هذا الغني تلك الليلة فرأى في منامه أنّ القيامة قامت، وأن الناس يجوزون على الصراط، وهذا الغني ماش قد أدركه الإعياء، والتفت فرأى ذلك العالم بمريديه وتلامذته راكباً على النُّجُب، فأمر أحد من معه أن يُركِب الغنيَّ فأركبه، ثم انتبه فأتى العالم. فأشار العالم الى رؤيا الغني وقال: كما أعطيتنا أعطيناك، ولو زدتنا لزدناك.

* * *

أبو يزيد البسطامي وأخذه العلم من الله:

قال إبراهيم الهروي: كنت بمجلس أبي يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه فقال بعضهم: إنَّ فلاناً أخذ العلم من فلان. قال أبو يزيد: المساكين

أخذوا العلم من الموتى، ونحن أخذنا العلم من حيٍّ لايموت.

* * *

الكتب وسيلة إلى الوصول:

كان حال الشبلي رضي الله عنه أنه غسل كُتُبه بالماء بعد الوصول. **وكان يقول:**نعم الدليل أنتم، ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال.

* * *

التصوف وماقيل فيه

حقيقة التصوف:

قال الإمام الغزالي :

التصوُّف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ماسواه . أي تخليص القلب لله تعالى واعتقاد ماسواه اعتقاداً أنه لايضرُّ ولاينفع ، فلا يُعَوَّل إلا على الله . فالمراد باحتقار ماسواه اعتقاد أنه لايضرُّ ولاينفع ، وليس المراد الازدراء والتنقيص .

* * *

حقيقة التصوف والزهد:

قال ابن الحاج في كتابه «المدخل» :

ليس التصوُّف لبْس الصوف ترقعه ولا بُكاؤكَ إنْ غنَّى المغنونا

ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ولااختباط كأنْ قد صِرتَ مجنونا

بل التصوُّف أن تصفو بلا كَدَرَ وتتبع الحقَّ والقرآنَ والدينا

وأن تُرى خاشعاً لله مكتئباً على ذنوبك طولَ الدَّهْرمحزونا

* * *

سبب تسمية التصوف:

وسُمِّي بالتصوف لغلبة لبس الصوف على أهله كالمرقَّعات . وحكمته كما قال الشيخ القرافي : إنهم لايجدون ثوباً كاملاً من الحلال ، بل قطعاً قطعاً . وقيل لتشبههم بأهل الصُّفة . وقيل للصفاء .

ثم إنهم اختلفوا في الصوفي مَنْ هو كما قال بعضهم :

تفرق الناس في الصوفيِّ واختلفوا   وكلُّهم قال قولاً غير معروفِ
ولست أمنح هذا الاسم غير فتًى   صافى فصوفي حتى سُمِّي الصوفي

* * *

تعريف الصوفي حقيقة:

قال سهل بن عبد الله : الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلأ من العبر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، وتساوى عنده الذهب والمدر .

* * *

قال المرزوبادي قُدِّس سرُّه :

الصوفي من لبس الصوف على الصفا ، وسلك طريق المصطفى ، وأطعم الهوى ذوق الجفا ، وكانت الدنيا منه على القفا .

* * *

حوار بين ذي النون وجاريةٍ في التصوف:

قال ذو النون المصري : بينما أنا في طريق البصرة إذ سمعت قائلاً يقول :

ياشفيق ، يارفيق ، ارفق بنا . فطلبتُ الصوت ، فإذا أنا بجارية متطالعة من قصر مشرف ، فقلت : أراكِ مسفرة بغير خمار! فقالت : مايصنع بالخمار وجهٌ علاه الصَّفار؟ قلت : ومَّ الصّفار؟ قالت : من الخُمار . قلت : ياجارية : عساك تناولت من الشراب؟ قالت : نعم شربتُ البارحةَ بكأس الودِّ مسرورة ، فأصبحت غداة صباحي هذا من شوقي مخمورة . قلت : أراك حكيمةً ، عظيني . قالت : عليك بالسّكوت ، ولزوم خدمته في ظُلَم البيوت ، حتى يتوهَّم الناس أنّك مبهوت ، وارض من الله بالقوت ، وأستعدَّ ليوم تموت ، حتى يُبنى لك بيتٌ في الملكوت ، أساسه من الزَّبرجد والياقوت .

* * *

أخلاق الأولياء

التذلل إلى الله والتواضع:

حُكي أن بعض الأتراك كان يلازم مجلس شيخ الإسلام أحمد النامقي الجامي قُدس سرهُ، ويرى فوق قفاه نوراً كالترس. فاتفق له أن يحجَّ، فلما رجع زالت عنه تلك الحال، فسأل الشيخ عن سببه فقال: إنك كنت قبل الحج صاحب تضرُّعٍ ومَسْكنة. والآن غرَّك حجُّك وأعطيت نفسك قدراً ومنزلة. فلذا نزلتَ عن رتبتك ولم تر النور.

* * *

التواضع والتكبر:

وفي الحديث: «ما من أحَدٍ إلاّ وفي رأسه سلسلتان، إحداهما إلى السماء السابعة، والأخرى إلى الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة التي في السماء السابعة، وإذا تكبَّر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة»

«روح البيان»

* * *

تواضع عمر لعجوز استوقفته:

رُوي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بخولةَ بنتِ ثعلبة بن مالك بن خزاعة الخزرجيَّة، امرأةِ أوسٍ بن الصامت، أخي عبادة بن الصامت في خلافته، وهو على حمار والناسُ معه، فاستوقفته طويلاً ووعظَته وقالت: ياعمر، قد كنتَ تُدعى عُميراً ثم قيل لك عمر، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتَّق الله ياعمر، فإن من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب. وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: ياأمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل؟. فقال:

والله لو حبستَني من أول النهار إلى آخره مازلتُ إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون مَنْ هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة، سمع قولها من فوق سبع سموات السميعُ ربُّ العالمين ولا يسمعه عمر!

* * *

عمر يقهر نفسه:

حُكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ وعلى ظهره قِرْبَةُ ماء، فقيل له في ذلك. فقال: ليس لي حاجة إلى الماء، وإنما أردتُ به كسرَ نفسي لما حصل لها من إطاعة ملوك الأطراف، ومجيء الوفود.

* * *

التواضع ونسيان الحسنات عند رابعة العدوية:

قيل لرابعة العدوية رضي الله عنها: بم ترتجين أكثرَ ممَّا ترتجين؟ قالت: بيأسٍ من جُلِّ عملي.

* * *

التفكُّر عبادة:

وقد رُوي عن النبيِّ عليه السلام أنه قال: «لاتفضِّلوني على يونس بن مَتَّى، فإنه كان يُرفعُ له كلَّ يوم مثلُ عمل ِأهل ِالأرض» وإنما كان ذلك للتفكر في أمر الله تعالى الذي هو عمَلُ القلب، لأن أحداً لايقدِرُ على أن يعملَ في اليوم بجوارحِهِ مثل عملِ أهلِ الأرض، وأمّا ذات الله تعالى فلا يسعها التفكُّر.

* * *

ازدراء العبد نفسه خير من عبادته:

قال النبي ﷺ: «فكرة ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة».

قال الغزالي عن وهب: كان فيمن كان قبلكم رجل عبدَ الله سبعين سنة صائماً قائماً، فسأل الله حاجةً فلم تُقبل، فأقبل على نفسه وقال: من قِبَلِكِ أُتيت، لو كان عندك خير قُضيَتْ حاجتُك. فأنزل الله ملكاً فقال: ساعتُك التي ازْدَرَيْتَ فيها نفسَك خيرٌ من عبادتك التي مضتْ.

المناوي شرح «الجامع الصغير»

* * *

الهم والفكر يُذهب الشحم:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: ماأفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن. فقيل له: ولم؟ فقال: لأنه يفكر، والعاقل لايخلو من إحدى حالتين: إما أن يهمَّ لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه. والشحم مع الهم لاينعقد. فإذا خلا من المعنيين صار في حدِّ البهائم بعقد الشحم. ثم قال:

كان في الزمان الأول ملكٌ كثير اللحم جداً، فتطبَّب كثيراً فلم يفلح. إلى أن أتاه رجل عاقل فقال: أيها الملك، إني طبيب وفلكي أنظر الليلة بطالعك وأصف لك دواءً بحسَبه. فأتاه في اليوم التالي وقال له: أيها الملك! ماذا أصف لمن بقي في عمره شهرٌ واحد؟ وهاأنا ذا رهنٌ عندك، فإذا كنت كاذباً فاقتصَّ مني. فحبسه الملك. فلم يمض نصف الشهر حتى رقّ جسمُ الملك، فأتاه وقال له: أيها الملك قد داويتك فأخرجني. فأخرجه الملك وأنعم عليه.

* * *

الأمـــانـــة

عِظَم الأمانة وإن كانت حقيرة:

روي أن رجلاً مات فرئُي في المنام فقيل له: مافعل الله بك؟ قال: غفر لي، غير أني لما دخلت حفرتي امتلأ القبر عليَّ ناراً ثم ضربوني سوطين. فقلت: علام ضربتموني؟ قالوا: أحدهما، لأنك مررت على مظلوم فلم تنصره، والآخر، لأنك استعرت إبرة فلم تردَّها.

* * *

أمانة إبراهيم بن أدهم:

قيل: اضطر ابراهيمُ بن أدهم رضي الله عنه أن يؤجِّر نفسه من وكيل أحد الأغنياء يرعى بستاناً له، فكان يرعاه ويُكثِر الصلاة، فمرةً أتى صاحبُ البستان وطلب منه رُمّاناً، فأحضر له فوجده حامضاً فسبَّه وقال له: ألا تعرف الحُلْوَ من الحامض؟ قال: ماذقته. فقال له: ياكاذب، لك كذا وكذا يوماً. قال: ماذقتُه، ثم قام يصلي فقال له الوكيل: أيها المرائي، مارأيتُ أكذبَ منك، ولا أشدَّ رياءً منك، قال له: نعم ياسيدي هذا ماظهر لك من ذنوبي، وأما مالم يظهر فهو كثير، ثم طرده. وعاد مرةً ثانيةً فطلب منه كذلك رماناً، فأتاه بأجمل مايعلم، فخرج حامضاً فسبَّه ونهره وقال: ياكاذب، لابدَّ أن أُخرجك. وذهب. فأتاه رجلٌ كاد يهلك من جوعه فأطعمه من فواكه البستان، فأتى صاحبُه يريد أن يطردَ الناطور وأن يعطيه أجره، فأعطاه وطرده فقال له: ياسيدي احسُب ثمنَ الفواكه، أطعمتُ رجلاً من فواكه البستان كاد أن يموت إحياءً لمهجته كذا وكذا. قال: ألم تسرق غيرَ ذلك؟ قال: لا،

ولولا خوفي من موته ماأطعمته . فخُذْ كم تودُّ من أجرتي . فأعطاه ماأرضاه ثم صلّى وذهب . فأتى برجلٍ غيره يرعى له البستان ، وبعد عام أتاه وقال له : أعطني رمّاناً . فأتاه بأطيب الرمان ، فقال له : كان سلفك يأتيني بالحامض ويقول : إنه ماذاق رمَّانَ البستان ، ثم لما طردتُه قال : لقد زارني رجل كاد أن يموت من جوعه فأطعمته وأعطاني من أجرته ثمن ماأطعمه ، وكان دائماً يُرائي بالصلاة ، فما رأيت رجلاً أكذبَ ولا أخونَ منه . فقال له الأجير الجديد : والله ياسيدي أنا كنت الرجل الجائع . وهذا سيدنا إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه الذي كان له مُلْك هذه البلاد ، فترك المُلْك وزهد . فأخذ صاحبُ البستان الترابَ وصار يحثوه على رأسه ويقول : واويلاه واويلاه . أضعت كنزاً لا ألاقيه .

* * *

جهاد السالك إلى الله

قال القشيري رحمه الله : إن الله تعالى اختطف المؤمن من الكون بالتدريج ، فقال تعالى أولاً : ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنيا قَلِيلٌ﴾ [النساء : ٧٧] . فاختطفهم من الدنيا بالعقبى ، ثم استلبهم عن الكونين بقوله تعالى : ﴿والله خيرٌ وأبْقَى﴾ [طه : ٧٣] فلابد للسالك أن يترقَّى إلى أعلى المنازل ، ويسعى من غير فتور وكلال ، وثمرة المجاهدة لاتضيع البتة بل تجزى كل نفس بما عملت .

* * *

الخروج عما سوى الله:

قال بعضهم : خطوتان وقد حصلت : فالخطوة الأولى عبادة الله بالتوحيد وهو التوجه إلى الله تعالى بالكلية طلباً وشوقاً ومحبة .

والثانية الخروج عما سوى الله بالكلية صدقاً واجتهاداً بليغاً لينالوا مانال من قال لربِّه : كُلِّي بكلِّك مشغول . فقال : كُلِّي لكلِّك مبذول .

* * *

مراقبة الله مع الأنفاس لايستطيعها إلا الرسول ﷺ:

قال بعض الكبار : ليس في مقدور البشر مراقبة الله في السرِّ والعلَن مع الأنفاس ، فإنّ ذلك كلَّه من خصائص الملأ الأعلى . وأمّا رسول الله ﷺ فكان له هذه المرتبة فلم يتكلم إلا في واجب أو مندوب أو مباح . فهو ذاكرٌ الله في كلٍّ أحيانه . ومانُقل من سهوه عليه الصلاة والسلام في بعض الأمور فهو ليس كسهو سائر الخلق الناشئ عن رُعونة الطبع وغفلته ، حاشاهُ من ذلك ، بل سهوهُ تشريعٌ

لأمَّتِه، ليقتدوا به فيه، كالسهو في عدد الركعات، حيث إنه ﷺ صلّى الظهر ركعتين ثم سلَّم، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: صلَّيت ركعتين. فقام وأضاف لهما ركعتين. وبعضُ سهوه ﷺ ناشئٌ عن الاستغراق والانجذاب.

وما أجمل قول العارف النابلسي في هذا الباب:

هيكلي سامٍ سليمُ الشَّبَح ... طاهرُ الذَّيل نظيفُ القَدَحِ
أنا في المذكورِ والجاهلُ في الذِّ ... كْر والفكْر وعَقْد السُّبَحِ
كلُّنا من نخلةٍ واحدةٍ ... لكن العجوةُ غيرُ البَلَحِ
واتركِ الكرسيَّ والعرش وما ... تحته للغَيِّ أو للفَلَحِ
واهجر الجنَّة والنارَ ولا ... تشتغلْ عن ذاته بالشَّبَحِ
هذه دولتُنا قد حضَرَت ... دولةُ العِزِّ وكنزُ الفَرحِ
وتنصَّت لغِنَا بُلْبُلِها ... وعلى المطربِ لا تَقْتَرحِ

* * *

مجاهدة النفس بالجوع والعطش:

قال عليه السلام: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإنّ الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وإنه ليس من عملٍ أحبَّ إلى الله تعالى من جوعٍ وعطش». كما في مختصر الإحياء.

* * *

مجاهدة النفس بالميتات الأربع:

ومن أوصاف المريدين: المجاهدة وهي: حمل النفس على المكاره البدنية من الجوع والعطش والعري، ولابدّ من مقاساة الموتات الأربع، الموت الأبيض وهو

الجوع، والموت الأحمر وهو مخالفة الهوى، والموت الأسود وهو تحمُّل الأذى، والموت الأخضر وهو طرح الرّقاع بعضها على بعض، أي لبس الخرقة المرقعة هضماً للنفس مالم تكن لباس شُهرة، فإن النبي عليه السلام نهى عن الشُّهرتين في اللباس اللين الأرفع، والغليظ الأقوى.

* * *

لايخلو المؤمن من ثلاث:

إنَّ المؤمن لايخلو أكله عن ثلاث: الورع عند الطلب، واستعمال الأدب، والأكل للسبب.

* * *

الكامل مَنْ إذا أُعطِي آثر وإذا مُنع شكر:

رُوي أن شقيقاً البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكراً فقال له عبد الله: من أين أتيت؟ فقال: من بلخ. قال: وهل تعرف شقيقاً؟ قال: نعم. قال: كيف طريقة أصحابه؟ قال: إذا مُنعوا صبروا، وإذا أعطوا شكروا. فقال عبد الله: هذه طريقة كلابنا. قال: وكيف ينبغي أن يكون الأمر؟ فقال: الكاملون هم الذين إذا مُنعوا شكروا وإن أعطوا آثروا.

* * *

من أخرج حبَّ الخلائق من قلبه حنَّت إليه السِّباع:

عن ذي النون رضي الله عنه: قال: بينما أنا في بعض جبال اللُّكام إذ برجلٍ قائمٍ يصلي، والسباع حوله ترتبض. فلمّا أقبلتُ نحوه نفرَت عنه السباع، فأوجز في صلاته وقال: ياأبا الفيض لو صفوت لطلبتك السباع وحنَّت إليك الجبال. فقلت: مامعنى قولك لو صفوت؟ قال: تكون لله خالصاً، حتى يكون لك مُريداً. قال: فقلت: فيم الوصول إلى ذلك؟ قال: لاتصلُ إلى ذلك حتى تخرج

حُبَّ الخَلْق من قلبك كما خرج الشركُ منه. فقلت: هذا والله شديدٌ عليّ. فقال: هذا أيسر الأعمال على العارفين.

ذو النون رضي الله عنه اسمه ثوبان بن إبراهيم وكنيته أبو الفيض توفي سنة ٢٤٥ هـ خمس وأربعين ومئتين بالجيزة، وحُملت جنازته في قارب خوفاً من سقوط الجسر أن لا يحتمل الناس المزدحمين على نعشه. ذكره الشعراني في «الطبقات».

وأمّا جبل اللكام فهو بضم اللام وتشديد الكاف وتخفيفها، فهو المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمَصِّيصة وطَرَسُوس. ذكره ياقوت في «معجمه».

* * *

العمل الصالح مطية المؤمن والقبيح صاحبه مطية له:

قال السدّي وغيره: إنّ المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا. فذلك قوله تعالى: ﴿يومَ نحشرُ المُتَّقينَ إلى الرَّحمنِ وَفْداً﴾ [مريم: ٨٥] أي ركباناً.

وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورةً وأنتنه ريحاً فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك. فهو معنى قوله تعالى: ﴿وهم يحملونَ أوزارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]. فيكون الحمل على حقيقته.

* * *

الدين المعاملة:

الصلاة والصوم لايكفيان لدخول الجنة، لأن الصلاة عادة والصوم جلادة، ولأن الصوم والصلاة كلاهما بين العبد وربِّه، ومعاملات الناس لايغفر الله منها شيئاً، وقد ورد أن «أول مايُنزع من أمتي الأمانة وآخرماينزع الصلاة»، فربّ مصلٍّ ولاخير فيه.

مايضاف إلى العبادات من أعمال ليدخل المؤمن الجنة:

وقد ورد أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصوم شهر رمضان، وأصلي كل يوم خمس صلوات ولا أزيد على هذا لأني فقير ليس علي زكاة ولا حج. فإذا قامت القيامة ففي أيِّ دار أكون؟ فضحك النبي ﷺ وقال: «إذا حفظت عينك عن اثنين: عن النظر إلى المحرمات، والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار، وحفظت قلبك عن اثنين: عن الغل والحسد، وحفظت لسانك عن اثنين: عن الكذب والغيبة، تكون معي في الجنة».

* * *

رفع الأذى من الطريق ودفع الأذى عن الناس:

حكي أن أبا منصور بن ذكير كان رجلاً زاهداً صالحاً، فلما دنت وفاته أكثر البكاء فقيل له: لم تبكي عند الموت؟ قال: أسلك طريقاً لم أسلكه قط. فلما توفي رآه ابنه في المنام في الليلة الرابعة فقال: ياأبت مافعل الله بك؟ فقال: يابني إنّ الأمر أصعب مما تعدّ -أي: تظن- لقيت ملِكاً عادلاً أعدل العادلين، ورأيت خصماء مناقشين، فقال لي ربي: يا أبا منصور قد عمرتك سبعين سنة فما معك اليوم؟ فقلت: يارب حججت ثلاثين حجة. فقال الله تعالى: لم أقبل منك. فقلت: يارب تصدقت بأربعين ألف درهم بيدي. فقال: لم أقبل منك. فقلت: ستون سنة صمت نهارها وقمت ليلها. فقال: لم أقبل منك. فقلت: إلهي غزوت أربعين غزوة. فقال: لم أقبل منك. فقلت: إذاً هلكت. فقال الله تعالى: ليس من كرمي أن أعذب مثل هذا. ياأبا منصور، أما تذكر اليوم الفلاني نحَّيت المدرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم فإني قد رحمتك بذلك، فإني لاأضيع أجر المحسنين.

قال في «روح البيان»: فظهر من هذه الحكاية أن دفع الأذى عن الطريق إذاً كان سبباً للرحمة والمغفرة، فلأن يكون دفع الأذى عن الناس نافعاً للدفاع يوم الحشر

خصوصاً عدم الأذية للمؤمنين وخصوصاً للأهل والعيال.

ويشهد لذلك قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه».

ذكره في الجامع الصغير

وقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم».

ذكره في «الجامع الصغير» عن أبي هريرة

* * *

عشر خصال للكلب ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن:

عن الحسن البصري رحمه الله قال: في الكلب عشرُ خصال ينبغي لكلٍّ مؤمن أن تكون فيه: الأولى: أن يكون جائعاً فإنّه من دأب الصالحين. والثانية: أن لايكون له مكان معروف وذلك من علامات المتوكّلين. والثالثة: أن لاينام من الليل إلا قليلاً. وذلك من علامات المحبِّين. والرابعة: إذا مات لايكون له ميراث. وذلك من صفات المتزهّدين. والخامسة: أنه لايتركُ صاحبَهُ وإن ضربَهُ وجفاه، وذلك من علامات المريدين الصادقين. والسادسة: أنَّه يرضى من الأرض بأدنى الأماكن، وذلك من علامات المتواضعين. والسابعة: إذا غُلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره، وهذه من علامات الراضين. والثامنة: إذا ضُرب وطرد وجُفي عليه، وطرح له كسرة أجاب ولم يحقِد على مامضى، وذلك من علامات الخاشعين. والتاسعة: إذا حضر الأكل جلس بعيداً ينتظر، وهذه من خصال المساكين. والعاشرة: أنه إذا رحل من مكان لايلتفت إليه وهذه من علامات المحزونين.

الصدق مع الله

ابتلاء الله إبراهيم:

قيل : إنما ابتلى الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده إسماعيل لأن إبراهيم عليه السلام خليلُ الله تعالى والله سبحانه يحبُّه، فأراد سبحانه أن يبتليَهُ ليفرِّغَ قلبَهُ عن حُبِّ سواه، وليعلمَ صِدْقَ محبته لربِّه عز وجل؛ هل يقدِّم حبَّ ربِّه على حبِّ ولده، أم يقدم حبَّ ولده على محبة الله تعالى؟ فلما رأى الله سبحانه صدقَ حُبِّه لربه ـ وهو أعلم به ـ فداه ليكون حجَّةً على خلقه في أن يمتثلوا أمر الله سبحانه على أنفسهم.

نسأله سبحانه أن لايمتحننا، ويعاملنا بعفوه وعافيته. ثم ابتلاه سبحانه بنفسه ليعلمَ هل يلجأ إلى غيره في الشدائد، فلما ظهر استسلامُه لربِّه جعل النارَ عليه بَرْداً وسلاماً.

* * *

الكاملون يختارون موت أولادهم إذا تعلَّقوا بهم:

في «روح البيان» : واختار أكثرُ الكُمَّل موتَ أولادهم؛ لأنَّ كلَّ مايشغل الطالبَ عن الله من الأموال والأولاد فهو فتنة، ومنهم إبراهيم بن أدهم حيث اجتمع بولده بمكة، فرأى في قلبه ميلاً إليه فقال: إلهي أمِتْني أو هذا ـ مشيراً إلى ولده ـ فمات.

والأنسب أن يدفعه من قلبه بالتوحيد، ولايدعو عليه بالموت؛ لأنَّ الدعاء تصرُّف من عند نفسه. والمتصرِّف في الحقيقة هو الله تعالى. فإذا أدخل عبده في أمرٍ لايتولى العبد إخراج نفسه منه، بل يصبر وينتظر أمر الله تعالى.

* * *

ثلاثة تحجب العبد عن ربه وإبراهيم أزالها بصدقه مع الله:

قال صاحب «روح البيان»: سمعتُ من شيخي قُدِّس سرُّه أنه قال: إنَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام له الإحراز بجميع مراتب التوحيد من الأفعال والصفات والذات وذلك لأن الحجُبَ الكلية ثلاثة هي: المال، والولد، والبدن. فتوحيد الأفعال إنما يحصلُ بالغناء عن المال، وتوحيدُ الصفات بالغناء عن الولد، وتوحيد الذات بالغناء عن الجسم والروح. فتلك الحجب على الترتيب بمقابلة هذه المقامات من التوحيد. فأخذ الله سبحانه وتعالى من إبراهيم عليه السلام المال تحقيقاً للتوحيد الأول، وابتلاه بذبح الولد تحقيقاً للتوحيد الثاني، وبجسمه حين رُمي في نار نمروذ تحقيقاً للتوحيد الثالث. فظهر بهذا كلِّه فنَاؤه في الله وبقاؤه بالله.

حقَّقنا الله وإياكم بحقيقة التوحيد وأوصلنا وإياكم إلى سرِّ التجريد والتفريد.

وقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه في الحقّ ومن قومه، ثم من نفسه ثم من ولده ثم من ماله. فهكذا الأنبياء يُبْتَلون.

* * *

صدق الطلب وثمرته:

حُكي أنَّ عارفاً من أولياء الله تعالى قصد الحجَّ، وكان له ابنٌ فقال ابنه: إلى أين تقصد؟ فقال: إلى بيت الله. فظنَّ الغلام أنَّ من يرى بيت الله يرى ربَّ البيت. فقال: يا أبي لم لا تحملني معك؟ فقال: أنت لاتصلح لذلك.فبكى الغلام فحمله معه. فلما بلغا إلى الميقات أحرما ولبَّيَا ودخلا الحرم، فلما شاهدا البيت تحيَّر الغلام عند رؤيته فخرّ ميتاً. فدهش والده وقال: أين ولدي وقطعة كبدي؟ فنودي من زاوية البيت: أنت طلبت البيت فوجدتَه، وهو طلب ربَّ البيت فوجد ربَّ البيت، فرُفع الغلام من بينهم، فهتف هاتف: إنّه ليس في القبر ولا في الأرض ولا في

الجنة، بل هو في ﴿مقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مُقتدر﴾ [القمر: ٥٥].

* * *

ملك الروم والمتّقون الثلاثة:

سيعطي الصادقين بفضلِ صدقٍ نجاةً في الحياة وفي الممات

سبب هذا الشعر أنّ ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون، فأسرهم الرُّوم مرَّة فقال لهم الملك: إني أجعلكم ملوكاً أزوِّجكم بناتي إنْ قبلتم النصرانيَّة. فأبَوا وقالوا: يامحمداه. فأدخل اثنين في الزيت المغلي، وأخذ الثالث عِلْجٌ وسلَّط عليه ابنته، وكانت أجمل النساء، فأخذ الشابُّ في صيام النهار وقيام الليل. فآمنت البنتُ وخرجا إلى الشام فجاء أخواه الشهيدان مع الملائكة ليلةً وزوَّجاه المرأة وسألهما أخوهما عن حالهما فقالا: ماكانت إلا التي رأيت حتى دخلنا في الفردوس وإن الله تعالى أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما أبياتاً منها البيت المذكور.

* * *

علامة الصدق:

سئل فتح الموصلي يرحمه الله عن الصدق، فأدخل يده في كِير الحديد، وأخرج حديدة محماة، ووضعها على كفه وقال: هذا هو الصدق.

* * *

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

حُكي أنّ زاهداً من التابعين كسر ملاهي بعض الملوك، فأمر بإلقائه للسباع. فلما أُلقي إليها قام إلى الصلاة، فخرجتِ السباعُ وصارت تلحسه وتلحَسُ أقدامه، وهكذا اجتمعت عليه السباع. فلما أصبح الملك قال: مافعل زاهدنا؟ فلما نظروا إليه

قالوا له: أما خفت من السباع؟ قال لهم: لم أفكرْ بهم، كنتُ أفكرُ بلعابهم هل تصحُّ صلاتي معه أم لا؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأخرجوه وتباركوا به.

* * *

الرحمة وحب المساكين

حب المساكين:

في الحديث: «لكل شيء مفتاح، ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء».

* * *

تفسير حديث في الرجاء:

في الحديث «مَنْ قطعَ رجاءَ من التجأ إليه قطع الله رجاءَه».

روي أن بعض العلماء لما رأى هذ الحديث بكى بكاءً شديداً وتحيَّر في فهم فحواه، فقام وذهب إلى واحد من الصلحاء ليستفسر معنى هذا الحديث ويدفع شبهته، فلما دخل عليه رأى ذلك الرجل الصالح يأخذ بيده خبزاً ويؤكله الكلب من يده. فسلَّم فردَّ عليه السلام، ولم يقُم له كما كان يفعله قبلُ، فلما أكل الكلبُ الخبز بالتمام قام له ولاطفَهُ وقال معتذراً: خذِ العُذر مني حيث لم أقم امتثالاً لقول النبي عليه السلام: «من قطع رجاء من التجأ إليه قطع الله رجاءه».

* * *

بركة رعاية آل البيت وإكرامهم:

روي أنَّ عَلَوِيةً فقيرةً مع بناتها نزلتْ مسجداً بسمرقند، فخرجت لطلب القوت، فمرَّت على أمير البلد وذكرَت أنها علوية، وطلبت منه قوتَ الليلة فقال: ألكِ بيِّنة أنك علوية؟ فقالت: مافي البلد من يعرفني. فأعرض عنها. فمضَت إلى مجوسي هو ضامن البلد، فعرضت له حالها، فأرسل المجوسي إلى بناتها وأكرم مثواهن. فرأى أميرُ البلد في المنام كأن القيامة قد قامتْ وعند النبيِّ ﷺ لواء، وإذا قصرٌ من زُمُرُّدٍ أخضر، فقال: لمن هذا القصر يارسول الله؟ فقال عليه السلام: لمؤمنٍ موحِّد؟فقال: أنا مسلم موحِّد. قال عليه الصلاة والسلام: ألَكَ بيِّنة على

أنَّك مسلم موحِّد؟ فانتبه يبكي ويلطِمُ وجهه، وسأل عن العلويَّة وعرفها عند المجوسي فطلبها منه، فأبى المجوسيُّ، فقال: خذ مني ألف دينار وسلِّمهنَّ إليّ. قال: لايكون ذلك وقد أسلمنا على يد العلويَّة وأخبرنا النبيُّ ﷺ بأن القصر لنا.

* * *

قيل: إنَّ عبد الله بن المبارك عزم على الحجّ، فأحضر نفقةً كافية، إذ رأى امرأةً بيدها دجاجةٌ ميتة تنتفها وتصلحها، فوقف عليها وسألها، فقالت: إليك عني، فألحَّ عليها فقالت: إنّ لي أطفالاً جياعاً منذ ثلاث يتباكَون، وقد حلَّت لنا الميتة وأنا امرأة علويَّة.قال: فحللتُ زنّاري وأفرغت لها نفقة الحجّ، وقلت: على هذه أحج، ومضيت، فلما رجع الحجاج صاروا يهنئونني، فقلت: لم أبرح بلدتي فما الخبر؟ ولما رجعت لمنزلي ونمت رأيت رسولَ الله ﷺ في المنام يقول لي: لما أعطيت الدنانير وفرَّجت عن المرأة وعن أيتامها؛ بعث الله مَلَكاً يحجُّ عنك كلَّ عام على صورتك إلى يوم القيامة، ويجعل ثواب الحج لك.

* * *

الرحمة بالبهائم تنجي:

قال بعضهم: وقع لوالي بخارى وكان ظالماً طاغياً أنه رأى كلباً أجرب في يوم برد يرتعد، فأمر بعض خدمه بحمله لبيته وجعله بمحلٍّ حار، وأطعمه وسقاه. فقيل له في نومه: كنت كلباً فوهبناك لكلب. فأصبح فمات فكان له مشهد عظيم لشفقته على كلب.

* * *

شكر الله تعالى

ندم الجنيد وفضيلة الشكر:

قال الجنيد قُدِّس سرُّه: كنت عند السَّرِي وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال: ياغلام ماالشكر؟ فقلت: أن لاتعصي الله بنعمة.

فقال: يوشك أن يكون حظك من الله لسانك.

فلا أزال أبكي على هذه الكلمة.

* * *

القليل ممدوحون:

روي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل. فقال له عمر: ماهذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمعت قول الله تعالى: ﴿وقليلٌ من عِبَادي الشَّكورُ﴾ [سبأ: ١٣] فإنما أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل. فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر.

قلت: ويؤيده قوله تعالى: ﴿ولاتَجِدُ أكثرَهُمْ شاكرينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. وقوله تعالى ﴿وماأكثَرُ النَّاسِ ولو حَرَصْتَ بمُؤمنينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

* * *

الشكر يحتاج إلى شكر:

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلوا آلَ داودَ شُكراً وقليلٌ من عبادِيَ الشَّكورُ﴾ [سبأ: ١٣].

روي أنه قال: يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك؟

فقال الله تعالى: الآن شكرتني ياداود. قال: ياربِّ كن لسليمان كما كنت لي. قال تعالى: قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك.

* * *

الصبر على عبادة الله والطاعات

عظة في الصبر:

روي أنّ طيراً في عهد سليمان عليه السلام كان له صوت حسن وصورة حسنة، اشتراه رجل بألف دينار. وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار، فسكت الطير الذي في القفص، وشكا الرجل إلى سليمان عليه السلام فقال: أحضروه. فلما أحضروه قال سليمان عليه السلام: لصاحبك عليك حق، اشتراك بثمن غالٍ فَلِمَ سكتَّ؟ فقال الطير: يانبي الله! إنما كنت أصيح جزعاً وشوقاً لأقراني وطلباً للسراح من القيد والحبس، فأتى طائر من جنسي وأمرني بالصبر وأفهمني أن اللجاج يزيد في كربتي وأنّ ذلك الرجل إنما حبسني من أجل صوتي فسكتُّ. فأطلقه سليمان عليه السلام وأعطى صاحبه ثمنه.

* * *

مآل أهل الفضل والصبر والمتحابين في الله الجنة:

قال تعالى: ﴿ياأيُّها الذين آمنوا اسْتَعِينُوا بالصَّبرِ والصَّلاةِ إنَّ اللهَ مع الصَّابرينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وفي الحديث: «إذا جمع الله الخلائق نادى مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم ناس وهم يسيرون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ قالوا: نحن أهل الفضل، فيقولون: ماكان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا عفونا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. ثم ينادي مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس يسيرون سراعاً إلى الجنة، فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: أهل الصبر. فيقولون: ماكان صبركم؟ قالوا: كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي

الله . فيقال لهم : ادخلوا الجنة . ثم ينادي مناد : أين المتحابُّون في الله؟ فيقوم ناس يسيرون سراعاً إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون : من أنتم؟ فيقولون : نحن المتحابُّون في الله . فيقولون : وماكان تحابُّكم في الله؟ قالوا : كنا نتحاب في الله فيقال لهم : ادخلوا الجنة »

« نزهة القلوب »

* * *

أجر عبادة الله مع الصبر:

حكي أن امرأة حبيب العجمي ألحت عليه أن يعمل بالأجرة طلباً للسعة في الرزق، فخرج من بيته وعَبَدَالله إلى الليل، فعاد إلى بيته وليس معه شيء، فلما سألته امرأته قال : عمِلْتُ لعظيمٍ كريم واستحييت أن أطلب الأجرة . فلما مضى عليه ثلاثة أيام قالت : اطلب الأجرة أو اعمل لغيره أو طلّقني . فخرج من بيته وعَبَدَالله إلى الليل ، فلما عاد إلى منزله وجد رائحة الطعام وامرأته مستبشرة ، فقالت : إنّ الذي عملت له أرسل إلينا أشياء عظيمة وكيساً مملوءاً ذهباً ، فبكى حبيب ، وقال : إنه من عند الله الكريم ، فلما سمعت المرأة تابت ، وحلفت أن لاتعود إلى مثله أبداً .

* * *

الصبر على الطاعة أهون من الصبر على المعصية:

الكُمَّل هم الصابرون بأعلى درجات الصبر ، فقد ورد أنّ من صبر على المعصية له تسعمائة درجة ، ومن صبر على الطاعة له ستمائة درجة ، ومن صبر على البلاء له ثلاثمائة درجة .

أما السبب في تفاوت الدرجات فإنّ الصبر على المعصية لايكون إلا ممن صبّره الله تعالى على شهوات الدنيا التي حُفَّت النار بها .

وأما الصبر على الطاعة والمداومة عليها فإنّها قد تكون محبوبة لكثيز من المعتادين عليها بخلاف الصبر على المعصية فإنّها شاقة وشاقة لمخالفة النفس فيها .

وإنّما كان الصبر على البلاء أقلّ الدرجات لأنّه يصيب المؤمن والكافر ولأنه قسريّ على الإنسان وليس اختيارياً فإنْ صبر نال الأجر وإلا باء بالوزر .

* * *

الذكر مع الصبر:

قال تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ماأعطي السائلين» ومنها أن الصبر مؤدّ إلى الفتح ولو كان بعد حين فلابد من الصبر وترك الجزع .

* * *

الصبر على البلاء:

قال الحسن رضي الله عنه : سمعت من جدّي رسول الله ﷺ يقول : «يابني! عليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، وأداء الفرض تكن من أعبد الناس. يابني! إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يُنْشر لهم ديوان، ولا يُنْصب لهم ميزان، يُصبُّ عليهم الأجر صباً». ثم قرأ : ﴿إنّما يُوَفّى الصَّابرونَ أجرَهُم بغيرِ حسابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

* * *

مايدعو به المُصاب:

قال تعالى : ﴿وبَشّرِ الصَّابرينَ * الذينَ إذا أصَابتْهُم مُصيبَةٌ قالوا إنّـا لله وإنّـا إليه راجعُون﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦] .

* * *

تعب جبريل في أربعة مواضع:

في الخبر : سأل نبيُّنا عليه السلام جبريلَ : «هل أصابك مشقة وتعب في

نزولك من السماء» قال: نعم، في أربعة مواضع: الأول حين أُلقي إبراهيم في النار كنت تحت العرش قال الله تعالى: أدرك عبدي. فأدركتُه وقلت له: هل لك من حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا. والثاني حين وضع إبراهيم السكينَ على حَلْق إسماعيل كنت تحت العرش قال الله تعالى: أدرك عبدي. فأدركته طرفة عين فقلبتُ السكين. والثالث حين شجَّك الكفار وكسروا ربَاعِيتَك يوم أُحد قال تعالى: أدرك دمَ حبيبي فإنه لو سقط من دمه على الأرض قطرة ماأخرجت منها نباتاً ولاشجراً. فقبضتُ دمك بكفي ثم رميته في الهواء. والرابع حين ألقي يوسف في الجُب قال الله تعالى: أدرك عبدي. فأدركته قبل أن يصل إلى قعر الجُبّ، وأخرجتُ حجراً من أسفل البئر فأجلستُه عليه.

* * *

الاسترجاع عند المصيبة اختصت به الأمة المحمدية:

في الحديث: «ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له فيها».

قال سعيد بن جبير: ماأُعطي أحد في المصيبة ماأُعطيت هذه الأمة، يعني الاسترجاع، ولو أُعطيه أحد لأُعطيه يعقوب. ألا تسمع إلى قوله في قصة فقد يوسف: ﴿ياأسفَى على يوسف﴾ [يوسف: ٨٤].

* * *

دعاء الصبر:

اللّهم رَضِّنا بقضائك وصبِّرنا على بلائك وأوزِعْنا شكر نعمائك وحُفَّنا بألطافك الخفية ونجِّنا وأولادنا وذرِّيتنا من كل بلاء وبلية ياأرحم الراحمين والمسلمين أجمعين.

* * *

المنزلة تنال بالصبر على البلاء:

قال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلّغه المنزلة التي سبقت له من الله».

وإنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء. وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

* * *

أعبد أهل الأرض أصبرهم على البلاء:

روي في بعض الأخبار: أنّ يونس وجبريل عليهما السلام التقيا: فقال يونس لجبريل عليهما السلام: دلَّني على أعبد أهل الأرض، فأتى به إلى رجل قد قطع الجُذامُ يديه ورجليه فإذا هو يقول: متَّعْتَني بهما حيث شئت، وسلبتهما مني حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل، يابرّ، يا وصول. فقال يونس عليه السلام: ياجبريل إنما سألتك أن تريني صوَّاماً قوَّاماً. قال: إنّ هذا كان قبل البلاء هكذا، وقد أمرت أن أسلبه بصره. فأشار إلى عينيه فسالتا. فقال: متَّعْتَني بهما حيث شئت، وسلبتهما مني حيث شئت. وأبقيت لي فيك الأمل يابرّ، ياوصول. فقال جبريل عليه السلام: هل تدعو وندعو معك أن يردَّ عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود إلى العبادة التي كنت فيها؟ فقال: ماأحب ذلك. فقال يونس عليه السلام: ياجبريل تالله مارأيت أحداً أعبد من هذا. فقال جبريل عليه السلام: يايونس هذا طريق لايُوْصَل إلى رضاء الله تعالى بشيء أفضل منه.

* * *

التجلد عند المصيبة:

قال سيدي العارف النابلسي:

اصبر لكلّ مصيبة وتجلّد واعلم بأنّ المرء غير مُخلَّدِ
وإذا ذكرت مصيبة تجزى بها فاذكر مُصابك بالنبي محمَّدِ

* * *

الجنيد وصبره على المرض:

قيل : لما مرض أبو القاسم الجنيد مرض موته رضي الله عنه زاره أناس، وعند منصرفهم دعوا له بالشفاء فقال لهم: هل أمرتكم بهذا؟ فلم قلة الأدب مع الله؟

* * *

الصبر على المرض وعدم الشكوى سبب في الشفاء:

روي عن سعيد المقبُري قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تبارك وتعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عوّاده، أنشطته من عقال، وبدّلْته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ويستأنف العمل.

* * *

الأولياء يسألون الله البلاء لنيل الشرف:

قال النِّفزي: واعتبر جميع ماقلنا في هذه المسألة بالحكاية التي ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله في كتابه «مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة» قال فيه: كان بالمغرب - عمره الله بالإسلام - رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره أصله من صقلِّيَة وموطنه بغداد، وجاوز سنُّه التسعين وهو في الرقّ لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار، وعمّ جسده الجذام، ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة. قال الذي حدثّني: رأيته يصلي على الماء، ثم لقيت بعده محمد الاسفنجي فإذا هو الأبرص فقلت له: ياسيدي كأن الله لم يجد للبلاء محلاً من أعدائه حتى أنزل بكم وأنتم خاصة أوليائه. قال: فقال لي: اسكت لاتقل ذلك، إنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئاً أشرف ولا أقرب إليه من البلاء،

فسألناه إياه. فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وإمام الأولياء والأوتاد بغارٍ في أرض طَرَسُوس وجبالها؟ لحمه يتناثر وجلده يسيل قيحاً وصديداً، وقد أحاط به الذباب والنمل. فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ماأعطاه من الرحمة، وأسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر.

* * *

إخلاص التلميذ لشيخه وصبره على أوامره:

حُكي أنَّ يونس خدمَ شيخه طبْق أمرهِ ثلاثين سنة بالصدق حتى تورَّم ظهره من نقل الحطب فلم يظهر. وكان شيخه نظر له فثقُلَ ذلك على سائر الطالبين، وقالوا: إنه يخدم الشيخ على محبَّة بنتِه. حتى تكلَّموا في ذلك للشيخ. فلما أتى بالحطب قال شيخه: نعم الحطبُ المستقيم يايونس. فقال: إنَّ غير المستقيم لايليق بهذا الباب. وماتكلَّموا في حقه ليس على وجه النفاق، بل لما رأوا أنهم لايتحمَّلون مايتحمَّل يونس أشكل عليهم الأمر، فحملوه على حُبِّ البنت. وسؤال الشيخ أيضاً وجواب يونس بهذا الوجه إنما كان لإرشادهم وإزالة شبُهِهم، وإلا فالشيخ كان يعرف أحوال يونس ولم يحصُل له سوءُ ظنٍّ من كلامهم، لأنّ مَنْ كان مُرْشداً لايعرف حالَ المريد بكلام الغير في المَدْح والذم.

ثم زوَّج الشيخُ بنتهله وقال: حتى لايكون الإخوان كاذبين، ولايحصُل لهم الخجالة. وكانت البنت متى قرأت القرآن يقف الماء؛ فلم يمسَّها يونس إلى آخر عمره وقال: أنا لا أليق بها.

* * *

امتحان صحابيَّين مع مسيلمة:

حكي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ، فقال

لأحدهما: أتشهد أني رسول الله؟ فقال: نعم. فتركه، وقال للآخر مثله فقال: لا بل أنت كذاب، فقتله. فقال النبي ﷺ: «أما الذي تركه فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه، وأما الذي صبر فأخذ بالفضل فهنيئاً له».

* * *

الإيثار والكرم

الإيثار:

قال تعالى: ﴿ويُؤْثِرونَ على أنفسِهِم ولو كَانَ بهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قال حذيفة العدوي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: أهدي لرجل من الأنصار رأس شاة، وكان مجهوداً، فوجَّه به إلى جارٍ له زاعماً أنه أحوجُ إليه منه، فوجَّه جارُه أيضاً إلى آخر؛ فلم يزل يبعث به واحدٌ إلى آخر حتى تداول ذلك الرأسَ سبعةُ بيوت، إلى أن رجع إلى المجهود الأول.

* * *

قال حذيفة العدوي: انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابنَ عمٍّ لي ومعي شيءٌ من الماء وأنا أقول: إن كان به رمَقٌ سقيتُه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا برجل يقول: آه، آه، فأشار إليَّ ابنُ عمي أن انطلقْ إليه، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول: آه، آه، فأشار هشام أن انطلقْ إليه، فجئتُ إليه فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعتُ إلى ابن عمِّي فإذا هو قد مات. وهذا من قبيل الإيثار بالنفس وهو فوق الإيثار بالمال.

* * *

قال في «التكملة»: الصحيح أنَّ الآيةَ نزلَت في أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه حين نزل برسول الله ﷺ ضيفٌ ولم يكن عنده مايضيفه به فقال: «ألا رجلٌ يُضيف هذا رحمه الله!» فقام أبو طلحة فانطلق به إلى رَحْله وقال لامرأته: أكرمي

ضيفَ رسول الله . فنوّمت الصبية وأطفأتِ السراج وجعل الضيف يأكل وهما يُريان أنهما يأكلان معه ولا يفعلان . فنزلت الآية .

* * *

كرم إبراهيم:

روي أن إبراهيم عليه السلام كان لايأكل إلا مع ضيف، ولم يجد ذات يوم ضيفاً فأخَّر غداءه، فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم الطعام، فخيلوا إليه أن بهم جُذاماً . فقال عليه السلام : الآن وجبت مؤاكلتكم، شكراً لله أنْ عافاني مما ابتلاكم .

* * *

الضيافة لأمة محمد ﷺ من إبراهيم عليه السلام:

ويقال : إنه عليه السلام أراد الضيافة لأمة محمد ﷺ، فدعا الله لأجلها وقال : إني عاجز وأنت قادر على كل شيء . فجاء جبريل فأتى بكفٍّ من كافور الجنة، فأخذه إبراهيم فصعِد إلى جبل أبي قبيس ونشره فأوصله إلى جميع أقطار الدنيا، فحيثما سقطت ذرة منه كان معدن الملح . فصار الملح ضيافة إبراهيم عليه السلام .

* * *

السخاء من الجنة والبخل من النار:

في الحديث : « السخاوة شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدلِّيات في دار الدنيا فمن تعلَّق بغصن منها يسوقه إلى الجنة، والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدلِّيات في دار الدنيا فمن تعلَّق بغصن منها يسوقه إلى النار» .

* * *

سخاء الله على الكفار وسخاء إبراهيم عليه السلام:

في كتاب «نزهة المجالس» قال :

حضر مجوسي عند إبراهيم عليه السلام، فجاءه بطعام ثم قال : هل لك في الإسلام رغبة؟ فترك الأكل وانصرف . فأوحى الله تعالى إليه : ياإبراهيم أنا أرزقه على كفره منذ أربعين سنة، وأنت تريد أن ترده عن دينه بأكلة واحدة؟ فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام في طلبه فوجده، فأخبره بذلك فأسلم ورجع معه إلى طعامه .

* * *

إكرام إبراهيم للمجوسي:

وجاءه في بعض الأيام رجل يعبد النار فأكرمه . فقالت الملائكة : ربنا خليلك يكرم عدوك . فقال تعالى : أنا أعلم بخليلي منكم، ياجبريل اهبط إليه واعرض عليه قول الملائكة . فأخبره بذلك فقال : قل لربي : تعلمت الجود منك لأنك تحسن لمن أساء .

قلت : وآية البقرة ترشد إلى ذلك، قال الله تعالى في حقِّ إبراهيم : ﴿وارْزُقْ أهلَهُ من الثَّمَرَاتِ من آمَنَ منهُم باللهِ واليومِ الآخرِ﴾ فأجابه الله تعالى وقال : ﴿ومن كَفَرَ﴾ أي : وأرزق من كفر ﴿ثم أضْطَرُّهُ﴾ يوم القيامة ﴿إلى عَذَابِ النَّارِ وبئسَ المَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] .

لأن هذه الدنيا ليست بدار جزاء وإنما هي دار اختبار وابتلاء .

* * *

حاتم الطائي لاتمسُّه النار لكرمه:

قيل: لما عرج النبي عليه السلام اطَّلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لاتمسه النار، فقال عليه السلام : «مابال هذا الرجل في هذه الحظيرة لاتمسُّه النار؟»

فقال جبريل عليه السلام: هذا حاتم طيّئ، صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده.

«أنيس الوحدة وجليس الخلوة»

* * *

بذل المعروف لأهله ولغير أهله:

ذكر المناوي شارح «الجامع الصغير» في شرح قوله ﷺ: «اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله، وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله».

لايزهدنَّك في المعروف كُفران مَنْ كفره؛ فإنه يشكرك عليه مَنْ لم تصطنعه معه.

* * *

روي أن الله تعالى أرسل إلى إبراهيم جبريل عليهما السلام على صورة شخص فقال له: ياإبراهيم أراك تعطى الأودَّاء والأعداء. فقال: تعلمت الكرم من ربي، رأيته لايضيعهم فأنا لا أضيعهم. فأوحى الله تعالى إليه: أن ياإبراهيم أنت خليلي حقاً.

* * *

السخي يدخل الجنة أولاً:

في الحديث: «يأتي يوم القيامة أربعة على باب الجنة بغير حساب: الحاج الذي حجَّ البيت بغير إفساد، والشهيد الذي قُتل في المعركة، والسخيُّ الذي لم يلتمس بسخاوته رياء، والعالم الذي عمل بعلمه. فيتنازعون في دخول الجنة أولاً. فيرسل الله جبرائيل ليحكم بينهم بالعدل، فيقول للشهيد: مافعلت في الدنيا حتى تريد أن تدخل الجنة أولاً؟ فيقول: قُتِلت في المعركة لرضاء الله تعالى. فيقول: ممَّن

سمعت أن من قتل في سبيل الله يدخل الجنة أولاً؟ فيقول: من العلماء. فيقول: احفظ الأدب ولاتتقدم على معلِّمك. ثم يسأل الحاج والسخي كذلك ثم يقول لهما: احفظا الأدب ولاتتقدما على معلِّمكما. ثم يقول العالم: إلهي أنت تعلم أني ماحصلت العلم إلا بسخاوة السخي وأنت لاتضيع أجر المحسنين. فيقول الله: صدق العالم، يارضوان افتح الباب وأدخل السخيَّ أولاً».

* * *

العبرة من قبض الكف عندالولادة وبسطها عند الموت:

قيل لحكيم: ماالسبب في قبض الكف عند الولادة وفتحه عند الموت؟ فأنشد:

ومقبوضِ كفِّ المرء عند ولادِهِ دليلٌ على الحِرْص المركب في الحيِّ

ومبسوطِ كفِّ المرء عند وفاته يقول انظروا إني خرجت بلا شيٍّ

* * *

سخاء عثمان:

وقع قحط بزمن أبي بكر رضي الله عنه، فشكا إليه الناس فقال: إنكم لاتُمْسُون حتى يفرِّج الله عنكم. فلما كان آخر النهار جاءت عِيرٌ لعثمان رضي الله عنه محمَّلةٌ بُرّاً مائة بعير، فقال لهم عثمان رضي الله عنه: كم تُربحوني؟ قالوا: أربعة بالعشرة. قال: بل أُعطيت أكثر. قالوا: نحن تجار المدينة، فمن أعطاك غيرنا أكثر؟ قال: الله تعالى حيث يقول: ﴿مَن جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها﴾ [الأنعام: ١٦٠]. فهي لكم بدون شيء. فرضي الله عنه وأرضاه.

* * *

سخاء الصحابة:

وأنفق طلحة الخير في سبيل الله أربعمائة ألف دينار؛ وأعطى عبد الرحمن بن

عـوف من قـافلة وردت إليـه أربعـمـائة دينار لكلٍّ من أهل بدر ، وأعـتق ثلاثين ألف رقبة ؛ وأنفق أبو بكر أربعين ألف دينار كما رواه ابن عساكر في تاريخه ، وأعطى أميةَ ابنَ خلف بدل بلال عبده .

* * *

التوكل على الله

آداب التوكل على الله:

قال تعالى: ﴿نِعْمَ أجرُ العَاملين * الّذين صَبَرُوا وعلى رَبِّهم يَتَوكّلون﴾ [العنكبوت: ٥٨-٥٩].

قال سيدي عبد الله التستري رضي الله عنه: أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل، يقلّبه كيف يشاء ولاحركة ولا تدبر.

* * *

الالتجاء إلى الله في الدواء:

حكي أن سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شكا ألم سِنِّه إلى الله تعالى فقال له: خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سِنّك. ففعل فسكن الوجع في الحال. وبعد مدة عاوده ذلك الوجع، فأخذ تلك الحشيشة ووضعها على السن، فازداد الوجع أضعاف ماكان. فاستغاث إلى الله تعالى وقال: إلهي ألست أمرتني ودَلَلْتني عليها. فأوحى الله إليه: ياموسى أنا الشافي وأنا المعافي، وأنا الضار وأنا النافع، قصدتني في المرة الأولى فأزلت مرضك، والآن قصدت الحشيشة وماقصدتني.

فينبغي للإنسان أن يتعاطى الأسباب ويلاحظ مسبب الأسباب. وموسى صلوات الله عليه لم ينس مسبب الأسباب، ولكن مثل هذه الحوادث تحدث مع الأنبياء ليتأدب غيرهم. لأنّ الغير حين يعتمد على الأسباب ولاتنفعه لايعمل بها.

فيبتلي الله الأنبياء بمثلها ثم يؤدبهم ليتأدب غيرهم بأدبهم. رزقنا الله الأدب آمين.

* * *

الرزاق هو الله:

قال حاتم الأصم قُدِّس سرُّه لامرأته: إني أريد السفر فكم أضع لك من النفقة؟ قالت: بقدر ماتعلم أني أعيش بعد سفرك. فقال: وماندري كم نعيش؟ قالت: فَكِلْهُ إلى مَنْ يعلم ذلك. فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجَّعن لها من كونه سافر وتركها بلا نفقة. فقالت: إنه كان أكّالاً ولم يكن رزّاقاً.

* * *

الاعتماد على غير الله مهلكة:

من كان اعتماده على غير الله أهلكه الله تعالى على يد أضعف خلقه، كالحبشي الذي اعتمد على قوة فيله لهدم الكعبة، أهلكه الله بالطير الأبابيل.

* * *

التوكل لايناقض الأخذ بالأسباب:

كان إبراهيم الخواص رحمه الله مجرداً في التوكل، وكان لايفارقه إبرة وخيوط ومقراض، فقيل له: ياأبا إسحاق لمَ تحمل هذا وأنت ممتنع من كل شيء؟ فقال: مثل هذا لاينُقض التوكل؛ لأنّ لله علينا فرائض، والفقير لايكون عليه غير ثوب واحد فربما ينخرق ثوبه. فإذا لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته.

* * *

التوكل على الله وتسليم الأمر إليه منجاة من كل الأخطار:

قال تعالى: ﴿ومَنْ يَتَوكَّل على اللهِ فهو حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

حكي عن الشيخ أبي حمزة الخراساني رحمه الله قال: حججت سنة من السنين، فبينما أنا أمشي في الطريق إذ سقطتُ في بئر، فنازعتْني نفسي أن أستغيث، فتبصَّرت وعزمت أن لا أشكو إلا إلى الله، فما تم هذا الخاطر حتى مرَّ بها رجلان فقال أحدهما: نَطِمُّ هذا البئر لئلا يسقط فيه أحد. فأتيا بباريَّة (١) وقصب، وطمسا رأسه وأنا أنتظر الفرج من الله. إذ بشيء جاء وكشف رأس البئر ودلّى رجله وهو يهمهم كأنه يقول تمسَّك، فتمسَّكت وخرجت، فنظرت فإذا هو سبُع. فهتف بي هاتف: يا أبا حمزة نجيناك من الهلاك بالهلاك. فالله قادر على كل شيء.

قال بعضهم: من وقع في ميدان التفويض، يُزَفُّ إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها.

ولما زُجَّ إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وأتاه جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى. قال: سله. قال عليه الصلاة والسلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي.

قال نبينا ﷺ: «يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

* * *

التوكل الحقيقي توكل الحيوان:

حكي عن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف رضي الله عنه قال: دخلت بغداد قاصداً الحج وفي رأسي نخوة الصوفية - يعني حدة الإرادة وشدة المجاهدة واطِّراح ما سوى الله تعالى - ولم آكل أربعين يوماً ولم أشرب ولم أدخل على الجُنيد، وكنت على طهارتي، فرأيت ظبياً في البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنتُ عطشان، فلما دنوت من البئر ولّى الظبي، وإذا الماء في أسفل البئر فمشيت وقلت: ياسيدي مالي

(١) الباريَّة: الحصير المنسوج.

عندك محل مثل هذا الظبي؟ فسمعت من خلفي يقال: جرَّبناك فلم تصبر، ارجع فخذ الماء، إنّ الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل، وأنت جئت ومعك الركوة والحبل. فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي، فكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفد الماء. فلما رجعت من الحج دخلت الجامع، فلما وقع بصر الجنيد عليّ قال: لو صبرتَ لنبع الماء من تحت قدمك.

* * *

الرازق هــو الله

قال تعالى: ﴿وَفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وماتُوعَدُونَ﴾ [الذاريات ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ومَا مِنْ دَابَّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رِزْقُها﴾ [هود ٦].

* * *

الله هو الرازق:

«إنّ أكبر الإثم عند الله أن يضيِّع الرجل من يقوت».

رواه الطبراني في «الكبير» وهو حديث صحيح. كما في شرح العزيزي مختصر «الجامع الصغير» للجرداني. وذكر قصة رجل كان كثير العيال، ضاقت يده؛ فهمَّ بالهرب، فلقيه رجل فقال له: أتؤجِّرني نفسك على أن تسقي طيراً في قفص حتى يروى، وتأخذ مني ديناراً؟ ففرح الرجل بذلك وأجابه إليه. فدلَّه على بئر وأعطاه دلواً فقال: انزح من هذا البئر واسق هذا الطائر حتى يروى.

فنزح طول نهاره والطير يشرب ولايروى، فضاق صدره ويئس، فقال له الطائر: أنا مَلَك أرسلني الله لأريك أنك لاتقدر على إرواء طائر، فارجع إلى أهلك فلست أنت ترزقهم، ولكنَّ الله يرزقك وإياهم.

* * *

رزقك يأتيك ولو قعدت في البيت:

قيل: وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فشكا إليه فقره فقال: ألست القائل:

لقد علمت وما الإشراف من خلقي   أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى إليه فيعييني تطلُّبه   وإن قعدت أتاني ليس يُعْيِيني

وخرجت الآن من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق؟ فقال: ياأمير المؤمنين

وعظت فأبلغت، وخرج وركب ناقته وكرَّ إلى الحجاز راجعاً، فلما كان الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة وقال: رجل من قريش قال حكمة ووفد عليَّ فرددته خائباً، فلما أصبح وجَّه إليه بألف دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فأعطاه المال، فقال: أبلغ عني أمير المؤمنين السلام وقل له: كيف رأيت قولي؟ سعيت فأُكذبت، فرجعت خائباً، فجلست في داري فأتاني رزقي في منزلي.

* * *

العقل والحَسَب لايرزقان:

قال كثير بن روح رأيت بهلولاً ذات يوم يتمثل وهو يقول هذه الأبيات:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً ... أتعبت نفسك حتى شفَّك الطلبُ
تسعى لرزقٍ كفاك الله بغيته ... اقعد فرزقك قد يأتي به السببُ
كم من دنيٍّ ضعيفِ العقل تعرفه ... له الولاية والأرزاقُ والذهبُ
ومن حسيبٍ له عقلٌ يزيِّنُهُ ... بادي الخصاصة لايُدرى له سببُ
فاسترزقِ الله مما في خزائنه ... فالله يرزق لاعقلٌ ولاحسَبُ

* * *

الطهارة سبب في الرزق والغنى:

في الحديث: «دُمْ على الطهارة يُوسَّع عليك في الرزق». فإذا كان توسيع الرزق في الطهارة فتضييقه في خلافها. والرزق ظاهر وباطن، وكذا الطهارة والنجاسة. فلابد لطالب الرزق مطلقاً أن يكون على طهارة مطلقة دائماً.

فإن قلت: فما حال أكثر السلف فإنهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة؟ قلت: كان السلف في الرزق المعنوي أكثر من الخلف وهو المقصود الأصلي من الرزق، وإنما كانوا فقراء في الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقي لله. كما قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم أغنني بالافتقار إليك». فمنُعوا عن الغنى الصوري تطبيقاً لكلٍّ من الظاهر

والباطن بالآخر. فهم أغنى الأغنياء في صورة الفقراء. وماعداهم مَنْ ليس على صفتهم أفقر الفقراء في صورة الأغنياء. فالمرزوق من رُزِق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض، والمحروم من حرمه فاعرفه.

* * *

سوء الظن لاينفع في الرزق:

قال محمد بن خالد الواسطي أنشدني بهلول:

دع الحرص على الدنيا ... وفي ذا العيش لاتطمعْ
ولا تجمع من المال ... فما تدري لمن تجمعْ
فإن الرزق مقسوم ... وسوء الظن لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذي حرصٍ ... غنيٌّ كُلُّ مَنْ يقنعْ

* * *

لاتموت نفس حتى تستوفي رزقها:

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«ياأيها الناس ليس من شيء يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقرِّبكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

* * *

الزواج سبب الغنى والطلاق كذلك:

روي عن جعفر بن محمد أنّ رجلاً شكا إليه الفقر فأمره أن يتزوج، فتزوج الرجل. ثم جاء فشكا إليه الفقر فأمره أن يطلقها. فسئل عن ذلك فقال: قلت لعله يكون من آية: ﴿إنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ من فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]. فلما لم

يكن من أهلهـا قلت لعله من أهل آية أخـرى: ﴿وإن يتفرقـا يُغنِ الله كـُـلاً من سعته﴾ [النساء: ١٣٠].

* * *

بشارة للفقراء:

عن أبي سعيد الخدري قال: جلست في نفرٍ من ضعفاء المهاجرين وكان بعضهم يستتر ببعض من العري، وقارئ يقرأ علينا، إذ جاء رسول الله ﷺ فقام علينا، فلما قام سكت القارئ، فسلّم رسول الله ﷺ وقال: «ماكنتم تصنعون»؟ قلنا: يارسول الله كان قارئ يقرأ علينا، وكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم». قال: ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده: هكذا، فتحلّقوا وبرزت وجوههم. قال: فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري. فقال: «أبشروا يامعاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة».

* * *

بشارة للفقراء ومدح الفقر:

عن أنس رضي الله عنه قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقال: يارسول الله إن الفقراء يقولون لك: إن الأغنياء ذهبوا بالخير كله، هم يحجون ولانقدر عليه، ويتصدقون ولانقدر عليه، ويعتقون ولانقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً لهم.

فقال عليه الصلاة والسلام: «بلِّغ الفقراء عني أن لمن صبر وا حتسب منهم ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء. أما الخصلة الأولى فإن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم، لايدخلها إلا نبي

فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير. والخصلة الثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام. والخصلة الثالثة إذا قال الفقير: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ مخلصاً وقال الغني مثل ذلك، لم يلحق الغني الفقير في فضله وتضاعفِ الثواب، وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البِرّ كلها».

فرجع الرسول إليهم وأخبرهم بذلك، فقالوا: رضينا يارب رضينا.

* * *

الزهد والزهاد

زهد الرسول ﷺ بالدنيا واختياره الآخرة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يارسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك. قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع وشدِّ الحجر من السَّغَب. فقال عليه السلام: «ياعائشة، والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها، وفقر الدنيا على غناها، وحزن الدنيا على فرحها. ياعائشة إن الدنيا لاتنبغي لمحمد ولا لآل محمد».

* * *

الزهد في مملكة الدارين:

قال أبو يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه: أوقفني الحق بين يديه ألف موقف في كل موقف عرض عليَّ مملكة الدارين فقلت: لاأريد. فقال لي في آخر موقف: ياأبا يزيد ماتريد؟ قلت: أريد أن لاأريد. قال: أنت عبدي حقاً وصدقاً.

* * *

الزهد في الدنيا:

وما المرءُ إلا راكبٌ ظهر عُمره ... على سفر يفنيه باليوم والشهر
يبيت ويضحي كلَّ يوم وليلةٍ ... بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر

* * *

تزوَّد من الدنيا فإنك راحلُ ... وبادر فإنَّ الموتَ لاشكَّ نازلُ
وإن امرأً قد عاش سبعين حجَّة ... ولم يتزوَّد للمعاد لجاهلُ
ودنياك ظِلٌّ فاتركِ الحِرْص بعدما ... علمت فإنَّ الظِّلَّ لابُدَّ زائلُ

* * *

زهد الصحابة:

قال الحسن : رأيت سبعين بدرياً كانوا ـ فيما أحلَّ الله لهم ـ أزهدَ منكم فيما حرَّم الله عليكم، وكانوا بالبلاء أشدَّ منكم فرحاً بالرخاء، لو رأيتموهم قلتم: مجانين؛ ولو رأوا خياركم قالوا: مالهؤلاء من خَلاق؛ ولو رأوا شراركم حكموا بأنهم مايؤمنون بيوم الحساب؛ إذا عُرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفاً من فساد قلوبهم.

* * *

زهد التابعين:

قال هَرِمٌ لأُويس: أين تأمرني أن أكون؟ فأومأ إلى الشام. قال هرم: كيف المعيشة بها؟ قال أويس: أفٍّ لهذه القلوب قد خالطها الشكُّ فما تنفعها العِظة.

* * *

الزهد في الدنيا واكتساب الأجر فيها قبل الرحيل:

خرجتُ من الدنيا كأنيَ لم أكن ... دخلت إليها قطّ يوماً من الدهر
فيا عامر الدنيا رويدك فاقتصر ... فإنَّ سهام الموت تأتي وماتدري
وإيَّاك والتفريطَ فالغُبْن كلُّه ... لمن مُنحَ الدنيا وراح بلا أجر

* * *

القصور للخراب:

حكي أن بعض الملوك بنى مدينة وتأنَّق وتفانى في حسنها وزينتها، ثم صنع طعاماً دعا الناس إليه، وأجلس أناساً على أبوابها يسألون كل من خرج: هل رأيتم عيباً؟ فيقولون: لا. حتى جاء أناس فسألوهم: هل رأيتم عيباً؟ فقالوا: عيبين اثنين. فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا، فقال: ماكنت لأرضى بعيبٍ واحد فأتوني بهم. فأدخلوهم عليه فسألهم، فقالوا: تخرب ويموت صاحبها. فقال:

أتعلمون داراً لاتخرب ولايموت صاحبها؟ قالوا: نعم! فذكروا له الجنة ونعيمها وشوَّقوه إليها، وذكروا له النار وعذابها وخوَّفوه منها، ودعَوهُ إلى عبادة الله تعالى، فأجابهم وخرج من ملكه عابداً زاهداً تائباً.

* * *

الغرور بالدور:

روي أن رجلاً اشترى داراً فقال لعليٍّ رضي الله عنه: اكتب القبالة. فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد اشترى مغرور من مغرور داراً دخل فيها سكة الغافلين لابقاء لصاحبها فيها.

الحد الأول ينتهي إلى الموت، والثاني إلى القبر، والثالث إلى الحشر والنشر، والرابع إلى الجنة أو إلى النار والسلام.

فقرئ على الرجل فردّ الدار وتصدَّق بالدنانير كلها وتزهَّد في الدنيا.

* * *

بناء القصور بالظلم:

كتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه الخليفة هارون: ياهارون رفعت الطين ووضعت الدين، رفعت الجصّ ووضعت النص. إن كان من مالك فقد أسرفت والله ﴿لايُحبُ المُسْرِفينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] وإن كان من مال غيرك ظلمت ﴿والله لايُحبُّ الظَّالمينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

* * *

الزهد في الجنة وعدم الخوف من النار:

قيل: مرَّ عيسى عليه السلام على أناس في رباط فقال لهم: مالكم هنا؟ قالوا: نكسي العريان ونطعم الجائع. قال: فأنتم كرام الدنيا، أريد أسخياء الآخرة. ثم مرَّ على أناس عليهم سيماء العبادة وهم ركوع وسجود. قال: ماأنتم؟ قالوا: نطلب الجنة ونخاف النار فنعبد خالقهما. قال: أنتم تجار الآخرة، تأخذون الحسنة بعشر أمثالها. أريد أسخياء الآخرة. فمر على أناس بعضهم ركوع وبعضهم سجود وبعضهم متفكرون فقال: ماأنتم؟ قالوا: نعبد الله لا لجنة ولا لنار ولكن نتفكر في خلق السموات والأرض وأنه رب يعبد. فقال لهم: أنتم أسخياء الآخرة، زهدتم في الدنيا والجنة والنار، فطوبى لكم من العزيز الغفار.

* * *

رُوي أن عيسى عليه السلام مرَّ بقوم يذكرون الله تعالى فقال لهم: مالذي حملكم عليه؟ قالوا: الرغبة في ثواب الله تعالى. فقال: أصبتم. ومرَّ على قوم يذكرون الله تعالى فقال لهم: مالذي حملكم عليه؟ قالوا:الخوف من عقاب الله تعالى. فقال: أصبتم. ومرَّ على قوم مشتغلين بذكر الله تعالى فسألهم عن سببه فقالوا: لانذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب، بل لإظهار ذِلَّة العبودية وعِزَّة الربوبية، وتشريف القلب بمعرفته، وتشريف اللسان بالألفاظ الدالة على صفات قدسه وعزته. فقال: أنتم المتحققون.

* * *

معرفة الله تغني عن الجنة:

وقال أيضاً: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى الجنة. قيل له: وماهي؟ قال: معرفة الله تعالى. وهي الجنة المعنوية.

المعرفة الإلهية وأنين السَّحَر خير من الجنة:

قال أبو يزيد البسطامي: حلاوة المعرفة الإلهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليّين. ولو فتحوا لي أبواب الجنان الثمانية وأعطوني الدنيا والآخرة لم تعدل أنيناً وقت السَّحَر.

* * *

ألف ركعة لاتريد رابعة عليها ثواباً:

قيل: إن رابعة العدوية رحمها الله كانت تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: ماأريد بها ثواباً، ولكن ليسرّ بها رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة.

«روح البيان»

* * *

العبادة لله لا للثواب:

روي أن الله أراد أن يختبر بعض عباده ويظهر ذلك للملائكة، فأرسل ملكاً لعابد بصورة رجل، وقال له: إنّ الله لم يقبل من عبادتك شيئاً. فقال: إني لم أعبده ليقبلها ولكني أعبده لأنه رب يعبد. فرجع الملك لربه وأخبره بمقالة عبده، وهو أعلم بها، فقال: ارجع وأخبره أني قبلت منه مامضى وما يأتي.

* * *

حكي أنّ عابداً من بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة، فأراد الله أن يظهره على الملائكة، فأرسل إليه ملكاً يخبره أنّه مع تلك العبادة لايليق بالجنة، فقال العابد: نحن خلقنا للعبادة، فينبغي أن نعبد خالقنا امتثالاً لأمره. فرجع الملك فقال: إلهي أنت تعلم ماقال، فقال الله تعالى: إذا لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لانعرض عنه، اشهدوا أنّي قد غفرت له.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: كنت أنا وصاحب لي قد أوينا إلى مغارة نطلب الدخول إلى الله، وأقمنا فيها نقول: يفتح الله لنا غداً أو بعد غد. فدخل علينا يوماً رجل ذو هيبة، وعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا له: كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من يقول: يفتح الله علينا غداً أو بعد غد. يانفس لم لاتعبدين الله لله؟ فأيقظنا وتبنا إلى الله،فبعد ذلك فُتح علينا.

* * *

نظرة الأولياء ونظرة الناس:

مرضت رابعة العدوية فسئلت عن السبب فقالت: نظرت إلى الجنة فأدَّبني ربي وعاتبني، فأخذني المرض من ذلك العتاب.

فكيف من ينظر إلى الدنيا وحطامها ورجالها ونسائها؟ فإن النظرة تزرع في قلب صاحبها شهوة، وكفى بها فتنة.

* * *

قال ابن سيرين رحمه الله: إني لأرى المرأة في منامي فأعلم أنها لاتحل لي فأصرف بصري.

* * *

أمثلة من حياة الصحابة والتابعين والصالحين

خمسة أشياء سبق بها أبو بكر الصحابة:

حُكي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: قلتُ لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ياخليفة رسول الله، بم بلغتَ هذه المنزلة حتى سبقتنا سبقاً؟ فقال: بخمسة أشياء: أولها وجدتُ الناس صنفَيْن مريدُ الدنيا ومريد العقبى، فكنتُ أنا مريد المولى. والثاني: مُذ دخلتُ في الإسلام ماشبعتُ من طعام الدنيا، لأن لذة معرفةِ الله شغلتني عن لذائذ طعام الدنيا. والثالث: مذ دخلتُ في الإسلام مارَويتُ من شراب الدنيا، لأن محبة الله شغلَتني عن شراب الدنيا. والرابع: كلما استقبلني عملان عملُ الدنيا وعملُ الآخرة اخترتُ عملَ الآخرة على عمل الدنيا. والخامس: صحِبتُ النبيَّ ﷺ فأحسنت صحبته.

* * *

فداء أبي بكر رسول الله بنفسه يوم الغار:

روي عن عمرَ بن الخطاب أنه ذُكر عنده أبو بكر فقال: ودِدْتُ أنَّ عملي كلَّه مثل عمله يوماً واحداً من أيامه وليلةً واحدةً من لياليه، أمّا ليلتُه فليلة سار مع رسولِ الله ﷺ إلى الغار، فلمّا انتهيا إليه قال: والله لاتدخلْه حتى أدخلَ قبلك، فإنْ كان فيه شيء أصابني دونك. فدخله فكنَسَه ووجدَ في جانبه ثقوباً، فشقَّ إزاره وسدَّها به، وبقي منها ثقبان فألقمهما رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخُل. فدخل رسولُ الله ﷺ، ووضع رأسَهُ في حَجْرِه ونام، فلُدغ أبو بكر في رجله من الجُحْر ولم يتحرّكْ مخافةَ أن ينتبهَ رسولُ الله ﷺ فسقطَتْ دموعُه على وجه رسولِ الله ﷺ

فقال: «مالك يا أبا بكر»؟ فقال: لُدغت فداكَ أبي وأمي. فتفلَ عليه رسول الله ﷺ فذهب مايَجِدهُ، ثم انتقض عليه وكان سببَ موته.

وأمَّا يومُه: فلما قُبض رسولُ الله ﷺ ارتدَّت العرب وقالوا: لانؤدي الزكاة فقال: لو منعوني عِقالاً لجاهدتُهم عليه. فقلت: ياخليفة رسول الله، تألَّفِ الناسَ وارفُق بهم، فقال لي: أجبَّارٌ في الجاهلية خوَّارٌ في الإسلام! إنه قد انقطع الوَحْيُ وتمَّ الدين، أينقص وأنا حي؟

أخرجه في «جامع الأصول» ولم يرقم عليه علامةً لأحد.

قال البغوي: ورُوِي أنه حين انطلق مع رسول الله ﷺ إلى الغار جعل يمشي ساعةً بين يديه وساعةً خلفَه فقال له رسول الله ﷺ: «مالك ياأبا بكر»؟ فقال: أذكرُ الطلبَ فأمشي خلفَك، وأذكرُ الرَّصَد فأمشي بين يديك. فلما انتهيا إلى الغار، قال: مكانَكَ يارسول الله. فنزل، وقال له: إن أُقتل فأنا رجلٌ واحدٌ من المسلمين، وإنْ قُتلتَ هلكَتِ الأمَّة.

* * *

شكر الله لجعفر الطيار أربع خصال:

روي أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إنّ الله تعالى شكر لجعفر الطيّار رضي الله عنه أربعَ خصال كان عليها في الجاهلية وهو عليها في الإسلام. فسأل النبيُّ ﷺ جعفراً عن ذلك فقال: يارسول الله، لولا أن الله أطلعك عليها لما أخبرتُك بها: ماشربت الخمر قطّ، لأني رأيتُها تُزيل العقل، وأنا إلى أن أزيد فيه أحوجُ مني إلى أن أزيله. وماعبدتُ صنماً قط، لأني رأيته لايضرُّ ولاينفع. ومازَنَيْتُ قطّ لغيرتي على أهلي. وماكذبتُ قطّ، لأني رأيته دناءة.

* * *

أخلاق زين العابدين وحلمه:

رُوي أنه تكَلَّم رجلٌ في زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وافترى عليه. فقال زينُ العابدين: إنْ كنتُ كما قلتَ فأستغفر الله، وإن لم أكن نستغفر الله لك. فقام إليه الرجل وقبَّل رأسه وقال: جُعِلتُ فداك لستَ كما قلتُ فاستغفرْ لي. قال: غفر الله لك. فقال الرجل: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

* * *

وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فسبَّه، فثارت عليه العبيد والموالي، فقال لهم زين العابدين: مهلاً على الرجل. ثم أقبل عليه وقال: بالله إلا ماسترتَ من أمرنا. ألك حاجة نُعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصةً كانت عليه، وأمر له بألف درهم؛ فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد رسول الله ﷺ.

* * *

ورع أبي حنيفة مع مجوسي وإسلامه:

حُكي أنه كان لأبي حنيفة دَيْن عند مجوسي أتى ليطالبه به فلصق بنعل أبي حنيفة قذرٌ فنفضه، فلصق بحائط المجوسي. فقال أبو حنيفة: كيف أطهره له؟ إن حككتُه نزل من تراب الحائط، وإن تركته فقد نجَّسْتُهُ له. فتحيَّر وطرق باب المجوسي ليستحلَّه. فخرج المجوسي وهو يظن أنّه يطالبه بدينه، فأخذ يعتذر فقال له الإمام: الأمر أعظم من ذلك. وقصَّ عليه القصة. فقال المجوسي: أنا أخرج إلى تطهيره بنفسي ياإمام. فأسلم وحسُن إسلامه.

فلو كان كل المسلمين هكذا ماكان يبقى شِركٌ على وجه الأرض.

* * *

عبادة أبي حنيفة وغفران الذنوب لمن اتبعه:

روي أن الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان رحمه الله، لما حجَّ الحجة الأخيرة قال في نفسه: لعلي لاأقدرُ أن أحجَّ مرة أخرى. فسأل حُجَّاب البيت أن يفتحوا له باب الكعبة، ويأذنوا له في الدخول ليلاً ليقوم. فقالوا: إنَّ هذا لم يكن لأحد قبلك، ولكن نفعل ذلك لسبقك وتقدُّمك في علمك واقتداء الناس كلِّهم بك. ففتحوا له الباب فدخل، فقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ القرآن إلى النصف وركع وسجد، وقام على رجله اليسرى ووضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن. فلما سجد بكى وناجى وقال: إلهي ماعبدك هذا العبد الضعيف حقَّ عبادتك، ولكن عرفك حقَّ معرفتك. فهب نقصان خدمته لكمال معرفته.

فهتف هاتف من جانب البيت: ياأبا حنيفة، قد عرفتَ وأخلصت المعرفة، وخدمتَ فأحسنت الخدمة. فقد غفرنا لك ولمن اتبعك وكان على مذهبك إلى قيام الساعة.

* * *

أبو حنيفة وقد غلبه امرأة وصبي:

روي عن أبي حنيفة أنه قال: غلبني صبي وامرأة. أما الصبي فخفت أن يسقط من علوّ فقلت: ياغلام! احذر السقوط. فقال: أنت ياإمام احذر السقوط، فإنَّ في سقوطي سقوطي، وفي سقوط العالِم سقوط العالَم.

وأما المرأة فكنت ماراً في بعض الطريق فقالت لي امرأة: ارفع هذا الدينار فرفعته لأناولها إياه، فقالت: هو لُقَطة فاحفظه.

* * *

إبراهيم بن أدهم وابنه:

حُكي عن إبراهيم بن أدهم أنه حج بيت الله الحرام، فبينما هو في الطواف إذْ بشاب حسن الوجه قد أعجب الناسَ حسنُه وجماله. فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكي. فقال بعض أصحابه: إنا لله وإنا إليه راجعون. غفلة دخلت على الشيخ بلا شك. ثم قال: ياسيدي ماهذا النظر الذي يخالطه البكاء؟ فقال له إبراهيم: ياأخي إني عقدت مع الله تعالى عقداً لاأقدر على فسخه، وإلا كنتُ أُدني هذا الفتى وأسلِّم عليه، فإنه ولدي وقرّة عيني. تركته صغيراً، وخرجت فاراً إلى الله تعالى، وهاهو قد كبر كما ترى، وإني لأستحي من الله سبحانه أن أعود لشيءٍ خرجتُ عنه.

قال: ثم قال لي: امض وسلم عليه لعلي أتسلى بسلامك عليه، وأبرد ناراً على كبدي. قال: فأتيت الفتى فقلت له: بارك الله لأبيك فيك. فقال: ياعم وأين أبي؟ إن أبي خرج فاراً إلى الله تعالى، ليتني أراه ولو مرة واحدة، وتخرج نفسي عند ذلك. هيهات. وخنقته العبرة، وقال: والله أودُّ أني رأيته وأموت في مكاني. قال: ثم رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد في المقام، وقد بلَّ الحصى بدموعه وهو يتضرَّع إلى الله تعالى ويقول:

هجرتُ الخلقَ طراً في هواكا ... وأيتمتُ العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني في الحبِّ إرْباً ... لما سكن الفؤادُ إلى سواكا

قال: فقلت له: ادع له. فقال: حجبه الله عن معاصيه، وأعانه على مايرضيه.

* * *

إبراهيم بن أدهم ومحاورة مع أعرابي:

حُكي عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسير إلى بيت الله راجلاً فإذا أعرابي على ناقة فقال: ياشيخ إلى أين؟ فقال إبراهيم: إلى بيت الله. قال: كيف وأنت راجل

لاراحلة لك؟ فقال: إنَّ لي مراكب كثيرة. فقال: ماهي؟ قال: إذا نزلَتْ عليَّ بليَّة ركبتُ مركب الصَّبر، وإذا نزلت عليَّ نعمةٌ ركبت مركب الشكر، وإذا نزل بي القضا، ركبت مركب الرِّضا، وإذا دعتني النفس إلى شيء علمتُ أن مابقي من العمر أقلُّ مما مضى. فقال الأعرابي: أنت الراكب وأنا الراجل.

* * *

سمنون المجنون وزهده في الدنيا والناس:

عن مالك بن دينار أنه قال: دخلتُ جبَّانة البصرة فإذا أنا بسمنون المجنون فقلت: كيف حالك وكيف أنت؟ فقال: يامالك، كيف حال من أصبح وأمسى يريد سفراً بعيداً بلا أهْبةٍ ولا زاد، ويقدم على ربٍّ عَدْلٍ حاكم بين العباد؟ ثم بكى بكاء شديداً فقلت: مايبكيك؟ قال: والله مابكيتُ حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت والبلى، ولكن بكيت ليوم مضى من عمري ولم يحسن فيه عملي، أبكاني والله قِلَّة الزاد، وبُعْد المسافة والعَقَبَة الكؤود، ولاأدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أم إلى النار. فقلت: إنَّ الناس يزعمون أنك مجنون. فقال: وأنت اغتررت بما اغتروا به، زعم الناس أني مجنون ومابي من جِنَّة، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي، وجرى بين لحمي ودمي، فأنا من حبه هائم مشغوف. فقلت: ياسُمْنون! فلم لاتجالس الناس ولاتخالطهم؟ فأنشد:

كن من الناس جانبا　　　وارضَ بالله صاحبا
قلّبِ الناس كيف شئـ　　　ـتَ تجدْهُمْ عقاربا

* * *

الحلاج عدَّ نفسه غريباً:

قيل: لما قُدِّمَ الحَلاجُ للقتل قُطعت يدهُ اليمنى فضحك، ثم قطعت اليُسرى فضحك ضحكاً بليغاً، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يامولاي، إني غريب في

عبادك، وذكرك أغربُ مني، والغريب يألف الغريب، ثم ناداه رجلٌ وقال: ياشيخ، ماالعشق؟ قال: ظاهره ماترى، وباطنه دَقَّ عن الورى.

«روح البيان» في قصة موسى وقومه في البقرة

* * *

أبو يزيد والافتقار إلى الله ونسيان الأعمال الصالحة:

قال أبو يزيد قُدّس سرُّه: جمعتُ فكري وأحضرتُ ضميري ومثَّلتُ نفسي واقفاً بين يدي ربي فقال لي: ياأبا يزيد، بأي شيءٍ جئتني؟ قلت: يارب بالزُّهد في الدنيا. قال: ياأبا يزيد إنما كان مقدارُ الدنيا عندي مثل جناح بعوضة،ففيم زهدتَ منها؟ فقلت:إلهي وسيدي أستغفرك من هذه الحالة، جئت بالتوكل عليك. قال جلّ وعلا: ياأبا يزيد، ألم أكن ثقةً فيما ضمِنْتُ لك حتى توكّلْتَ علي؟ قلت: إلهي وسيدي أستغفرك من هاتين الحالتين، جئتك بالافتقار إليك. فقال جلَّ وعلا عند ذلك: الآن قبلْناك.

فهذه حال العارفين بالله تعالى، وفَوا عهودَهم في طلبه فجعلهم الله أمناء لأسراره.

* * *

أويس القرني والكلب:

حُكي أن أويساً القَرَني رضي الله عنه كان يقتاتُ ويكتسي مما وجد في المزابل، فرأى يوماً كلباً يهترّ فقال: كُل مايليك وأنا آكل ما يليني، فإنْ دخلتُ الجنة فأنا خير منك، وإن دخلتُ النار فأنت خيرٌ مني.

* * *

إبراهيم الخواص وألم الشهوة:

قال إبراهيم الخواص رحمه الله: كنتُ في جبل لُكام فرأيت رُمّاناً فاشتهيته،

فدنوتُ فأخذتُ منه واحدة، فشققتُها فوجدتُها حامضة، فمضيت وتركتها. فرأيتُ رجلاً مطروحاً قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله لايخفى عليه شيء. فقلت له: أرى لك حالاً مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير! فقال: وأرى لك حالاً مع الله فلو سألته أن يقيك شهوة الرُّمان، فلَدْغُ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة، ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا. فتركته ومشيت.

* * *

الإيثار عند الأولياء:

حُكي أنّ غلام الخليل سعى بالصوفية إلى خليفة ببغداد، وقال: إنّهم زنادقة فاقْتُلْهم، ولك ثوابٌ جزيل، فأحضرهم الخليفة وفيهم الجنيد والشبلي والنوري فأمر بضرب رقابهم، فتقدّم أبو الحسين النوري. فقال السياف: أتدري إلامَ تبادر؟ فقال: نعم. فقال: ومايُعجِلُك؟ فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة. فتحيَّر السيافُ وأنهى الأمر إلى الخليفة، فتعجَّب الخليفة ومَنْ عنده من ذلك، فأمر بأن يختبرَ القاضي حالَهم، فقال القاضي: يخرج إليّ واحدٌ منهم حتى أبحث معه. فخرج إليه أبو الحسين النوري،فألقى إليه القاضي مسائل فقهية، فالتفت عن يمينه ثم التفت عن يساره، ثم أطرق ساعة، ثم أجابه عن الكل، ثم أخذ يقول: وبعد، فإنَّ لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله. وسرد كلاماً أبكى القاضي. ثم سأله القاضي عن التفاته فقال: سألتني عن المسائل ولاأعلم لها جواباً، فسألتُ عنها صاحبَ اليمين فقال: لاعلم لي، ثم سألت عنها صاحب الشمال فقال: لاعلم لي، فسألت قلبي فأخبرني قلبي عن ربي فأجبتك بذلك. فأرسل القاضي إلى الخليفة: إنْ كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم.

* * *

القرآن وفضائله وتفسير بعض الآيات

حب ابن مسعود للقرآن وإخلاصه:

رُوي أنه لما نزلت سورة الرحمن نادى المصطفى ﷺ في أصحابه: «مَنْ يتلوها على رؤساء قريش؟» وكرَّر ﷺ نداءَه ثلاث مرات، وفي كلِّ مرةٍ لم يقم إلا ابن مسعود رضي الله عنه. ففي المرَّة الثالثة أذن له، وكان ﷺ يُبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جُثته. ثم إنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حولَ الكعبة، فلما بدأ بتلاوة السورة قام أبو جهل فلطمه فشقَّ أذنَهُ وأدماها، فانصرف وعينُهُ تدمع، فلما رآه النبيُّ ﷺ رقَّ قلبه، وأطرق رأسَه مغموماً، فإذا جبريل جاء ضاحكاً مستبشراً، فقال ﷺ: «ياجبريل، تضحك ويبكي ابنُ مسعود»؟ فقال: سيعلم. فلما ظفر المسلمون يومَ بدر التمس ابنُ مسعود أن يكون له حظٌّ في الجهاد. فقال له النبي ﷺ: «خُذْ رمحك والتمسْ في الجرحى مَنْ كان له رمَق فاقتلْه، فإنك تنال ثواب المجاهدين». فأخذ يطالع القتلى فإذا أبو جهل مصروعٌ يَخُور، فخاف ابن مسعود رضي الله عنه أن تكون به قوةٌ فيؤذيه، فوضع الرمحَ على منخره من بعيد فطعنه. ولعلَّ هذا ماوُعِد به من قوله تعالى: ﴿سنسِمُهُ على الخُرطوم﴾ [القلم: ١٦] ثم لما عرف عجزَه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعْفه، فارتقى عليه بحيلة، فلما رآه أبو جهل قال له: يارُويعي الغنم، لقد ارتقيت مُرتقى صعباً. فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولايُعْلى عليه. فقال له أبو جهل: بلِّغ صاحبك أنه لم يكن أحدٌ أبغضَ إليَّ منه في حال مماتي.

فروُي أنه ﷺ لما سمع ذلك قال: «فرعوني أشدُّ من فرعون موسى فإنه قال: آمنت، وهو قد زاد عتُواً».

ثم قال أبو جهل له: ياابن مسعود، اقطع بسيفي هذا لأنه أحدُّ وأقطع. فلما

قطع رأسه لم يقدرْ على حمله، فشقّ أذنه وجعل الخيط فيها وأخذ يجرُّه كجرٍ الكلب الميت، وجبريل بين يديه يضحك ويقول: «يامحمد أذنٌ بأذن». وبذلك تحقق الوعيد المذكور بقوله تعالى: ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ [العلق: ١٥].

وفي كتاب «حلية الأولياء» لأبي نُعيم: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال: إني جئتك من عند رجلٍ يُملي المصحف عن ظَهْر قلب. ففزع عمر وغضب وقال: ويْحَك، انظر ماتقول. قال: ماجئتُك إلا بالحق. قال: مَنْ هو؟ قال: عبد الله بن مسعود. قال: ماأعلم أحداً أحقّ بذلك منه، وسأحدثك عن عبد الله بن مسعود، إنَّا سمَرْنا ليلةً في بيتٍ عند أبي بكر في بعض مايكون من حاجة النبيّ ﷺ، ثم خرجنا ورسولُ الله ﷺ يمشي بيني وبين أبي بكر، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجلٌ يقرأ، فقام النبيُّ ﷺ يستمعُ إليه، فقلت: أعتمت؟ فغمزني بيده: اسكتْ. قال: فركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر فقال النبي ﷺ: «سَلْ تُعطَهْ». ثم قال: «من سرَّهُ أن يقرأ القرآن رَطْباً كما نزل، فليقرأ قراءة ابنِ أمِّ عبد». فعلمتُ أنا وصاحبي أنه عبدُ الله. فلما أصبحت غدوتُ إليه لأبشِّرَه. فقال: سبقك بها أبو بكر. وماسابقتُه قطُّ إلى خيرٍ إلا سبقني إليه.

ثم ذكر أبو نعيم بقية من روى هذه القصة.

* * *

دعاء عبد الله بن مسعود:

وفي رواية قال لعمر: إنَّ لي دعاءً ماأكاد أن أدعه: اللهمَّ إني أسألك إيماناً لايبيد، ونعيماً لاينفد، وقرة عين لاتنقطع أو لاتبيد، ومرافقة النبي ﷺ في الجنة.

وساق سند روايةٍ أخرى قال: بينما عبد الله يدعو به إذ مرَّ به رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر، فلما جازَ به رسول الله ﷺ سمع دعاءه ورسول الله لايعرفه

فقال: «من هذا؟ سل تُعْطَهْ». فرجع ابو بكر إلى عبد الله فقال: الدعاء الذي كنت تدعو به آنفاً أعِدْهُ عليّ. فقال: حمدتُ الله ومَجَّدْتُهُ ثم قلت: لا إله إلا أنت، وعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، ورسلك حق، وكتابك حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق.

وساق سنده إلى ابن مسعود وقال: قال رسول الله ﷺ «تمسكوا بعهد عبد الله ابن مسعود».

* * *

عهد ابن مسعود مع الله:

عن غالب القطان قال: أتيتُ الكوفة في تجارة، فنزلتُ قريباً من الأعمش، فكنت أختلفُ إليه، فلما كنتُ ذات ليلة رأيته قام من الليل متهجِّداً فمرَّ بهذه الآية: ﴿شَهِدَ اللهُ أنَّه لاإله إلا هو والملائِكَةُ وأُولُوا العِلمِ قَائِماً بالقِسْطِ لا إلهَ إلا هُوَ العَزيزُ الحَكِيم﴾ [آل عمران: ١٨]. قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله واستودعُ الله هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة، إنَّ الدين عند الله الإسلام. قالها مراراً. قلت: لقد سمع فيها شيئاً. فصلَّيت معه وودَّعته ثم قلت: آية سمعتُك تردِّدُها فما بلغك فيها؟ قال: والله لاأحدثك بها إلى سنة. فلبثتُ على بابه من ذلك اليوم فأقمتُ سنةً، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة. قال: حدثني أبو وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى: إن لعبدي هذا عندي عَهْداً وأنا أحقُّ من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة».

* * *

فطنة عليٍّ في فهم القرآن:

حُكي أن رجلاً أتى عمر رضي الله عنه فقال: إني أحبُّ الفتنة وأكرهُ الحقّ،

وأشهد بما لم أره. فحبَسَه عمر رضي الله عنه فبلغَتْ قصتُّه علياً رضي الله عنه فقال: ياعمر حبَسْتَهُ ظلماً. فقال: كيف ذلك؟ قال: لأنه يُحِبُّ المال والولد، قال تعالى: ﴿أنَّمـا أَمْوَالُكُـمْ وأَوْلادُكم فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]. ويكره الموت وهو الحقّ قال تعالى: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحَقّ﴾ [ق: ١٩]، ويشهدُ بأن الله واحدٌ ولم يره. فقال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر.

* * *

فضل بسم الله الرحمن الرحيم:

في الحديث: «لايردّ دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم».

وفي الحديث أيضاً: «من رفع قرطاساً من الأرض مكتوباً عليه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً له ولاسمه عن أن يدنَّس كان عند الله من الصدِّيقين وخفف عن والديه وإن كانا مشركين».

وذكر الشيخ أحمد البونيّ في «لطائف الإشارات»: إنّ شجرة الوجود تفرعت عن بسم الله الرحمن الرحيم، وإن العالم كله قائم بها جملة وتفصيلاً فلذلك من أكثر من ذكرها رزق الهيبة عند العالم العلوي والسفلي.

وكتب قيصر ملك الروم إلى عمر رضي الله عنه: إنَّ بي صداعاً لايسكن فابعث إلي دواء إن كان عندك، فإنّ الأطباء عجزوا عن المعالجة، فبعث له عمر رضي الله عنه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه وإذا رفعها عن رأسه عاد صداعه، فتعجب منه، ففتش في القلنسوة فإذا فيها كاغد مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم.

* * *

فضل قراءة سورة (ق):

في الحديث: «من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته».

وقيل: تارات الموت: إفاقاته وغشياته.

مايقرأ الخطيب في آخر الخطبة:

قال السيوطي في كتاب «الوسائل»: أول من قرأ في آخر الخطبة: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية عمر بن عبد العزيز. ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا. وكان النبي ﷺ يقرأ ﴿ق﴾، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١-١٤]. وكان عثمان بن عفان يقرأ: الكافرون والإخلاص.

ذكر ذلك ابن الصلاح.

* * *

فضل لاحول ولاقوة إلا بالله وسبب نزول ﴿ومن يتَّقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾:

قال أكثر المفسرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]: إن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابناً له يسمى سالماً. فأتى عوفٌ إلى رسول الله ﷺ يشتكي إليه الفاقة وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرني؟ فقال رسول الله ﷺ: «اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثروا من قول: لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم». فعاد عوف إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول: لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم. فقالت: نِعْمَ ماأمرنا به. فجعلا يقولان؛ فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وهي أربعة آلاف شاة، واستاق من إبلهم خمسين بعيراً كما في رواية أخرى، وجاء بها إلى المدينة فقال أبوه للنبي ﷺ: أيحلُّ لي أن آكل مما أتى به ابني؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم». ونزلت الآية. كذا في «الصاوي».

* * *

أسباب نزول ﴿لاتحرِّموا طيبات ماأحلَّ الله لكم﴾:

قال الله تعالى: ﴿ياأيُّها الذين آمَنُوا لاتُحَرِّموا طيِّباتِ ماأَحَلَّ اللهُ لكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

قال أهل التفسير:

ذكر النبيُّ ﷺ يوماً النارَ، ووصف القيامة وبالغ في الإنذار، فرقَّ له الناسُ وبكَوا. فاجتمع عشرةٌ من الصحابة في بيت عثمانَ بن مظعون الجُمَحي وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبَسوا المُسوح ويجبّوا مذاكيرَهم، ويصوموا الدهرَ ويقوموا الليل، ولاينامـوا على الفُرش، ولا يأكلوا اللحم والوَدَك، ولايقربوا النساء والطيب، ويسيحوا في الأرض. فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفْه فقال لامرأته أمِّ حكيم بنت أمية، واسمها خولة وكانت عطّارة: «أحقٌّ مابلغني عن زوجك وأصحابه؟» فكرهتْ أن تكذب على رسول الله ﷺ، وكرهتْ أن تُبدي أمر زوجها فقالت: يارسول الله، إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق. فرجع رسولُ الله ﷺ. فلما جاء عثمان أخبرته زوجته بذلك، فمضى إلى رسول الله ﷺ. فسأله النبيُّ ﷺ عن ذلك. فقال: نعم. فقال عليه السلام: «أما إني لم آمُرْ بذلك. إنّ لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدَّسَم، وآتي النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني».

ثم جمع الناس وخطبهم وقال: «مابالُ قومٍ حرَّموا النساء والطعام والطيب والنوم، وشهوات الدنيا، أما إني لا آمركُم أن تكونوا قسِّيسينَ ولا رهباناً، فإنه ليس من ديني تَرْك اللحم والنساء، ولا اتخاذُ الصوامع، وإنّ سياحة أمتي ورهبانيتهم الجهاد، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، واستقيموا يستقمْ لكم. فإنما هلك من قبلكم

بالتشديد، شددّوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم. فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع» فأنزل الله هذه الآية.

* * *

أسباب نزول ﴿كُلُّ الطعام كان حِلاً...﴾:

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعام كانَ حِلاً لبني إسرائيلَ إلا ما حَرَّمَ إسرائيلُ على نَفْسِهِ من قَبْلِ أَنْ تُنَزَّل التَّوراةُ﴾ (آل عمران: ٩٣).

قال الخازن: سببُ نزول هذه الآية أنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: إنك تزعمُ أنكَ على مِلَّة إبراهيم، وكان إبراهيم لا يأكلُ لحومَ الإبل وألبانها، وأنت تأكل ذلك كلَّه، فلستَ على مِلَّته، فقال النبي ﷺ: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم» قالوا: كلُّ ما نحرِّمُه اليوم كان ذلك حراماً على نوحٍ وإبراهيم، حتى انتهى إلينا، فأنزل الله عزَّ وجل ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاً لبني إسرائيلَ إلا ما حَرَّمَ إسرائيلُ على نَفْسِهِ﴾- وهو يعقوب- ﴿من قَبْلِ أن تُنَزَّلَ التَّوراة﴾ [آل عمران: ٩٣] -يعني ليس الأمر على ما تدَّعيه اليهودُ من تحريم لحوم الإبل على إبراهيم، بل كان ذلك حلالاً على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وإنّما حرَّمه يعقوب بسببٍ من الأسباب وبقيَت تلك الحُرْمةُ في أولاده، فأنكر اليهودُ ذلك، فأمرهم رسول الله ﷺ بإحضار التوراة، وطلب منهم أن يستخرجوا منها أنَّ ذلك كان حراماً على إبراهيم، فعجزوا عن ذلك، وافتضحوا وبانَ كذبُهم فيما ادَّعَوا من حرمة هذه الأشياء على إبراهيم.

قال: وكان أصل وجعه فيما روي عن الضحاك أنَّ يعقوبَ كان نذر لئن وهب الله له اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح أحدَهم- وفي رواية آخرَهم- فتلقَّاه ملك من الملائكة وقال: يايعقوب إنك رجلٌ قوي، فهل لك في الصراع؟ فعالجه فلم يصرعْ أحدهما صاحبَه، فغمزه الملَكُ غمزةً فعرض له عِرْقُ النَّسا من ذلك، ثم قال: أما إني لو شئتُ أن أصرعَك لفعلت، ولكن غمزتُك هذه

الغمزة، لأنك قد نذرت إنْ أتيتَ بيتَ المقدِس صحيحاً ذبحتَ آخرَ ولدِك، فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً. فلما قدِم يعقوبُ بيت المقدس أراد ذبحَ ولده ونسي ماقاله الملَكُ، فأتاه الملك وقال له: إنّما غمزتُك للمخرج وقد وفّي نذرُك فلا سبيلَ لك إلى ذبح ولدك.

قال الخازن: قيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الأطباءُ أن يجتنبَ لحومَ الإبل فحرَّمها يعقوب على نفسه.

وثمة أقوال أخر ذكرها الخازن بالتفصيل، وإنّي أميل إلى هذه الرواية التي استفردت ذكرها أنّ الأطباء وصفوا له الامتناع عن أكل لحوم الإبل لأنه كان يحبُّها، واللحوم مدعاة لهذا المرض لمن به استعدادٌ له والله أعلم.

* * *

أسباب نزول: ﴿ولو أنَّ قرآناً سُيِّرت....﴾:

روي أن نفراً من المشركين منهم: أبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية قالوا: يامحمد! إن يسرُّك أن نتّبعك فسَيِّر لنا بقرآنك الجبال عن حوالي مكة، فإنها ضيقة حتى تتسع لنا الأرض فنتخذ البساتين والمحارث، وشقِّق الأرض، وفجِّر الأنهار والعيون كما في أرض الشام، وأحْيِ رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا، منهم قصيّ بن كلاب، ليكلّمونا ونسألهم عن أمرك أحقٌّ ماتقول أم باطل؟ فلما اقترحوا عليه ﷺ هذه الآيات نزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ به الجِبالُ أو قُطِّعتْ به الأَرْضُ أو كُلِّمَ به المَوْتَى بَل للهِ الأَمْرُ جَميعاً﴾ [الرعد: ٣١] وجواب شرط لو محذوف تقديره: لكان هذا القرآن لعظم شأنه. فلما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لقد أعطاني ماسألتم، ولو شئتُ لكان، ولكن خيَّرَني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى مااخترتم لأنفسكم. فاخترتُ باب الرحمة. وأخبرني أنه إنْ أعطاكم

ذلك ثم كفرتم أن يعذبكم عذاباً لم يعذِّبْه أحداً من العالمين».

* * *

أسباب نزول ﴿ورَحْمَتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ﴾ :

قال تعالى : ﴿ورَحمَتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ فسأكْتُبُها للذينَ يَتَّقونَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ والّذينَ هُمْ بآياتنا يُؤْمِنُونَ * الذين يتَّبعون الرَّسولَ النَّبيَّ الأمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

عن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية ﴿ورَحْمَتي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] تطاول إبليس فقال: أنا شيء من الأشياء. فأخرجه الله تعالى منها بقوله: ﴿فسأكْتُبُها للذينَ يتَّقونَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ والّذينَ هم بآياتِنا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فقالت اليهود والنصارى: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا. فأخرجهم الله تعالى منها بقوله: ﴿الذينَ يتَّبِعونَ الرَّسولَ النَّبيَّ الأمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فيئِسَ اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصَّة، فهم خُلقوا للرحمة، ودخلوا الجنة بالرحمة، ولهم الخلود في الرحمة، وبقي العذاب للشيطان وأتباعه، ولهم الخلود في النار كما قال تعالى: ﴿ولا يَجِدونَ عنها مَحِيصاً﴾ [النساء: ١٢١].

* * *

أرجى آية في القرآن:

قال تعالى : ﴿ذَلكَ بأنَّ الله مَوْلَى الّذينَ آمَنُوا وأنَّ الكافِرينَ لامَوْلَى لهم﴾ [محمد: ١١]. يقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية لأنّ الله تعالى قال: مولى الذين آمنوا ولم يقل مولى الزهاد والعُبَّاد وأصحاب الأوراد والاجتهاد، والمؤمن وإن كان عاصياً فهو من جملة الذين آمنوا. ذكره القشيري قُدِّس سِرُّه.

تفسير آية ﴿عسى الله أن يجعل بينكم...﴾:

قال تعالى: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُم وبينَ الّذين عادَيْتُمْ مِنهم مَوَدَّةً واللهُ قَدِيرٌ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [الممتحنة: ٧].

قال ابن عطاء رحمه الله في تفسيرها: لاتبغضوا عبادي كلّ البُغض؛ فإني قادرٌ على أن أنقلكم من البُغْض إلى المحبَّة، كنقلي لكم من الحياة إلى الموت، ومن الموتِ إلى النشور.

* * *

وكان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قرأ: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ من الميِّت﴾ [الأنعام: ٩٥] لأنهما كانا من خيار الصحابة، وأبواهما أعدى عدوٍ لله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسبُّ أباه فقال عليه الصلاة والسلام «لاتؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات».

وفي الحديث: «من نظر إلى أخيه نظرة ودٍّ غفر الله له».

* * *

مفاتح الغيب خمسة لايعلمها إلا الله:

رُوي أنَّ منصوراً الدوانيقي أهمَّه مُدَّةُ عمره، فرأى في منامه شخصاً أخرج يدَهُ من البحر وأشار بالأصابع الخمس، فاستفتى العلماء في ذلك، فتأولوه بخمس سنين وبخمسة أشهر، وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة: تأويله أنَّ مفاتح الغيب خمسةٌ لايعلمها إلا الله، وأنَّ ماطلبتَ معرفته لاسبيل لك إليه. أخذه أبو حنيفة رحمه الله من قوله عليه السلام: «مفاتح الغَيْب خمسة» وتلا قوله تعالى: ﴿إنَّ الله عندَهُ عِلْمُ السَّاعة ويُنَزِّل الغَيْثَ ويَعْلَمُ مافي الأَرْحامِ وماتَدْري نَفْسٌ ماذا تكسِبُ غداً وماتَدْري نَفْسٌ بأيِّ أَرضٍ تَمُوت﴾ [لقمان: ٣٤].

* * *

تعريف الغريب في تفسير آية:

سُئل أبو يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه عن الغريب. قال: الغريب مَنْ إذا طلبه الخَلْقُ في الدنيا لم يجدوه، ولو طلبه مالكٌ في النار لم يجده، ولو طلبه رضوانٌ في الجنة لم يجده. فقيل أين يكون ياأبا يزيد؟ فقال: ﴿إنَّ المتَّقينَ في جنَّات ونَهَر﴾ [القمر: ٥٤] الآية. قال النبي ﷺ: «الفقراء جلساء الله».

* * *

تعريف الغريب:

قال إبراهيم الحموي لجماعة: من تعدُّون الغريب في زمانكم هذا؟ قال أحدهم: الغريب من نأى عن وطنه. وقال آخر: من فارق أحبابه. فقال إبراهيم: الغريب صالحٌ عاش بين صالحين، إن أمر بمعروف آزروه، وإن نهى عن منكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا ماشَوه، ثم ماتوا وتركوه.

قلت: ولو أشار لهم بالحديث حين قال ﷺ: «إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» لاكتفوا به.

* * *

أصناف الذر الذي سمع قوله تعالى ﴿ألست بربكم﴾:

قال تعالى: ﴿ومثَلُ الَّذينَ كفَرُوا كمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لايَسْمَعُ إلا دُعاءً ونِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لايَعْقِلون﴾ [البقرة: ١٧١].

إنَّ مثل الذين كفروا في عالم الأرواح حين خاطب الله تعالى عبادَه بقوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بربِّكُم﴾ [الأعراف: ١٧٢] ﴿كمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لايَسْمَعُ إلا دُعَاءً ونِداءً﴾ [البقرة: ١٧١].

وذلك أن الأرواح كانوا جنوداً مجنَّدة في أربعة صفوف: فأرواح الأنبياء كانت في الصف الأول، وأرواح الأولياء وراءهم في الصف الثاني، وأرواح

المؤمنين وراءهم في الصف الثالث. وأرواح الكفَّار وراء الجميع في الصف الرابع.

فالأنبياء سمعوا كلام الحقّ كفاحاً بلا واسطة ولا حجاب، وشاهدوا أنوار جماله فلا يهمُّهم سواه تعالى. وكان محمد ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه. والأولياء سمعوا كلام الحقِّ من وراء حجاب الأنبياء، ولهذا احتاجوا لمتابعتهم والاقتداء بهم.

والمؤمنون سمعوا من وراء حجاب الأنبياء والأولياء ولهذا آمنوا بالغيب وقالوا: ﴿سَمِعْنَا وأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

قال تعالى: ﴿ومَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْياً﴾ وهم الأنبياء ﴿أَوْ مِن وراءِ حِجابٍ﴾ وهم الأولياء ﴿أو يُرسِلَ رَسُولاً﴾ [الشورى: ٥١] وهم المؤمنون. ولذا كان كثيرٌ من الأولياء في عصر الفترة حين لم يكن رسول. والكفَّار لما سمعوا من وراء الحجب الثلاثة اشتبه عليهم فتفرَّقوا فِرَقاً، شبَّههم تعالى: ﴿كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لايَسْمَعُ إِلا دُعَاءً ونِداءً﴾ [البقرة: ١٧١].

* * *

قصة المتكلمة بالقرآن:

ومن حكايات «المستطرف» حكاية المتكلمة بالقرآن:

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: خرجتُ حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسوادٍ على الطريق فتميزت ذاك، فإذا هي عجوز عليها درعٌ من صوف وخمارٌ من صوف، فقلت: السلام عليكِ ورحمةُ الله وبركاته. فقالت: ﴿سَلامٌ قَوْلاً من ربٍّ رَحيم﴾ [يس: ٥٨] قال: فقلت لها: يرحمك الله ماتصنعين في هذا المكان؟ قالت: ﴿ومن يُضلِلِ اللهُ فلا هَادي له﴾ [الأعراف: ١٨٦] فقلت: إنها ضالَّةٌ عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: ﴿سُبحانَ الذي أَسْرى بعَبْده لَيْلاً من

المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ [الإسراء:١] فقلت: إنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت مذ كم في هذا الموضع؟ قالت: ﴿ثلاثَ ليَالٍ سَوِيّاً﴾ [مريم:١٠] فقلت: ماأرى معك طعاماً تأكلين. قالت: ﴿هو يُطْعِمُني ويَسْقِينِ﴾ [الشعراء:٧٩] فقلت: فبأي شيء تتوضئين؟ قالت: ﴿فلمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ [النساء:٤٣] فقلت لها: إنَّ معي طعاماً فهل لك في الأكل؟ قالت: ﴿ثُم أتِمُّوا الصِّيامَ إلى اللَّيلِ﴾ [البقرة:١٨٧] فقلت: ليس هذا شهر رمضان، قالت: ﴿ومن تَطَوَّعَ خيراً فإنَّ الله شاكِرٌ عليمٌ﴾ [البقرة:١٥٨] فقلت: قد أبيح لنا الإفطار في السفر، قالت: ﴿وأنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لكم إن كنتُمْ تَعْلَمُون﴾ [البقرة:١٨٤]. فقلت: لم لاتكلميني مثل ماأكلمك؟ قالت: ﴿مايَلْفِظُ من قَولٍ إلا لديهِ رَقيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨] فقلت: من أي الناس أنت؟ قالت: ﴿ولاتَقْفُ ماليسَ لكَ به عِلمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئكَ كانَ عنه مَسْؤولاً﴾ [الإسراء:٣٦] فقلت: قد أخطأتُ فاجعليني في حلّ، قالت: ﴿لاتَثْريبَ عليكم اليومَ يَغْفِرُ اللهُ لكم﴾ [يوسف:٩٢] فقلت: فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟ قالت: ﴿وما تَفْعَلوا من خيرٍ يَعْلَمْه الله﴾ [البقرة:١٩٧] قال: فأنَخْتُ ناقتي. قالت: ﴿قُل للمُؤمنينَ يَغُضُّوا من أَبْصَارِهِم﴾ [النور:٣٠] فغضضت بصري عنها وقلت لها: اركبي. فلما أرادت أن تركب نفرت الناقةُ فمزقت ثيابها، فقالت: ﴿وما أَصابَكُم من مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أيديكُم﴾ [الشورى:٣٠]. فقلت لها: اصبري حتى أعقِلَها، قالت: ﴿فَفَهَّمْنَاها سُليمانَ﴾ [الأنبياء:٧٩] فعقلتُ الناقة وقلت لها: اركبي، فلما ركبت قالت: ﴿سبُحانَ الّذي سَخَّرَ لنا هذا وما كُنّا له مُقْرِنينَ * وإنا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٣-١٤]، قال: فأخذتُ بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح، فقالت: ﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ واغْضُضْ من صَوْتِكَ﴾ [لقمان:١٩] فجعلتُ أمشي رويداً رويداً، وأترنم بالشعر،

فقالت: ﴿فاقْرَؤوا ماتَيَسَّر من القُرآن﴾ [المزمل: ٢٠] فقلت: لقد أوتيتِ خيراً كثيراً. قالت: ﴿ومايَذَّكَّرُ إلا أُولو الألْبابِ﴾ [آل عمران: ٧] فلما مشَيت قليلاً قلت: ألك زوج؟ قالت: ﴿ياأيُّها الذين آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عن أَشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُم تَسُؤْكم﴾ [المائدة: ١٠١] فسكتُّ ولم أكلمها حتى أدركتُ بها القافلة. فقلت: هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت: ﴿المَالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحياةِ الدُّنيا﴾ [الكهف: ٤٦] فعلمت أنّ لها أولاداً، فقلت: وماشأنهم في الحج؟ قالت: ﴿وعَلامَاتٍ وبالنَّجْمِ هم يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] فعلمت أنهم أدِلَّاء الرَّكب. فقصدت بها القباب والعمارات، فقلت: هذه القباب فمن لك فيها؟ قالت: ﴿واتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] ﴿وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿يايحيى خُذِ الكتابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] فناديت: ياإبراهيم ياموسى يايحيى.

فإذا أنا بشباب كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقرَّ بهم الجلوس، قالت: ﴿فابْعَثُوا أحَدَكُم بِوَرِقِكُم هذه إلى المَدينةِ فَلْيَنْظُرُ أيُّها أزْكى طَعَاماً فَلْيأْتِكُمْ بِرِزْقٍ منه ولْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩] فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدّموه بين يدي، فقالت: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُم في الأيّامِ الخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] فقلت: الآن طعامكم عليَّ حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أُمُّنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على مايشاء. فقلت: ﴿ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ من يَشَاءُ واللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٤] والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

شعبة وماترك من ختمات:

أبو بكر شعبة رفيق حفص في روايتهما عن عاصم بن أبي النجود، توفي

شعبة في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة، ومولده سنة خمس وتسعين، وكان إماماً علماً كبيراً عالماً عاملاً حُجَّةً من كبار أئمة السنة، ولما حضرته الوفاة بكتَ أخته، فقال: مايبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها ثمانية عشر ألف ختمة. كذا في «النشر» للإمام الجزري.

* * *

الأنبياء وقصصهم

الفرق بين شرائع الأنبياء:

قال في «روح البيان» :

شريعة إبراهيم عليه السلام هي الانقياد والتسليم، وشريعة موسى عليه السلام هي الاشتياق إلى جمال الربِّ الكريم، وشريعة عيسى عليه السلام هي الزُّهد والتجريد العظيم، وشريعة نبيّنا ﷺ هي الفقر الحقيقي المغبوط عند كلِّ ذي قلبٍ سليم. كما قال عليه السلام : «اللهم أغنني بالافتقار إليك».

* * *

غربة الغراب وألفة الحمامة:

في سورة هود من «تفسير الخازن» مانصُّه : قال العلماء بالسِّير : لما استقرت السفينة بعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه. فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها، ولطخت رجليها بالطين، فعلم نوح أن الماء قد ذهب؛ فدعا على الغراب بالخوف، فلذلك لايألف البيوت، وطوّق الحمامة بالخضرة التي في عنقها، ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت.

ورُوي أن نوحاً عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرَّت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق، وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعاً وأودع الحجر الأسود جبل أبي قُبيس. وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء ، فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكراً لله تعالى .

* * *

الحجر الأسود يمين الله في الأرض:

في الحديث: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه». فمن لم يُدْرِك بيعة رسول الله ﷺ فمسح الحجر، فقد بايع اللهَ ورسولَه.

وفي رواية: «الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده كما يصافح أحدكم أخاه».

* * *

نجاة العجوز من الطوفان:

حُكي أن عجوزاً كانت على دين نوح عليه الصلاة والسلام مؤمنة به. فقال لها: إن الله سيهلك أهل الأرض بالطُّوفان ويُنْجي المؤمنين بهذه السفينة. قالت له: أخبرني يانبي الله حينما يقع، ثم لما انقضى الطوفان أتَت إليه فقالت له: ألم تُخْبِرني أنه سيقع الطوفان ويُنجي الله المؤمنين بهذه السفينة فمتى يقع؟ قال لها: قد وقع. وعجب من أمرها، فإن الله قد أنجاها في بيتها من غير ركوب السفينة ولم تر الطوفان. وهكذا حماية الله لعباده المؤمنين.

* * *

الأنبياء الأحياء:

نبيان في الأرض أحياءٌ هما: الخضر والياس عليهما السلام.

ونبيان في السماء أحياءٌ هما: عيسى وإدريس عليهما السلام.

* * *

يروى أن الياس النبي عليه السلام أتى إليه ملك الموت ليقبضَ روحَه فبكى، فقال: أتبكي وأنت راجعٌ إلى ربك؟ فقال: بل أبكي على ليالي الشتاء ونهار الصيف. الأحباب يقومون ويصومون، ويخدمون ويتلذَّذون بمناجاة محبوبهم وأنا رهينُ التراب. فأوحى الله إليه قد أجَّلْناك إلى يوم القيامة لحبك خدمتنا فتمتَّعْ.

نبوة الخضر:

قصة موسى والخضر عليهما السلام صريحة بنبوة الخضر، لأنه كان يعملُ شيئاً ينكره موسى عليه السلام، فلو لم يكن نبياً مثله لم يجرؤ على مخالفته، لأن مخالفة الولي لنبيٍّ مرسل توجب كفره - والعياذُ بالله - والشواهد على هذا كثيرة، ولا يوجد وليٌّ خالف نبياً أبداً قال تعالى: ﴿ومن يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فأولئكَ مع الّذين أنْعَمَ اللهُ عليهم من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رَفِيقاً﴾ [النساء: ٦٩].

* * *

الخضر والولي:

قال أبو بكر الكتاني: قال لي الخضر: كنت بمسجد صنعاء، وكان الناسُ يستمعون الحديث من عبد الرزاق، وفي زاوية المسجد شاب في المَرْقَبَة[1]، فقلت له: لم لاتسمع من عبد الرزاق؟ قال: أنا أسمع كلام الرزاق، وأنت تدعوني إلى عبد الرزاق؟ فقلت له: إن كنت صادقاً فأخبرني من أنا؟ فقال: أنت الخضر.

* * *

قصة النبي يونس:

قال تعالى: ﴿وإنّ يُونسَ لَمِنَ المُرسلينَ * إذ أبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ * فسَاهَمَ فكان من المُدْحَضِينَ * فالتَقَمَهُ الحُوتُ وهو مُليمٌ * فلولا أنّه كانَ من المُسبِّحينَ * لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلى يوم يُبعَثونَ * فنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ وهو سَقِيمٌ * وأنبَتْنَا عليهِ شَجَرَةً من يَقْطِينٍ * وأرسَلْنَاه إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٧].

---

(١) المَرْقَبَة: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب اللسان.

﴿وذا النُّونِ إذْ ذهبَ مُغاضِباً فظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عليه فَنَادى في الظُّلُمَاتِ أن لا إله إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ من الظَّالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ومعنى ﴿أنْ لَنْ نَقْدِرَ عليه﴾ أنْ لن نُضيِّقَ عليه، كما قال تعالى: ﴿ومَن قُدِرَ عليه رِزْقُه﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمن يَشاءُ ويَقْدِر﴾ [الرعد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أوْلُو العَزْمِ من الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ولا تكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إذْ نَادى وهو مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

فصاحبُ الحوت لم يكن من أولي العَزْم كما أن آدم عليه السلام لم يكن من أولي العزم أيضاً، قال تعالى في حقِّ آدم: ﴿فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ له عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] ويونس نُسب إلى أمه مَتَّى كما نُسب عيسى إلى أمه مريم، وليس في القرآن منسوباً إلى أمه سواهما.

وقد أرسله الله إلى أهل نِينَوَى وهو ابن ثلاثين سنة، ومكَثَ فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة، ولم يؤمن به منهم سوى اثنين، فدعا عليهم، فاستُجيب له وبدأ نزولُ العذاب عليهم. فذهب مغاضِباً لهم، فلما رأوا بَدْءَ العذاب تابوا وخرجوا إلى الصحراء وعَجُّوا بالدعاء، وصار أحدهم يُخرج من أساس بنائه حجراً غصَبَهُ لغيره ليردَّه إليه. فلما علم الله صدق توبتهم كشفَ العذابَ عنهم.

فلما رأى يونس كشفَ العذاب عنهم ولم يعلم السببَ خافَ من الرجوع إليهم لئلا يتَّهموه بالكذب، فنزل بفُلْك فوقفَتْ، فقالوا: ههنا عَبْدٌ أبَقَ من مولاه. فقال لهم: أنا، فلم يجرؤوا أن يخرجوه لعلمهم بصلاحه. فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات.

وقيل إنّ الفلك ثَقُلَ عمن فيه فلم يمش، فاحتاجوا لإخراج أحدهم، فاقترعوا فخرجت القرعةُ عليه ثلاث مرات، فألقى نفسَه في البحر فالتقمه الحوت

وأوحى الله للحوت: إني لم أجعله لك غذاء، إنما جعلتك له مَسْكناً وحِرْزاً. فلبث في بطنه وهو يسبّح ويقول: ﴿لا إلهَ إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنتُ من الظَّالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وكان في ظلمات ثلاثة: ظلمةُ الليل، وظلمةُ البحر، وظلمة بطن الحوت.

* * *

تعوذ داود من أربعة أشياء:

قال داود عليه السلام: اللهمَّ إني أعوذ بك من مال يكون عليَّ فتنة، ومن ولد يكونُ عليَّ ربّاً، ومن حليلة تقرِّب المشيب، وأعوذ بك من جارٍ تراني عيناه، وترعاني أذناه، إن رأى خيراً دفنه، وإن سمع شراً طار به.

* * *

مناجاة موسى لربِّه فيمن يدخل النار:

روي أنّ موسى عليه السلام ناجى ربَّه فقال: يارب، خلقت خلقاً ربّيتهم بنعمتك، ثم تجعلُهم يوم القيامة في نارِك! فأوحى الله إليه: أن ياموسى قُم فازرَعْ زرعاً، فزرَعَه وسقاه وقام عليه وحصَدَه وداسه، فقال له: مافعلت بزرْعك ياموسى؟ قال: قد رفعتُه، قال: فما تركتَ منه شيئاً؟ قال: يارب تركتُ مالاخيرَ فيه، قال: ياموسى، فإني أدخل النار مالاخير فيه، وهو الذي يستنكف أن يقول: لا إله إلا الله.

* * *

من أمة موسى قوم في الصين:

في «روح البيان» بتفسير سورة الأعراف تحت قوله تعالى: ﴿ومِن قومِ موسى أمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وبه يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] مانصُّه:

الأشهر أن المراد بهذه الأمة قومٌ وراء الصين بأقصى المشرق وذلك أنّ بني

إسرائيل لما بالغوا في العتوّ والطغيان بعد وفاة موسى ووفاة خليفته يوشع حتى اجترؤوا على قتل أنبيائهم، ووقع الهَرْجُ والمَرجُ، تبرأ سِبْطٌ منهم مما صنعوا، واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرّق بينهم وبين أولئك الطاغين، ففتح الله لهم وهم في بيت المقدس نفقاً في الأرض، وجعل أمامهم المصابيح لتضيء لهم بالنهار، فإذا أمسَوْا أظلم عليهم النفق فنزلوا، فإذا أصبحوا أضاءت لهم المصابيح، فساروا ومعهم نهر من ماء يجري، وأجرى الله تعالى عليهم أرزاقهم فساروا فيه على هذا الوجه سنةً ونصف سنة، حتى خرجوا من وراء الصين إلى أرضٍ بأقصى المشرق طاهرةٍ طيِّبة فنزلوها وهم مختلطون بالسِّباع والوحوش والهوامّ، لا يضرُّ بعضهم بعضاً، وهم متمسكون بالتوراة، مشتاقون إلى الإسلام، لا يعصون الله تعالى طرفةَ عين، تصافحهم الملائكة وهم في منقطعٍ من الأرض لا يصلُ إليهم أحدٌ منا ولا أحد منهم إلينا. إما لأنّ بين الصين وبينهم وادياً جارياً من رمل فيمنع الناس من إتيانهم، - كما قال ابن عباس رضي الله عنه - أو نهراً من شَهْد كما قال السُّدي، وإنهم كبني أب واحد، ليس لأحدٍ منهم مالٌ دون صاحبه. يُمطرون بالليل ويضحون بالنهار، ويزرعون ويحصدون جميعاً، فيضعون الحاصل في أماكن من القرية فيأخذ كلُّ رجلٍ منهم بقَدْر حاجته ويدع الباقي.

* * *

رؤية النبيّ لقوم موسى ومحاورته معهم:

روي أنّ رسولَ الله ﷺ قال لجبرائيل ليلة المعراج: «إني أحِبُّ أن أرى القومَ الذين أثنى الله عليهم: ﴿ومن قوم موسى أمّةٌ يَهْدُون بالحقِّ وبه يَعْدِلون﴾ [الأعراف: ١٥٩]» فقال: إنَّ بينك وبينهم مسيرة ستِّ سنينَ ذهاباً وست سنين إياباً، ولكن سَلْ ربَّك حتى يأذَن لك. فدعا النبيُّ ﷺ وأمَّن جبريل، فأوحى الله تعالى إلى

جبريل أنه أجيب إلى ماسأل. فركب البراق فخطا خطواتٍ، فإذا هو بين أظهرُ القوم، فسلَّم عليهم وردُّوا عليه سلامه وسألوه: مَنْ أنت؟ فقال: «أنا النبيُّ الأميّ». قالوا: أنت الذي بشّر بك موسى عليه السلام وأوصانا بأن قال لنا: من أدرك منكم أحمد عليه الصلاة والسلام فليقرأعليه مني السلام؟ فردَّ رسول الله ﷺ على موسى سلامه، وقالوا: فمن معك؟ قال: «أوَ ترون؟» قالوا: نعم. قال: «جبريل». قال: «فرأيت قُبورهَم على أبواب دُورهم فقلت: فلم ذلك»؟ قالوا: أجْدَرُ أن نذكرَ الموتَ صباحاً ومساءً. فقال: «أرى بنيانكم مستوياً». قالوا: ذلك لئلا يُشرف بعضُنا على بعض، ولئلا يسدَّ أحدٌ الريح والهواء. قال: «فمالي لاأرى لكم قاضياً ولاسلطاناً»؟ فقالوا: أنصفَ بعضُنا بعضاً وأعطينا الحقَّ فلم نحتَجْ إلى قاضٍ يُنصف بيننا. قال: «فما لي لاأرى لكم أسواقاً»؟ قالوا: نزرع جميعاً ونحصدُ جميعاً، فيأخذ كلُّأحدٍ منَّا مايكفيه ويدَعُ الباقي لأخيه، فلا نحتاج إلى مراجعة الأسواق. قال: «فما لي أرى هؤلاء القومَ يضحكون»؟ قالوا: مات لهم ميت فيضحكون سروراً بما قبضه الله على التوحيد. قال: «فما لهؤلاء القوم يبكون»؟ قالوا: وُلد لهم مولودٌ فهم لايدرون على أيِّ دينٍ يُقبض فيغتمُّون لذلك. قال: «فإذا ولد لكم ذكر فما تصنعون»؟ قالوا: نصومُ لله شكراً شهراً. قال: «فالأنثى»؟ قالوا: نصوم لله شكراً شهرين. قال: «ولم»؟ قالوا: لأنّ موسى عليه السلام أخبرنا أنّ الصبرَ على الأنثى أعظمُ أجراً من الصبر على الذكر. قال: «أفتزنون»؟ قالوا: وهل يفعل ذلك أحد؟ لو فعل ذلك أحد لحصبَتْهُ السماء وخُسفت به الأرض من تحته. قال: «أفترابون»؟ قالوا: إنما يُرابي من لايؤمن برزق الله. قال: «أفتمرضون»؟ قالوا: لانمرض ولانذنب، إنما تذنب أمتك فيمرضون ليكونَ ذلك كفَّارةً لذنوبهم. قال: «هل في أرضكم سباع وهوامّ»؟ قالوا: نعم؟ تمرّبنا ونمرُّبها ولاتؤذينا ولانؤذيها. فعرض رسول الله ﷺ شريعته والصلوات الخمس عليهم

وعلمهم الفاتحة وسُوراً من القرآن. قال الحدّادي: أقرأهم عشر سور من القرآن، ولم يكن يومئذ نزلت فريضةٌ غير الصلاة والزكاة، فأمرهم بالصلاة والزكاة وأن يتركوا تحريم السبت ويجمعوا أمرهم أن يقيموا مكانهم. فهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا.

* * *

أشياء لاتُسأل:

أوحى الله إلى موسى: ياموسى لاتسأل الغنى فإنك لاتجده، وكل خلقي مفتقر إلي، وأنا الغني، ولاتسأل علم الغيب، فإنه لايعلم الغيب غيري، ولاتسألني أن أكف لسان الخلق عنك، فإني خلقتهم ورزقتهم وأميتهم وأحييهم وهم يذكرونني بالسوء ولم أكف لسانهم عني ولا أكف لسانهم عنك، ولا تسأل البقاء فإنك لاتجده وأنا الدائم الباقي.

* * *

العدل والحكم والقضاء

نصر المظلوم وكف المستهزئين عن النبي ﷺ:

ذكر الحلبي في «السيرة» قبيل الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة من أحاديث المستهزئين به ﷺ حديث الإراشي قال: وأما حديث المستهزئين فمما استهزئ به على رسول الله ﷺ ماحدَّث به بعضهم أنَّ أبا جهل بنَ هشام ابتاع من شخص يقال له الإراشي - بكسر الهمزة نسبةً إلى إراشة بطنٍ من خثعم - أجمالاً فمطله بأثمانها، فدلَّته قريشٌ على النبيّ ﷺ لينصفَهُ من أبي جهل استهزاءً برسول الله ﷺ، لعلمِهم بأنه لاقدرةَ له على أبي جهل، أي بعد أن وقف على ناديهم فقال: يامعشر قريش، من رجل يُعينني على أبي الحكم بن هشام فإني غريبٌ وابن سبيل، وقد غلبني على حقِّي. فقالوا له: أترى ذلك الرجل؟ يعنون رسول الله ﷺ، اذهبْ إليه فهو يعينك عليه. فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له حاله مع أبي جهل، أي قال له: ياأبا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقٍّ لي قِبَلَه، وأنا غريبٌ وابنُ سبيل، وقد سألتُ هؤلاء القومَ عن رجلٍ يأخذُ لي بحقي منه، فأشاروا إليك، فخُذْ بحقي منه يرحمُك الله. فخرج النبيُّ ﷺ مع الرجل إلى أبي جهل، وضرب عليه بابَه فقال: من هذا؟ قال: «محمد» فخرج إليه وقد انتقع لونُه - أي تغيَّر، وصار كلون النَّقْع الذي هو التراب، وهو الصفرة مع كُدْرَةٍ كما تقدم - فقال له: «أعط هذا حقه» قال: نعم. لاتبرَح حتى أعطيَهُ الذي له. فدفعه إليه. قال: ثم إنّ الرجل أقبل حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاهُ الله خيراً - يعني النبيَّ ﷺ فقد والله أخذَ لي بحقِّي. وقد كانوا أرسلوا رجلاً ممن كان معهم خلفَ النبيِّ ﷺ وقالوا له: انظر ماذا يصنع؟ فقالوا لذلك الرجل: ماذا رأيت. قال: رأيتُ عجَباً من العجب، والله ماهو إلا أن ضرب عليه بابَه، فخرج إليه ومامعه روحه، فقال:

«أعط هذا حقَّه» فقال: نعم، لاتبرحْ حتى أخرج إليه حقَّه، فدخل فخرج إليه بحقِّه، فأعطاه إليه، فعند ذلك قالوا لأبي جهل: ويلك مارأينا مثل ماصنعت! قال: ويحكم، والله ماهو إلا أن ضرب عليٌّ بابي وسمعت صوتَهُ فمُلئتُ رُعْباً، ثم خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسي فحلاً من الإبل مارأيت مثله قط، لو أبيت أو تأخرت لأكلني. وإلى هذه القصة أشارَ صاحبُ الهمزيَّة بقوله:

واقتضاهُ النبيُّ دَيْنَ الإراشي ... وقد ساء بيعُه والشراءُ
ورأى المصطفى أتاهُ بما لم ... ينج منه دون الوفاء النجاءُ
هو ماقد رآه من قبلُ لكن ... ماعلى مثله يُعدُّ الخطاءُ

أي رأى ماقد رآه قبل ذلك أيضاً لما أراد أن يلقي الحجرَ على النبيِّ ﷺ وهو ساجد، فرأى ذلك الفحل كأنه يأكله لو ألقاه. وتمامه فيه.

* * *

الظلم مهلكة:

قيل: كان لامرأة فقيرة كوخ صغير تأوي إليه بجانب قصر الملك، فأطلَّ الملك يوماً فرأى الكوخ فساءه منظره، فسأل عنه، قيل: لامرأة فقيرة. فأمر بهدمه. ولما رجعت لم تجد لها مأوى، وقيل لها: إنَّ الملك أمر بهدمه. فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: إلهي إذا كنت غائبة فأنت أين كنت؟ فخسف الله بالملك وقصره. والعياذ بالله من الظلم فإنه ظلمات.

* * *

عدل أنوشروان:

يحكى أنَّ أنوشران انقطع في الصيد عن القوم، فانتهى إلى بستان فقال لصبيٍّ فيه: أعطني رمَّانة، فأعطاه، فاستخرج من حبها ماء كثيراً سكن به عطشه، فأعجبه وأضمر أخذ البستان من مالكه، فسأله أخرى، فكانت عفصة قليلة الماء،

فسأل الصبيّ عنه فقال: لعل الملك عزم على الظلم، فتاب بقلبه وسأله أخرى، فوجدها أطيب من الأولى فقال الصبيّ: لعلّ الملك تاب، فتنبه أنوشران وتاب بالكلية عن الظلم فبقي اسمه مخلداً بالعدل.

* * *

قاض في الجنة وقاضيان في النار:

قال تعالى: ﴿ومَن لم يَحْكُم بما أنْزَلَ اللهُ فأولئكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

حكي أنّ بني إسرائيل كانوا ينصبون لإجراء الأحكام بينهم حكاماً ثلاثة، حتى إذا رفع الخصم الأمر إلى واحد منهم فلم يرض به الآخر ترافعا إلى الثاني ثم إلى الثالث، ليطمئن قلبه، فذات يوم تصوَّر مَلَك بصورة إنسان يريد امتحان هؤلاء الحكام. فركب على رَمَكَة (١) وقام على رأس بئر فإذا رجل أتى ببقرة له مع عجلها ليسقيهما، فلما سقاهما وأراد الرجوع أشار الملك إلى العجل فجاء إلى جنب الرمكة بإذن الله. فكلما ناداه صاحبه ودعاه لم يستمع ولم يذهب إلى الأم، فجاء الرجل ليسوقه بأي وجه يمكن، فقال المَلَك: ياهذا الرجل، إنّ العجل قد ولدته رمكتي هذه، فاذهب وخلّني وعِجْلي. فقال الرجل: ياعجباً! العجل ملْكي قد ولدته بقرتي هذه. فتنازعا وترافعا إلى القاضي الأول، فسبق المَلَك الرجل إلى القاضي، وقال: إن قضيت لي بالعجل دفعت لك كذا، فقبله القاضي، فلما تحاكما حكم بالعجل للمَلَك، فلم يرض به الرجل، فترافعا إلى الثاني، فحكم هو أيضاً بالعجل للمَلَك، فلم يرض به الرجل أيضاً، فترافعا إلى الثالث، فلما عرض الملك الرشوة عليه قال: لاأستطيع هذا الحكم، فإنّي قد حضت، فقال المَلَك: ماذا تقول؟ هل

---

(١) الرَّمَكَة: الفرس البِرْذَونة تتخذ للنسل.

تحيض الرجال؟ والحيض من خواص النساء! فقال القاضي له: تتعجب من كلامي ولاتتعجب من كلامك، فكما أنّ الرجال لاتحيض فكذلك الرَّمَكَـة لاتلد عِـجْلاً، فقال المَلِك: قاضيان في النار، وقاض في الجنة.

* * *

البيِّنة على من ادّعى واليمين على من أنكر:

قال تعالى: ﴿وآتيناهُ الحِكْمَةَ وفَصْلَ الخِطَاب﴾[ص: ٢٠] في «روح البيان» قال علي رضي الله عنه: فصل الخطاب: أن يطلب البيِّنة من المدعي، ويحلف اليمين من أنكر، لأن كلام الخصوم لاينقطع ولاينفصل إلا بهذا الحكم، قالوا: كان قبل ذلك قد علق الله سلسلة من السماء وأمر داود بأن يقضي بها بين الناس، فمن كان على الحق يأخذ السلسلة وتصل يده إليها، ومن كان ظالماً لايقدر على أخذ السلسلة، فاتفق أن رجلاً غصب من رجل آخر لؤلؤاً، فجعل اللؤلؤ في جوف عصاه، ثم خاصم المدّعي إلى داوود عليه السلام، فقال: إن هذا قد أخذ لؤلؤاً وإني صادق في مقالتي، فجاء وأخذ السلسلة ثم قال المدَّعَى عليه: خذ مني العصا فأخذ عصاه، فقال: إني دفعتُ اللؤلؤ إليه، وإني صادق في مقالتي. فجاء وأخذ السلسلة، فتحيَّر داوود في ذلك ورفعت السلسلة، وأمر عليه السلام بأن يقضي بالبيِّنات والأيمان.

* * *

المساواة بين الخصوم:

في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد قال: استعدى رجل على علي بن أبي طالب عمرَ بن الخطاب، وعلي جالس. فالتفت إليه فقال: قم ياأبا الحسن فاجلس مع خصمك. فقام فجلس معه. وتناظرا ثم انصرف الرجل، ورجع علي إلى مجلسه. فتبين عمر التغير في وجهه فقال: ياأبا الحسن! مالي أراك متغيراً؟

أكرهت ماكان؟ قال: نعم! قال: وماذاك؟ قال: كنَّيتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم ياعلي فاجلس. فاعتنق عمرُ علياً وجعل يقبل وجهه وقال: بأبي أنتم بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.

* * *

عجز الإسكندر أمام الحكماء:

قيل: إن الإسكندر وصل إلى جزيرة الحكماء، وهي جزيرة عظيمة فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر، وبيوتهم في الصخر والحجر، فسألهم مسائل من الحكمة، فأجابوا بأحسن جواب وألطف خطاب. فقال لهم: سَلُوا حوائجكم لتقضى.فقالوا: نسألك الخلد في الدنيا. فقال: وأنّى به لنفسي ومن لايقدر على نَفَسٍ من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد؟ فقال كبيرهم: نسألك صحة في أبداننا مابقينا. فقال: وهذا أيضاً لاأقدر عليه. قالوا: فعرِّفنا بقيَّة أعمارنا. فقال: لاأعرف ذلك لروحي، فكيف بكم؟ فقالوا له: فدعْنا نطلبْ ذلك ممن يقدرُ على ذلك وأعظم من ذلك. وجعل الناس ينظرون إلى كثرة الجنود وعِظَم موكب الإسكندر، وبينهم شيخٌ صعلوك لايرفع رأسه، فقال الإسكندر: مالك لاتنظر إلى ماينظر إليه الناس؟ فقال الشيخ: ماأعجبني الملك الذي رأيتُ قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك. فقال الإسكندر: وماذاك؟ قال الشيخ: كان عندنا ملك وآخر صعلوك فماتا في يوم واحد فغبت عنهما مدَّة ثم جئت إلى قبريهما واجتهدت أن أعرف الملك من المسكين فلم أعرفه. فتركهم الإسكندر وانصرف.

* * *

عظة الحكام:

حكي أن سليمان بن عبد الملك وهو سابعُ الخلفاء المروانية قال لأبي حازم: مالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون الانتقال من

العمران إلى الخراب. فقال: مالنا عند الله؟ قال: إن شئت ذلك ففي كتاب الله، فقال: أين أجده؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿إنَّ الأبْرَارَ لَفي نَعِيمٍ * وإنَّ الفُجَّارَ لَفي جَحيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤] قال: فكيف يكون العرض على الله تعالى؟ فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسروراً. وأما المسيء فكالآبق يقدَمُ على مولاه محسوراً. فبكى سليمان بكاء شديداً.

* * *

قيل: إن بهلول لقي الرشيد يوم العيد وعليه ثياب جديدة فقال له: ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن أمن من الوعيد. ليس العيد لمن تبخَّرَ بالعود، وإنما العيد لمن تاب ولا يعود، ليس العيد لمن ركبا المطايا، إنما العيد لمن ترك الخطايا، ليس العيد لمن جلس على البساط، إنما العيد لمن جاز الصراط، ليس العيد لمن بنى القصور، إنما العيد لمن تجهَّزَ للقبور.

* * *

حكي أن ذا القرنين اجتاز على قوم تركوا الدنيا وجعلوا قبور موتاهم على أبوابهم يقتاتون بنبات الأرض، ويشتغلون بالطاعة، فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم، فقال: مالي حاجة إلى صحبة ذي القرنين. فجاء ذو القرنين فقال: ماسبب قلة الذهب والفضة عندكم؟ قال: ليس للدنيا طلبٌ عندنا، لأنها لاتشبع أحداً، فجعلنا القبور عندنا حتى لاننسى الموت. ثم أخرج رأس إنسان وقال: هذا رأس ملك من الملوك كان يظلم الرعية ويجمع حطام الدنيا فقبضه الله تعالى وبقي عليه السيئات. ثم أخرج رأساً آخر وقال: هذا رأس ملك عادل مشفق فقبضه الله تعالى وأسكنه جنته، ورفع درجته. ثم وضع يده على رأس ذي القرنين وقال: من أي الرأسين يكون رأسك؟ فبكى ذو القرنين وقال: إن ترغب في صحبتي شاطرتك مملكتي وسلمت إليك وزارتي. فقال: هيهات. قال ذو القرنين: ولِمَ؟ قال: لأن الناس

أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أحبابي بسبب القناعة .

* * *

عهد أبي بكر لعمر بالخلافة والعدل في الحكم:

روي أنه لما أيس أبو بكر رضي الله عنه من حياته ، استكتب عثمان رضي الله عنه كتاب العهد وهو : هذا ماعهد ابن أبي قحافة إلى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر . ثم قال بعدما غشي عليه وأفاق : إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإن هو عَدُلَ فذلك ظنّي فيه ، وإن لم يعدل ﴿وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] .

* * *

عدل عمر بن عبد العزيز ومنزلته:

قال ابن الماجشون ـ والماجشون كان من أهل المدينة وكان مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة ـ : لما خرج روح أبي وضعناه على السرير فدخل عليه غاسل فرأى عرقاً يتحرك في أسفل قدمه فمكث ثلاثة أيام ثم استوى جالساً وقال : ائتوني بسويق ، فأتوا به فشرب ، فقلنا له : خبِّرنا مارأيت . قال : عُرِج بروحي فصعد بي المَلَك حتى أتى إلى السماء الدنيا فاستفتح ففتح له حتى انتهى إلى السابعة فقيل له من معك؟ قال : الماجشون . فقيل : لم يؤذن له بعد ، بقي من عمره كذا . ثم هبَطَ بي ، فرأيت النبيَّ ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ، وعمر بن عبد العزيز بين يديه فقلت للمَلَك : إنه لقريب المقعد من رسول الله عليه السلام قال : إنه عمل بالحق في زمن الجَور وإنهما عملا بالحق في زمن الحق .

* * *

حنكة ودهاء في الوصول إلى الحق:

أتت امرأة لرجل بأمانة أودعَتْها عنده ، ثم عادت إليه وطالبته بها فأنكرها ،

فألحَّت عليه فأنكرها . فقصت القصة على رجل وجيه بتلك المحلَّة فقال لها : إذا كان الغدُ فأته بالوقت الفلاني وأنا عنده فاطلبيها منه أمامي ولا تزيدي . قالت : نعم . فذهب ذلك الرجل وأحضر حُلِيًّا ثميناً مما عنده وعند جيرانه ، ووضع مع الحلي ألف دينار ذهباً ، وأتى إلى الرجل وقال له : أريد أن أضع عندك هذه الأمانة بدون علم أحد من أقاربي ، لأني أريد السفر لمكانٍ بعيد فإما أن أموت وإما أن أرجع ، فإن رجعتُ أخذتُها ، وإنْ مت فأنت تعطيها لأهلي ، والآن آخذها لأغلفها ثم أعيدها لك .

وهو بأثناء الكلام حضرت المرأة وقالت له : أعطني ماعندك من أمانتي . فناولها إياها حالاً . ثم ذهب الرجل بحُلِيِّه ليغلّفها ويعيدها إليه ، ثم لم يعد وقد وصل الحق لأهله .

وذكَّرَتني هذه القصة ماوقع لبعض ملوك بني العباس ، أنَّ أحد الناس شكا له أن فلاناً جحده أمانته ، فقال : غداً أمرُّ بموكبي من أمامه فكن أنت هناك . فإذا أتيتُك وسألتُك عن أمورك وماتحتاجه فلا تكترِث بي ، ثم بعد ذهابي سلْه أمانتك ، فإن لم يؤدها إليك فسوف يكون لنا معه شأن وشأن ، فقال : نعم . فلما مرَّ به في اليوم الثاني أمام خصمه وقف وقال له : هل لك من حاجة فنقضيها لك؟ هل لك من أمر فننفذه؟ هل لك من كذا؟ هل لك من كذا؟ وهو يقول : لا . إلى أن انصرفَ الموكب ، فقال له خصمه : مامعرفتك بالخليفة ومامناسبتك معه؟ فلم يزد أن قال له : أين أمانتي؟ فناوله إياها وانصرف . فأرسل له الخليفة مستفهماً فأخبَره وشكر له ودعا. والله أعلم .

* * *

الولاية والكرامة

أقسام الأولياء:

اعلم أن الأولياء على أقسام كل واحد منهم على قدم نبيٍّ من الأنبياء، فمنهم السليماني، ومنهم الإبراهيمي، ومنهم المحمدي صلى الله على متبوعيهم أجمعين.

فمن كان سليمانياً يغلب عليه إقبالُ الدنيا وهو يزهد بها ولايبالي، ومن كان على قدم محمدٍ ﷺ يجمع جميعَ الصفات العالمية ولكن يشتغل بنشر الدين في أي وسيلة. ومن كان على طريقة إبراهيم فمقامه مقام التوكُّل على الله لايبالي بالدنيا أقبلت أم أدبرت، ويكون معرَّضاً للمصائب، فإنّه عليه السلام قد ابتلاه الله بالإحراق بالنار، ثم ابتلاه بتغريب أهلِهِ، ثم ابتلاه بذَبْح ولده، وكل ذلك وهو متوكل على ربه.

* * *

الولاية والكرامة والنبوَّة والرسالة:

اعلم أن الولاية على قسمين: عامة، وهي مشتركة بين جميع المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿اللهُ وَليُّ الذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم من الظُّلماتِ إلى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧] وخاصة: وهي مختصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك. والولاية: عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به، ولايشترط في الولاية الكرامات الكونيَّة فإنَّها توجد في غيرِ الملة الإسلامية، لكن يشترط فيها الكرامات القلبيَّة كالعلوم الإلهية والمعارف الربَّانية، فهاتان الكرامتان قد تجتمعان كما اجتمعتا في الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أبي مدين المغربي قُدِّس سرُّهما، فإنَّه لم يأت من أهل الشرق مثلُ عبد القادر في الخوارق، ومن أهل الغرب مثل أبي مَدْيَن، مع مالهما من العلوم والمعارف الكلية. وقد تفترقانِ فتوجد الثانية دونَ الأولى كما في أكثر

الكُمَّل من أهل الفناء. وأمّا الكرامات الكونيّة كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وقطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، وغيرها فقد صدرت من الرهابنة والمتفلسفة الذين استدرجهم الحقُّ بالخذلان من حيث لايعلمون، والنبوة والرسالة كالسلطنة اختصاص إلهي ّلامدخل لكسب العبد فيها. وأما الولاية كالوزارة فلكسب العبد مدخل فيها.

* * *

الألم والحياء:

قيل: أُمر بضرب رجل بالسياط. فضُرب وهو يتجلّد. فقيل له: ألا يؤلمك الضرب؟ قال: بلى.. ولكن هنا من أستحي منه. فإذا صحت يتبذل أمامه ماء وجهي.

قال بعضهم: فحياء هذا الرجل من رجل مثله منعه الصياح. أفلا يمنعنا حياؤنا من الله أن نكون على أتم الأحوال معه؟ ولكن الغفلة عن الشهود تجعل العبد كأنه في جحود والعياذ بالله تعالى. ولذلك ورد أن رسول الله ﷺ إذا عاتب الإنسان يوم القيامة على ترك سننه يتساقط لحم وجهه حياء منه ﷺ. وماذاك إلا من تحقق الشهود يومئذٍ.

اللهم حققنا بحقائق أهل القرب. واسلك بنا مسالك أهل الجذب.

* * *

الخير والشر من الله تعالى:

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في جماعة من الناس، فلما دنَوا سلَّموا على رسول الله ﷺ فقال بعضُ القوم: يارسول الله، قال أبو بكر: الحسنات من الله والسيئات منا. وقال عمر: الحسنات والسيئات كلها من الله تعالى. فتابع بعض

القوم أبا بكر وبعض القوم عمر، فقال عليه السلام: «ماأقضي بينكما إلا كما قضى إسرافيل بين جبريل وميكائيل؛ أما جبريل فقال مثل مقالتك ياعمر، وأما ميكائيل فقال مثل مقالتك ياأبا بكر. فقال جبريل: إذا اختلف أهلُ السماء اختلف أهل الأرض، فهلم نتحاكم إلى إسرافيل. فقصّا عليه القصة، فقضى بينهما أن القدر خيره وشرّه من الله تعالى». ثم قال النبيّ ﷺ: «فهذا قضائي بينكما». ثم قال: «ياأبا بكر، لو شاء الله أن لايُعصى في الأرض لم يخلق إبليس».

* * *

الإيمان بالغيب:

قال حارث بن نُفير لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نحن نحتسب لكم ياأصحاب محمد ماسبقتمونا به من رؤية محمد ﷺ وصحبته.فقال عبد الله: ونحن نحتسب لكم إيمانكم به ولم تروه، وإنّ أفضل الإيمان إيمانٌ بالغيب. ثم قرأ عبد الله: ﴿الـّذينَ يُؤمنونَ بالغَيبِ﴾ [البقرة: ٣].

كذا في تفسير أبي الليث

* * *

الفرق بين مصطلح الإمامة والقطبية:

ذكر في كتاب «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» للسيد الشريف عبد الله محمد سراج الدين بن السيد عبد الله الرفاعي ثم المخزومي في أثناء ذكره محاسن السادة الأشراف وقتلهم حين تصدِّيهم للخلافة الظاهرية قال:

قال سيدنا السيد إبراهيم أبو إسحاق الأعزب الرفاعي: كلمتان مردودتان عند أهل البساطة: كلمة شريف يطلب نيل الإمامة الظاهرة بعد أن انعقدت على الإمامة الجامعية الروحية بيعة الأرواح لأهل البيت، وأمضى الله تعالى ورسولـه ﷺ لهم ذلك. وهاهي تنقلت بحمد الله فيهم ولاتنزع منهم حتى تختم لسيدنا الإمام ولي

الله المهدي عليه السلام .

والكلمة الثانية : كلمة رجل قال : إن قطبية الأقطاب يعني الغوثية ، والإمامة الكبرى الروحية تكون في غيرِ أهلِ البيت ، فإنَّ هذه الكلمة من عثرات ألسن بعضِ أهل الرأي ، لايُلتفت إليها ولايعوَّل عليها نعم المحاذاة للغوث ثابتة عند المتمكنين ، فقد يحاذي الوليُّ الذي ليس بشريف ، بمحض فضل الله وتوفيقه مرتبةَ الغوث الجامع ، ولكن لاينزل تلك المنزلة بعينها أبداً . وقال جماعة قد يمكن أن يسقط المحاذي الذي ليس بشريف على مرتبة الغوثية ، ويتصرف بمنزلتها عن طريق تسلُّق المرتبة الصديقية . ولكن يكون ذلك إذا لم يكن في عصره من أهل البيت من يتحمل طبيعة أعباء المنزلة . فيكون في تصرُّف ذلك الرجل تصرُّف خلعة لاتصرف مرتبة . فهو يتصرف بالخلعة التي ألقيت عليه من الغوث الشريف المتوفَّى أو المنخلع عن مرتبة التصرف تمكُّناً بمحبة الله وإعراضاً عن غيره ؛ كما وقع ذلك لسيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه حين نودي للغوثية بعد أن رُفع له علمها في الأكوان فأعرض عن حفلتها وتململ على الباب وقال : ياالله العفو العفو. واتّخذ ذريعتَهُ لذلك الجَدَّ الأعظم ﷺ ، فقبل الله منه ، وأفرغت عنه الخلعة للشيخ عبد القادر الجيلي قُدِّس سرُّه ، فتصرف بها مدة حياته حتى مات ثم رفع علم الغوثيَّة الجامعة والتصرُّف المحض للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه بإعادة خلعته الأصلية ثانياً ، فاشتهر بأبي العلمين في الكونين ، وكان لما رفع العلم الثاني أراد أن يتجرَّدَ عن التصرف لربّه والله تعالى قسم له نيل الوراثة المحمدية أدباً وتصرُّفاً ، فلما أراد التنصُّل من المرتبة بالبكاء والتذلُّل أحاطه نداءُ الغيب من كلِّ جانب أن تأدَّب ، فامتثل وبقي على حاله في منزلته حتى تمكَّن فيها بالترقي عنها إلى ماهو أعظم منها ، ومامن نعمة تُفْرَغُ على العبد إلا وفي خزانة الكرم ماهو أعظم وأجل منها .

* * *

الطرق إلى الله متنوعة:

قال في «روح البيان» في الكلام على أبي يزيد البسطامي والشمسي التبريزي: إنّ كلاً منهما على الكمال غايته، إنّ أبا يزيد البسطامي وصل من طريق الرياضة، والشمسي التبريزي وصل من طريق المعرفة، والطرق إلى الله كثيرة، ولكن طريق الرياضة أحكمُ وأثبت، فصاحبُ الزُّهد الغالب وإن لم ينفتح له الطريق زماناً، ولكنه إذا انفتح يكون دفعة. ولذلك لم يقدرِ الحلاج على ضبطه لكماله في الشريعة والطريقة، فظهر حقيقةُ الحال على الأسلوب المذكور. فعناية الله تعالى تهدي أولاً إلى القبول، ثم إلى الزهد والرياضة، ثم إلى العشق والحالة، ثم إلى عالم الحقيقة. والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق، فكلُّ أحدٍ يصلُ إلى الله تعالى من طريق، وهي غير متعينة.

* * *

كرامات الأولياء وتصديقها

بين ذي النون وأبي يزيد في المقامات والأحوال:

قال في «الرسالة القشيرية» :

المريد يسير والمراد يطير، فمتى يلحق السائر الطائر؟

وقيل: أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً قال له: قل له: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجل من ينام الليل كلَّه ثم يصبح في المنزل قبل القافلة. فقال ذو النون: هنيئاً له،هذا كلام لاتبلغه أحوالنا.

* * *

أبو يزيد البسطامي ورؤيته الله في المنام:

عن أبي يزيد البسطامي قال: رأيت ربي في المنام فقلت: يارب أين أجدك؟ قال: فارقْ نفسَك وتعال. فقلت: يارب كيف السبيل إلى أن أعرفك؟ فقال: اعرف نفسَك تعرفني بها. فقلت: يارب قصدي رضاك عني. فقال: وعزتي وجلالي لو عرف الناسُ مافي بطنك لرجموك. فقلت: وأنت أيضاً وعزتك لو عرفوك ماعبدوك[1]. فقال: يا أبا يزيد رضيت عنك فلا تقول ولا أقول، أنت عندنا مقبول.

في كتاب «تفسير الرؤيا» لسيدي شمس الدين العمري العرضي

* * *

من رأى أبا يزيد البسطامي اهتدى:

روي أن محمود الغازي دخل على الشيخ الرباني أبي الحسن الخرقاني قُدِّس سرُّه لزيارته. وجلس ساعة ثم قال: ياشيخ ماتقول في حق أبي يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه؟ فقال الشيخ: هو رجل من رآه اهتدى، واتصل بسعادة لاتخفى. فقال

---

(١) أي لو عرفوا واسع رحمتك لما عبدوك طمعاً بها واتكالاً عليها.

حمود: وكيف ذلك؟ وأبو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يخلص من الشقاوة.

فقال الشيخ في جوابه: إن أبا جهل ما رأى رسول الله ﷺ، إنما رأى محمد بن عبد الله. ولو رأى رسول الله ﷺ لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة. ثم قال: ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إليكَ وَهُمْ لايُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨]. فالنظر بعين الرأس لايوجب هذه السعادة. بل النظر بعين السر والقلب والمتابعة التامة تورث ذلك.

* * *

تنبُّؤ وليّ وصدقه:

كنت ليلةً عند العارف ابن طريف، فقدم لنا ثريداً بحمّص، فهمَمْنا بالأكل فاعتزل، فأمسكنا عن الأكل فقال: بلغني الآن أنّ حصنَ فلان أخذه العدو وأسر من فيه. فلما كان بعد وقت قال: كلُوا قد فرَّج الله عنهم. فجاء الخبر بعد ذلك بذلك.

وقد يوجد من مقامات الأولياء مشاركةُ أحدهم لمن بلغه أنه في ضيق أو بلاء أو محنة، حتى أنه يشاركُ المرأةَ في ألم الطلق والمعاقب في ألم الضرب بالمقارع، ويقال: إن الفضيل بن عياض كان على هذا، وصاحب هذا المقام لاتطلعُ الشمس ولاتغرب إلا وبدنه ذائبٌ كأنّه شرب سُمّاً.

* * *

الحر والبرد خلقان من خلق الله:

عن أحمد بن أبي الحَواريّ رحمه الله قال: كنتُ مع أبي سليمان الداراني قُدّس سرُّه في طريق مكة، فسقطت مني السَّطيحة ـ أي المزادة ـ فأخبرتُ أبا سليمان بذلك، فقال: يارادّ الضالّة، فلم ألبَثْ حتى أتى رجلٌ يقول: من سقطَت منه سطيحة؟ فإذا هي سطيحتي فأخذتها، فقال أبو سليمان: حسبتَ أن يتركنا بلا ماء يا أحمد؟ فمشَينا قليلاً وكان بردٌ شديد، علينا الفراء، فرأينا رجلاً عليه طِمران رثّان

وهو يترشح، فقال له أبو سليمان: نواسيك ببعض ماعلينا، فقال: الحرُّ والبَرد خَلْقانِ من خلَق الله تعالى، إنْ أمرهما غشِياني وإنْ أمرهما تركاني، وأنا أسيرُ في هذه البادية منذ ثلاثين سنة، ماارتعدتُ ولا انتفضتُ، يُلبسني من محبته في الشتاء، ويلبسني في الصيف مذاق بَرْد محبته.

* * *

عبور النهر بإذن الله على الدواب:

حكي أنَّ قتيبة بن مسلم لما دنا من بلدةٍ بخارى ليفتحها، فانتهى إلى جيحون. أخذ الكفار السفنَ حتى لايعبر جيش المسلمين عليها فقال قتيبة: اللهم إن كنت تعلم أني ماخرجت إلا للجهاد في سبيلك ولإعزاز دينك ولوجهك فلا تغرقني في هذا البحر، وإن خرجتُ لغير هذا فأغرقني في هذا البحر. ثم أرسل دابته في جيحون فعبره مع أصحابه بإذن الله.

* * *

كرامة وليَّة:

قال بعضهم: كنت في برية والقافلة خلفي فرأيت أمامي امرأة تمشي متكئة على عصا وهي ترتعد، فأعطيتها عشرين درهماً لتكتري بها مركوباً، فمدَّت يدها إلى الهواء وإذ فيها عشرون ديناراً فقالت لي: أنت تأخذ من الجيب وأنا آخذ من الغيب لاحاجة لي بدراهمك.

* * *

الزاهد سيار والعابد طيار:

عن عبد الواحد قال: قصدتُ بيت المقدس فضللت الطريق، فإذا بامرأة

أقبلت فقلت: ياغريبة أنت ضالة؟ فقالت: كيف يكون غريباً من يعرفه وكيف يكون ضالاً من يحبُّه؟ ثم قالت: خذ رأس عصاي وتقدم بين يدي، فأخذت رأس عصاها وتقدَّمت بين يديها ستَّ أقدام أو أقل أو أكثر، فإذا أنا بمسجد بيت المقدس، فدلكت عيني فقلت: لعل هذا غلط مني! فقالت: ياهذا سيرك سير الزاهدين، وسيري سير العابدين، فالزاهد سيَّار والعابد طيَّار، ومتى يلحق السيار بالطيار؟ ثم غابت عني فلم أرها بعد ذلك.

* * *

حسن الظن بكرامات الأولياء

بلوغ مقام الأبدال:

روي عن بعض شيوخ اليمن أنه خرج يوماً من زَبِيد نحو الساحل المعروف بالأهواز ومعه تلميذه، فمرَّ في طريقه على قصَب ذُرة كبار فقال للتلميذ: خُذْ معك من هذا القصب. ففعل المريد وتعجَّب في نفسه وقال: مامُرادُ الشيخ بهذا؟ ولم يقل له الشيخ شيئاً، حتى إذا بلغ إلى محلّةٍ للعبيد يقال لهم السَّناكِم، يأكلون الميتات، ويشربون المسكرات، ولايعرفون الصلوات. وإذا بهم يشربون ويلعبون ويلهون ويطربون ويغنُّون ويضربون، فقال الشيخ للتلميذ: ائتني بهذا الشيخ الطويل الذي يضرب الطبل، فأتاه التلميذ فقال له: أجب الشيخ، فرمى الطبلَ من رقبته ومشى معه إلى الشيخ، فلما وقف بين يديه قال الشيخ للتلميذ: اضربْهُ، فضربَه حتى استوفى منه الحَدّ، ثم قال له الشيخ: امش قدّامنا. فمشى حتى بلغوا البحر، فأمره الشيخ أن يغسل ثيابه ويغتسل، وعلّمه كيفيّة ذلك، وكيفية الوضوء ففعل، ثم علمه كيف يصلّي، وتقدَّم الشيخ فصلّى بهما الظهر، فلما فرغوا من الصلاة قام الشيخ ووضع سَجّادته على البحر وقال له: تقدّم. فقام ووضع قدميْه على السجادة ومشى على الماء حتى غاب عن العين، فالتفت التلميذُ إلى الشيخ وقال: وامصيبتاه واحسرتاه! لي معك كذا وكذا سنة ماحصل لي من هذا شيء، وهذا في ساعةٍ واحدة حصل له هذا المقام وهذه الكرامات العظام! فبكى الشيخ وقال: ياولدي وماذا كنتُ أنا؟ هذا فعلُ الله تعالى، قيل لي: فلان من الأبدال توفي فأقمْ فلاناً مقامَه، فامتثلت الأمر كما يمتثلُ الخدّام، ووددتُ أنّه حصل لي هذا المقام.

تفسير كلام الأولياء:

حُكي أنه جاء جماعة من فقهاء اليمن إلى الشيخ العارف بالله أبي الغيث بن جميل ليمتحنوه في شيء، فلما دنَوا منه قال: مرحباً بعبيد عبدي. فاستعظموا ذلك منه. فلحقوا شيخ الطريقين وإمام الفريقين إسماعيل بن محمد الحضرمي فأخبروه بما قال الشيخ أبو الغيث المذكور. فضحك وقال: صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى والهوى عبدهُ.

* * *

ظاهر الولي لايدلُّ على باطنه وسريرته خير من علانيته:

في كتاب «الكشكول» لبهاء الدين العاملي قال:

أودع تاجرٌ من تجار نيسابور جاريته عند الشيخ أبي عثمان الحيري، فوقع نظر الشيخ عليها يوماً فعشقها وشُغف بها، فكتب إلى شيخه أبي حفص الحداد بالحال، فأجابه بالأمر بالسفر إلى الرّيّ إلى صحبة الشيخ يوسف. فلما وصل إلى الريّ وسأل الناس عن منزل الشيخ يوسف أكثر الناسُ في ملامته وقالوا: كيف يسأل تقيٌّ مثلُك عن بيت شقيٍّ فاسق؟ فرجع إلى نيسابور وقصّ على شيخه القصة، فأمره بالعودة إلى الريّ وملاقاة الشيخ يوسف المذكور؛ فسافر مرة ثانية إلى الريّ وسأل عن منزل الشيخ يوسف، ولم يبال بذمِّ الناس له وازدرائهم به، فقيل له: إنّه في محلَّة الخمَّارة. فأتى إليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعظمه. وكان إلى جانبه صبيٌّ بارعُ الجمال وإلى جانبه الآخر زجاجةٌ مملوءةٌ بشيء كأنه الخمر بعينه. فقال له الشيخ أبو عثمان: ماهذا المنزل في هذه المحلَّة؟! فقال: إنَّ ظالماً شرى بيوت أصحابنا وصيَّرَها خمَّارة، ولم يحتج إلى شراء داري. فقال: ماهذا الغلام؟ وماهذا الخمر؟ فقال: أما الغلام فولدي من صلبي، وأما الزجاجة فخلّ. فقال:

ولمَ توقع نفسَك في مقام التُّهمة بين الناس؟ فقال: لئلا يعتقدوا صلاحي أنني ثقةٌ أمين، ويستودعوني جواريَهُمْ فأبتلى بحبِّهن. فبكى أبو عثمان بكاءً شديداً وعلم قصة شيخه. فهكذا أحوال أهل الله نفعنا الله بهم.

* * *

طلب الولاية

تأتي المشيخة لمن لايطلبها:

حكي أن الشيخ جوهر المدفون في عدن كان مملوكاً فَعتَق، وكان يبيع ويشتري في السوق، ويحضر مجالس الفقراء ويقتعدهم، وهو أميّ. فلما حضرت وفاة الشيخ الكبير سعد الحداد المدفون في عدن قالت له الفقراء: من يكون الشيخ بعدك؟ قال: الذي يقع على رأسه الطائر الأخضر في اليوم الثالث من موتي عندما يجتمع الفقراء. فلما توفي اجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث وفرغوا من الذكر والقرآن قعدوا ينتظرون ماوعدَهم الشيخ، وإذا بطائر أخضر وقع قريباً منه، فبقي كلٌ واحدٍ من الفقراء يترجَّى ذلك ويتمناه. فبينما هم كذلك إذ بالطائر قد طار ووقع على رأس الشيخ جوهر، ولم يكن يخطر له ولا لأحد من الفقراء ذلك. فقام إليه الفقراء ليزفُّوه إلى زاوية الشيخ وينزلوه منزلة المشيخة. فبكى وقال: كيف أصلح للمشيخة وأنا رجلٌ سوقي وأنا لاأعرف طريق الفقراء وآدابهم، وعليَّ تبعات وبيني وبين الناس معاملات. فقالوا: هذا أمر سماوي، ولابدَّ لك منه والله يتولّى تعليمك. فقال: أمهلوني حتى أمضي إلى السوق، وأبْرأَ من حقوق الخلق. فأمهلوه، فذهب إلى دكانه ووفى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ثم ترك السوق ولازم الزاوية ولازمه الفقراء فصار جوهراً كاسمه.

* * *

شرط الوصول إلى مرتبة الأبدال:

قيل: سأل تلميذ شيخه أن يلحقه مع جماعة الأبدال فقال له: إنك لاتستطيع. قال: بلى. قال له شيخه وكان رئيسهم: تطيعني في كل ماأريد؟ قال: بلى. قال: تخرج عن مالك وزوجتك ونفسك. قال: نعم. فباع سائر مايملك

وفرقه ثم طلَّق زوجته وانقطع للعبادة. فجمعه شيخُه مع الأبدال وصعِدوا منارةً، وألقى كلٌّ واحدٍ منهم نفسه وهو يطير في الهواء. وكلٌّ واحد يقول لمن خلفه: الاجتماع بمكة تحت الميزاب. وغابوا، فبقي الرجل حائراً فناداه شيخُه: الْحَقْ. فلم يفعل، فقال: ألم تستغن عن نفسك؟ فلم يفعل. فتركه شيخُه ومضى وبقي هو في المنارة. ومن كان مع الله كان الله معه حافظاً ومسلِّماً.

فلما أصبح الصباح أتى إلى الدرس فقال له شيخه: إنَّ طلاقَك رجعيٌّ، فراجعْ زوجتك، وهاهو مالُك الذي فرَّقته إلى الفقراء، وإنك لم تتأهَّل، فكنْ من المقتصدين، فلست من مرتبة الكرام.

وإنما لم يطر النبيُّ وأصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام لأنهم مشرِّعون وبهم يُقتدى، فلو فعلوا لما جاز لنا الإحجام، ولايكلف الله نفساً إلا وسعها.

* * *

أرباب الكشف وأرباب التحويل:

طلب اثنان مشيخة زاوية، فأراد الأمير امتحانهما. وإذا بحِمْلٍ على حمار من بعيد. فسأل الأمير أحدَهما عنه فقال: هذا نحاسٌ يريد صاحبه أن يبيِّضه بالبلدة.

وسأل الآخر فقال: هذا حِمْل بطيخ. فلما حضر الحمل سُئل الرجل عمَّا معه فقال: نحاس أريد أن أبيضه. قيل له: افتحه حتى ننظرَه، ففتحه فإذا هو بطيخ. فقال: والله لما حملتُه كان نحاساً. ومضى الرجل لحاله، فإذا هو رجع نحاساً لأصله. فأخذ الثاني المشيخة، لأن الأول من أرباب الكشف والثاني من أرباب التحويل.

* * *

طلب معرفة اسم الله الأعظم:

رُوي أن مريداً طلب من شيخه أن يعلمه الاسم الأعظم، فأعطاه شيئاً مُغطّى وقال: أوصله إلى مريدي فلان. فأخذه ثم فتحه في الطريق لينظر مافيه، فخرج منه فأرة، فرجع بكمال الغيظ. فلمَا رآه الشيخ تبسَّم وقال: ياخائن، إنْ لم تكن أميناً لفأرة فكيف تكون أميناً للاسم الأعظم؟

* * *

حكي أن بعضهم جاء إلى بعض المشايخ وخدمه وقال له: أريد أن تعلمني الاسم الأعظم. فقال له: وفيك أهلية له؟ قال: نعم. قال: اذهب إلى باب البلد ثم أخبرني بما جرى فيه. فذهب وجلس على باب البلد، فإذا بشيخ حطَّاب معه حطب على حمار فضربَه جندي وأخذ حطبَه ظلماً. فلما رجع الرجل إلى الشيخ وأخبره بالقصَّة قال له الشيخ: لو كنت تعلم الاسم الأعظم ماتصنع بالجندي؟ قال: كنت أدعو عليه بالهلاك. فقال له الشيخ: اعلم أنَّ الحطاب هو الذي علَّمني الاسم الأعظم، واعلم أن الاسم الأعظم لايصلُح إلا لمن يكون على هذه الصفة من الصبر والرحمة على الخلق والشفقة عليهم.

* * *

الزهد في إظهار الكرامة والولاية

الكرامة وإخفاؤها والزهد فيها:

كان بعضهم يسير في البادية وقد أصابه العطش، فانتهى إلى بئر فارتفع الماء إلى رأس البئر. فرفع رأسه إلى السماء وقال: أعلم أنك قادر ولكن لاأطيق هذا، فلو قيضتَ لي بعضَ الأعراب يصفعني صفعاً ويسقيني شربة ماء كان خيراً إليّ. إني أعلم أن ذلك الرفق ليس من جهته.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي قُدِّس سرُّه: من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخَلْق لظهور المعاصي فهي حجابٌ في حقه وسترُها عنه رحمة. ومنها أنَّ العُجْبَ مذمومٌ مُهْلِك.

* * *

الولي الحقيقي لايظهر كراماته:

قال بعضهم: معرفة مقام الأولياء أصعب من معرفة الممكن من صفات الله تعالى. فإنَّ الله تعالى معروف بكماله، وجماله، وجلاله، وقوته، وقدرته، وغير ذلك من صفاته العلية، ولكن للولي آثار ضعف المخلوقيّة، وآثارُ عجزها ظاهرةٌ عليه، فإنَّه يأكل ويشرب وينام ويمرض ويموت. وفي سرِّه حِكَم لو ظهرتْ حقيقةً لعَبَدَهُ أناسٌ كما عبدوا عيسى. ولو كشف لهم عن مشرقات نورِه لانطوى نورُ الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه. ففي سرِّ الحق لهم حِكَمٌ وأسرار، اللهُ أعلمُ بها وبهم. وإنه سبحانه وتعالى ليغار على أوليائه كما يغار الرجل على زوجته الحسناء.

* * *

إخفاء الكرامة خير من إظهارها:

قال خاتمة المفسرين أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي في تفسير سورة الكهف مانصّه:

يُحكى: أن الحسن البصري وقف على شط نهر ينتظر سفينة، فجاء حبيبٌ العجمي، فقال له: ماتنتظر؟ فقال: سفينةً، فقال: أي حاجة إلى السفينة، أمالك يقين؟ فقال الحسن: أما لك علم؟ ثم عبر حبيبٌ على الماء بلا سفينة ووقف الحسن.

إنّ الفضل للحسن فإنّه كان جامعاً بين علم اليقين، وعين اليقين، وعرف الأشياء كما هي، وفي نفس الأمر جُعلت القدرةُ مستورةً خلف الحكمة، والحكمة في الأسباب. وحبيب صاحب سُكْر لم ير الأسباب فعومل برفعِها، ومن هنا يظهر سرُّ قلّة الخوارق في الصحابة مع قول الإمام الرباني: إنّ نهاية أويس سيدِ التابعين بدايةُ وَحْشِيٍّ قاتلِ حمزة يوم أسلم، فما الظنُّ بغير أويس مع غير وحشي.

وأنا أقول: إنَّ الكامل وإنْ كان من علمت إلا أنَّ فوقه الأكمل، وهو من لم يزلْ صاعداً في نزولِهِ ونازلاً في صعوده، وليس ذلك إلا لرسول الله ﷺ، ولولا ذلك ماأمدَّ العالم العلوي والسفلي، وهذا مرجع الحقيقة والشريعة له عليه الصلاة والسلام على الوجه الأتم، كما أشرنا إليه سابقاً والحمد لله تعالى على أن جعلنا من أمته وذريته.

* * *

مسؤولية الولي

بين هِمَّتين:

قال أبو مدين رحمه الله: شتان بين من هِمَّتُه الحُور والقصور، ومن هِمَّته رفع الستور ودوام الحضور. فطوبى لمن سار إليه بالجذبات الإلهية على قدَم التحقيق، وطار بتجلِّي الصفات الربانية وجناح التوفيق.

* * *

الولاية بين الناس لا في الانقطاع عنهم:

قيل: إن أحد الناس أراد الحج، فلما ذهب ضلَّ الطريق وصار يستغيث بربه، إلى أن أتاهُ أحد الأولياء، وقال له: إنْ دللتُك على النجاة فهل تفعل ما آمرُك به؟ قال: نعم. قال: إذا نجوتَ ووصلتَ إلى البلدة فتوصَّل إلى حاكمها الأكبر بأيٍّ وسيلة شئت. ومتى رأيته، فاصفعَهْ ثم اطلب منه ماتريد فإنّه يقضيه لك. قال: نعم. فدلَّه على الطريق ثم ذهب، فلما وصل البلدة توصل للحاكم. وحينما وقع نَظَرُهُ عليه صفعَهُ وحولَه الأعيان وأركان الدولة، فقال الحاكم: اذهَبْ وقل لمن دلَّك على الطريق: الولاية ليستْ في الفلوات، إنما الولاية لمن يضع هذه الإشارات، ويحفظ نفسَهُ مع هؤلاء الجماعات. ومن يخلو ولا يحلو فهو أولى بالصفعات.

* * *

الأولياء يعذبون إذا عصوا:

﴿حتَّى إذا فَتَحْنَا عليهم باباً ذا عَذَابٍ شَدِيدٍ إذا هم مُبْلِسونَ﴾ [المؤمنون: ٧٧].

قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: كان يُسْرَج في بيت المقدس ألفُ قِنديل، فكان يخرج من

طور سَيناء زيتٌ مثل عنق البعير صاف يجري حتى ينصبَّ في القناديل من غير أن تمسّه الأيدي، وكانت تتحدَّرُ نارٌ من السماء بيضاء تُسرج بها القناديل، وكان القُربان والسرج من ابنَي هارون شبر وشُبير، فأمرا أن لايسرجا بنار الدنيا، فاستعجلا يوماً فأسرجا بنار الدنيا فوقعت النارُ فأكلت ابني هارون. فصرخ الصارخ إلى موسى عليه السلام: فجاء يدعو ويقول: يارب، إنَّ ابني هارون قد علمتَ مكانهما مني فأوحى الله إليه: ياابن عمران هكذا أفعل بأوليائي إذا عصَوْني فكيف بأعدائي.

* * *

كرامة الأولياء ابتلاء من الله للولي:

في «روح البيان»:

قال الله تعالى في حق سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام: ﴿أيّكُم يَأتيني بعَرْشِها قَبْلَ أن يَأتُوني مُسلِمين * قالَ عِفْريتٌ من الجِنِّ أنا آتيك به قَبْلَ أن تَقُومَ من مقَامِكَ وإنّي عليه لَقَويٌّ أمِينٌ * قال الّذي عندَهُ عِلْمٌ من الكتابِ أنا آتيكَ به قبلَ أن يرْتَدَّ إليكَ طرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠].

وهو آصف بن برخيا رضي الله عنه، قيل: كان عنده اسم الله الأعظم، فأراد سيدنا سليمان صلوات الله عليه أن يُري الجن أن من كان يعبد الله تعالى هو أقوى من كل قوي؛ لأنَّ قوته مستمدة من تأييد الله لا من طبيعة جسمه ولا من طبيعة روحه وجبلته التي فطره الله عليها كالشياطين. ولذا ورد في الأحاديث الصحيحة إمساك الصحابة لكثير من الجن والشياطين، ومقام سليمان عليه السلام لاشك فوق مقام آصف بما لايقاس، وماآصف إلا أحد أتباع سليمان؛ ذلك أن الكرامة والمعجزة لايفرح بها الكامل ولاتؤثر عنده إن حصلت معه أو لم تحصل. وكم كان رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا بشر».

ولذا لما قيل لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: إن من تلامذتك من يمشي على الماء، ومنهم من يطير في الهواء. فقال: الطيور أعجب منهم والسمك أعجب منهم لايعيش إلا بالماء. قالوا: فأين كرامتك؟ قال لهم: وأي كرامة أعظم من أنّ الله تعالى لم يخسف بي الأرض.

وانظر حال سيدي الحسن البصري مع حبيب العجمي رضي الله عنهما، كان الحسن يرقب سفينة ليركب معها، فأتاه حبيب فقال له: ماذا تنتظر؟ قال: سفينة. قال: أليس لك يقين؟ فقال له الحسن: أليس لك علم؟ ثم مشى حبيب على الماء، ووقف الحسن ينتظر.

ذلك أنّ الحكمة الإلهية مستترة وراء العلم، وكان حبيب مستغرقاً في المشاهدة، لم ينظر إلى الحكمة والأسباب، والحسن البصري أعلى وأعلى رضي الله عنهما وعنا بهما.

قال ابن عطاء الله في حِكَمه: ربما رُزِق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة.

وقال بعض المشايخ: لاتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئاً، فيدخل يده في جيبه فيخرج منه مايريد، ولكن تعجبوا ممن يضع في جيبه شيئاً فيدخل يده في جيبه فلا يجده ولايتغير.

ثم قال سليمان صلوات الله عليه وسلامه، لما رآه مستقراً عنده: ﴿هذا من فَضْلِ ربِّي ليبلُوَني أأشْكُرُ أمْ أكْفُرُ ومَنْ شَكَرَ فإنَّما يَشْكُرُ لنفسِه، ومن كَفَرَ فإنّ ربِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

يرشد بقوله أأشكر: إلى أن الشكر أصعب من الصبر. ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر، فالمنحة والمحنة كلاهما بلاء..

وعند الكُمَّل يستوي الطرفان، ولا شك أنّ عمر قال هذا هضماً لنفسه، فإنه والله صبر على السراء والضراء، فإن الله فتح عليه كنوز كسرى وقيصر ولم يختلف حاله عما كان عليه قبل الفتوح .

نسأل الله تعالى أن يدخلنا الجنة برحمته وبحبِّهم، فإنّ المرء يحشر مع من أحب .

* * *

ولي الله يحاسب:

روي أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال: اللهم أرني ولياً من أوليائك. فأوحى الله تعالى إليه أن اصعد إلى جبل كذا، وادخل زاوية كذا في كهف كذا حتى ترى وليي. ففعل عليه الصلاة والسلام، فرآى فيه رجلاً ميتاً توسد بلبنة، وفوق عورته خرقه وليس فيه شيء غيره. فقال: اللهم سألتك أن تريني وليك فأريتني هذا. فأوحى إليه سبحانه وتعالى: هذا هو وليي فوعزتي وجلالي لاأدخله الجنة حتى أحاسبه باللبنة والخرقة من أين وجدهما .

* * *

بدايات الأولياء
وسبب توبتهم وسلوكهم الطريق

إسلام دحية الكلبي وفضل لا إله إلا الله:

حُكي أنَّ رسول الله ﷺ كان يحبُّ إسلام دحية الكلبي، لأنه كان تحت يده سبعمائة من أهل بيته، وكانوا يُسْلمون بإسلامه، وكان يقول: «اللهم ارزُق دحيةَ الكلبي الإسلام». فلما أرادَ دحيةُ الإسلام أوحى الله إلى النبيِّ ﷺ بعد صلاة الفجر: أن يامحمد، إن الله يقرئك السلام ويقول: إنّ دحيةَ يدخلُ عليك الآن، وكان في قلوب الأصحاب شيءٌ من دحية وقت الجاهلية، فلما سمعوا ذلك كرهوا أن يمكنوا دحية فيما بينهم، فلما علم ذلك رسولُ الله ﷺ كره أن يقول لهم مكنوا دحية، وكره أن يدخل دحيةُ فيوحشوه فيبرد قلبه عن الإسلام. فلما دخل دحيةُ المسجد رفع النبيُّ ﷺ رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض بين يديه فقال: «دحية ههنا» وأشار إلى ردائه، فبكى دحيةُ من كرمِ الرسول ﷺ ورفع رداءه وقبَّله ووضعه على رأسه وعينيه. وقال: ماشرائط الإسلام؟ اعرضْها علي. فقال ﷺ: «أن تقولَ أولاً لا إله إلا الله محمد رسول الله». فقال دحية ذلك ثم وقع البكاء على دحية فقال عليه السلام: «ماهذا البكاءُ وقد رزقتَ الإسلام؟» فقال: إني ارتكبتُ خطيئةً فاحشة كبيرة، فقل لربِّك ماكفارته؟ إن أمرني أن أقتل نفسي قتلتُها، وإن أمر أن أخرج من جميع مالي خرجت. فقال ﷺ: «وما ذلك يادحية»؟ قال: كنتُ رجلاً من ملوك العرب، واستنكفت أن تكون لي بنات لهنَّ أزواج، فقتلت سبعين من بناتي كلّهن بيدي، فتحيّرَ النبيُّ ﷺ في ذلك حتى نزل جبريلُ عليه السلام فقال: يامحمد، إن الله يقرئك السلام ويقول: قل لدحية: وعزّتي وجلالي إنك لـمَّا قلت لا إله إلا الله غفرتُ لك كُفْرَ ستين سنة، وسيئات ستين سنة، فكيف

لاأغفر لك قتل البنات؟ فبكى النبيُّ ﷺ وأصحابُه. فقال ﷺ: «إلهي، غفرتَ لدحية قتل بناته بشهادة أن لا إله إلا الله مرّةً واحدة، فكيف لاتغفرُ للمؤمنين بشهاداتٍ كثيرة وبقولٍ صادق وخالص».

* * *

توبة الفضيل وفضل التذكير بالقرآن:

قيل: كان الفضيل يقطعُ الطريق، فبينما هو ذات ليلة واضعاً رأسه في حَجْر غلامه، إذْ ظهرت قافلة فدنَوْا منهما قالوا: إنّ الفُضيل ههنا فكيف نصنع؟ فقال ثلاثة من قرّاء القرآن: نرمي إليه ثلاثة أسهم فإنْ رجع وإلا رجَعْنا.

فرمى واحدٌ منهم سهماً وقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قلوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾ [الحديد: ١٦]. فصاح الفُضيل وقال: أصابني سهم. فجعل الغلامُ يطلبُ السهم في بطنه فلم يجده. فقال له:أصابني سهمُ الله. ثم رمى الثاني سهماً وقرأ قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إلى اللهِ إِنِّي لَكُم منه نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]. فصاح الفضيل وقال: ياغلام أصابني سهم الله. ثم رمى الثالث سهماً وقرأ قوله تعالى: ﴿وأَنِيبُوا إلى ربّكُم وأسْلِمُوا له من قبل أنْ يأتيكُمُ العَذابُ ثُمَّ لاتُنصَرون﴾ [الزمر: ٥٤]. فصاح صيحةً عظيمةً وقال لغلامه ورفقائه: ارجعوا فإني نادم قد دخل خوفُ الله في قلبي. فتوجَّه إلى مكة شرَّفها الله فرآه الرشيد فقال: يافُضيل رأيت في المنام قائلاً يقول: ألا إنّ الفُضيل قد خاف ربَّه واختار خدمته. فبكى الفضيل وقال: يارب، أتخيِّب عبداً كان هارباً منذ أربعين سنة؟

مات الفضيل رضي الله عنه بمكة سنة سبع وثمانين ومائة وقبره بمكة ظاهر يزار.

* * *

توبة إبراهيم بن أدهم وبداية أمره:

حكي عن أحمد بن عبد الله المقدسي، قال: صحبت إبراهيم بن أدهم فسألته عن بداية أمره وماكان سبب انتقاله من الملك الفاني إلى الملك الباقي، فقال لي: ياأخي كنت جالساً يوماً في أعلى قصر ملكي، والخواصُّ قيامٌ على رأسي، فأشرفت من الطاق فرأيتُ رجلاً من الفقراء جالساً بفِناء القصر وبيده رغيفٌ يابس، فبلَّه بالماء وأكلَه بالمِلح الجَريش، وأنا أنظر إليه إلى أن فرغ من أكله، ثم شرب شيئاً من الماء، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ونام في فناء القصر، فألهمني الله سبحانه وتعالى الفكرَ فيه، فقلتُ لبعض مماليكي: إذا قام ذلك الفقير فأتِني به، فلما استيقظ من نومه قال له الغلام: يافقير إنّ صاحبَ هذا القصر يريدُ أن يُكلِّمك، قال: بسم الله، توكلتُ على الله، لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم. وقام معه ودخل عليَّ، فلما نظر إليَّ سلَّم عليَّ، فرددْتُ عليه السلام وأمرتُه بالجلوس وجلس، فلما اطمأن قلت له: يافقير، أكلت الرغيف وأنت جائع فشبعت؟ قال: نعم، قلت: وشربت الماء على شهوة فرَوِيت؟ قال: نعم. قلت: ثم نمتَ طيِّباً بلا همٍّ وغمٍّ فاسترحت؟ قال: نعم. فقلت في نفسي وأنا أعاتبها: يانفس مأأصنع بالدنيا والنفس تقنع بما رأيتِ وسمعتِ؟ فعقدت التوبة مع الله تعالى فلما انصرم النهار وأقبل الليل لبِستُ مِسْحاً من صوف وقَلَنْسُوة من صوف وخرجت حافياً، سائحاً إلى الله تعالى. وهذه إحدى الروايتين في بداية أمره.

* * *

توبة مالك بن دينار:

عن مالك بن دينار رحمه الله: أنه سئل عن سبب توبته فقال: كنتُ شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمر، ثم إني اشتريتُ جاريةً نفيسة ووقعَتْ مني أحسنَ موقع، فولَدَت لي بنتاً فشُغفت بها، فلما دبّت على الأرض ازدادت في قلبي حُبّاً،

وألِـفَتني وألفتُهـا ، فكنتُ إذا وضعتُ المُسكر جاءت إليَّ وجاذبَتْني إيّاه وأراقَتْهُ على ثوبي ، فلما تمَّ لها سنتان ماتَت ، فأكمدني الحزن عليها ، فلما كانتْ ليلةُ النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بتُّ ثمِلاً من الخمر ، ولم أصلِّ صلاة العشاء ، فرأيتُ كأنَ أهل القبورِ قد خرجوا ، وحُشر الخلائقُ وأنا معهم ، فسمعتُ حِساً من ورائي فـالتـفت ، فـإذا أنا بتِنِّينٍ عظيم أعظم مـايكون ، أسود أزرق وقد فتح فاه مسرعاً نحوي ، فمررتُ بين يديه هارباً فَزِعاً مرعوباً ، فمررتُ في طريقي بشيخٍ نقيِّ الثياب طيبِ الرائحة ، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليّ السلام فقلت له : أجِرْني وأغِثْني . فقال : أنا ضعيف ، وهذا أقوى مني ، ومـاأقدر عليه ، ولكن مُرَّ وأسرع فلعلّ الله يسبّبُ لك مـايُنجيك منه ، فـولَّيتُ منه هارباً على وجهي فصعِدتُ على شَرَفٍ من شُرُف يوم القيامة ، فأشرفت على طبقات النيران ، فنظرتُ إلى أهلها فكدتُ أهوي فيها من فزعِ التنِّين وهو في طلبي ، فصاح بي صائح : ارجع فلستَ من أهلها ، فـاطمـأننتُ إلى قـوله ورجـعتُ ورجعَ التنِّينُ في طلبي ، فـأتيتُ الشيخ فـقلت : ياشيخ سـألتُك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل ! فبكى الشيخ وقال : أنا ضعيفٌ ولكنْ سِرْ إلى هذا الجبل فإنّ فيه ودائعَ للمسلمين فإنْ كان لك فيه وديعة فستنصرُك ، فنظرتُ إلى جبلٍ مستدير فيه كُوًى مخرّقة وستورٌ معلّقة ، على كل خَوخة وكَوَّة مصراعان من الذهب الأحمر مفصّلان باليواقيتِ مكَلّلان بالدُّرّ ، وعلى كلّ مصراع سترٌ من الحرير ، فلما نظرتُ إلى الجبل هربتُ إليه والتِّنِّينُ ورائي ، حتى إذا قربتُ منه صاح بعضُ الملائكة : ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا ، فلعل لهذا البائس فيكم وديعةً تجيره من عدوِّه . وإذا الستور قد رُفعت والمصاريعُ قد فُتحت ، فأشرف عليَّ أطفالٌ بوجوهٍ كالأقمار ، وقَرُبَ التنين مني ، فتحيَّرْتُ في أمري ، فصاح بعضُ الأطفال : ويحكم أشرفوا كلُّكم فقد قرُب منه . فأشرفوا فوجاً بعد فوج ، فإذا بابنتي التي ماتت قد أشرفت معهم عليَّ فلما رأتْني بكتْ وقالت : أبي والله . ثم

وثبَتّ في كِـفَّةٍ من نور كرمية السهم، حتى مُثُلَتْ بين يديّ، فمـدّت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلّقْتُ بها، ومدَّت يدها اليمنى إلى التنِّين فولى هارباً ثم أجلستني وقعـدَت في حَجْري وضربَت بيدها اليمنى على لحيتي وقالت: ياأبت ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكر الله﴾ [الحديد: ١٦] فبكيتُ وقلت: يابنيَّة، وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: ياأبت نحن أعرفُ به منكم. قلت: فأخبريني عن التنِّين الذي أراد أن يُهلكني، قالت: ذلك عـمَلُكَ السَّوْء قـوّيتَهُ فأراد أن يُغرقك في نار جهنم. قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررتُ به في طريقي؟ قالت: ياأبت ذلك عـمَلُكَ الصالح أضعـفته حتى لم يكن له طاقةٌ بعـملك السَّوء، قلت: يابنيّة، ومـاتصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أُسْكِـنَّا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم. فانتبهت فزِعاً، فلما أصبحتُ فارقتُ ماكنتُ عليه وتبتُ إلى الله تعالى وهذا سبب توبتي.

* * *

توبة سعد الدين الجباوي:

ذكر المحبي في ترجمة أحدِ أولاد الشيخ إبراهيم سلسلة جدِّه القُطب الغوث سيد سعد الدين الجباوي القبيباتي الساكن بمحلة القبيبات خارج باب الله، أخذها عن والده البحر المحيط الشيخ يونس، عن شيخ الشيوخ أبي بركات، عن شيخ الشيوخ أبي الفضل البغدادي، عن الشيخ أحمد الغزالي، عن الشيخ أبي البركات خير النساج، عن الشيخ أبي القاسم الجرجاني، عن الشيخ أبي عثمان المغربي، عن الشيخ أبي علي الكاتب، عن الشيخ علي الرُّوذْباري، عن سيد الطائفة الجُنيد، عن أستاذه وخاله السَّريّ السَّقَطي، عن شيخه معروف الكرخي، عن الإمام علي بن موسى الرِّضا، عن والده الإمام موسى الكاظم، عن والده الإمام جعفر الصادق،

عن والده الإمام محمد الباقر، عن والده الإمام علي زين العابدين، عن والده الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، عن والده الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ.

وقال المحبي: وبنو سعد الدين طائفة بالشام معروفون بالصلاح، وقد خرج منهم جماعة، ومن المشهور من طريقهم أنهم يُبرئون من الجنون بإذن الله تعالى، بنشر يخطون فيه خطوطاً كيف مااتفق، فيشفى بها العليل ويحتمي لشربها عن كل مافيه روح. ثم يكتبون للمبتلى عند فراغه من شرب النشر حِجاباً، وفي الغالب يحصُل الشفاء على أيديهم.

وحكى النجم الغزِّي عن بعض الأصدقاء أنهم يقصِدون بتلك الخطوط التي يكتبونها في نشرهم وحُجُبهم: بسم الله الرحمن الرحيم، وهم يتلفَّظون بها حالَ الكتابة، وأصلُ هذه الخاصيَّة التي لهم أنّ جدَّهم سعد الدين لما فتح الله تعالى عليه، وكُوشف بالنبي ﷺ وأبي بكر وعلي رضي الله عنهما، وكان قبل ذلك من قُطّاع الطريق فأمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه أن يُطعمَه فأطعمه تمرات، فأغمي على الشيخ سعد الدين أياماً ثم لم يُفق إلا وقد تاب الله عليه وفتح عليه، ثم كشف له عن كبير الجِنّ، فأخذ عليه العَهْدَ بذلك. ورأيتُ في بعض الأوراق أنَّ الشيخ سعد الدين كان في زمن أبيه الشيخ يونس الشيباني وقد ندَّ عن طاعته واشتغل بلهوه وبطالته، وخرج إلى أرض حوران وأقام بها يقطع الطريق بُرْهةً من الزمان، فسمع والده الشيخ يونس بفعل ولدِه، فاهتمَّ لذلك ودعا إلى الله تعالى في أمرين: إمّا إصلاحه، وإما أخذه في وقته، فاستجاب الله تعالى دعاءه في إصلاحه، فبينما هو على ماهو عليه إذ رأى نفراً ثلاثةً، فصوَّب إليهم لأخذ ماعليهم، فلما وصل إليهم التفت إليه أحدُهم وقال مخاطباً له: ﴿أَلَمْ يَأْنِ للذينَ آمنوا أنْ تَخْشَعَ قلوبُهُم لِذِكرِ اللهِ﴾ [الحديد: ١٦] فأخذه الوَجْد والهُيامُ والبكاءُ والنحيب، حتى سقطَ عن فرسه وعاد

ملقى، ومافيه غير نَفَسه، فأتاه أحدهُم وضربَ بيده على صدره وقال له: استغفر الله، فاستغفر مما وقع من سالف أمره، فلما أفاق من سُكْره وشرابه، وهدأت نفسه من تحريكه واضطرابه، قال أحدهم بعد أن أخذ تمراتٍ من جيبه وأعطاها لرسول الله ﷺ وأمين غيبه، وقال: اسقه يارسول الله، فتفل عليها وناوله إياها، فأخذها الشيخ وحَظِي بما لديها، وقال له الرسول المعظم: خذها لك ولذريتك. فقبَّلها الشيخ وعظَّمها ورجع، وقد عمَرَ الله تعالى ظاهرَهُ وباطنَه، وانجذب إلى مولاه وفاز بما أعطاه.

لكن لم يذكر الشيخُ المحبي-رحمه الله- تاريخَ ولادة ووفاة الشيخ سعد الدين صاحب هذه القصة ابن الشيخ يونس، ولكن ذكر ترجمةَ حفيدِه إبراهيم، وأنه توفي سنة ثمانٍ بعد الألف، وذكر ترجمة أخي إبراهيم واسمه سعد الدين، أنه توفي سنة ست وثلاثين وألف، وهما ابنا محمد بن حسين بن حسن بن محمد بن أبي بكر بن علي الأكحل بن محمد شمس الدين بن سعد الدين الجباوي الشافعي القبيباتي الدمشقي. وفي سياق سلسلة الطريق أسقط بين الأكحل وبين سعد الدين محمد شمس الدين، ونسب الأكحل بسعد الدين رأساً، وأنه ابنه، فإما أن يكون سقط غفلةً، وإما هو من النُّسَّاخ والله أعلم.

* * *

توبة كرسف:

وأما كرسف فقال في «روح البيان»: قال الخباز في حواشي «الهداية»: قال مولانا حميد الدين رحمه الله: كرسف اسمُ زاهدٍ وقع في الفتنة بسبب امرأة.

وقال المطرِّزي في «المغرب»: كرسف رجل من زُهَّاد بني اسرائيل، كان يقومُ الليل ويصومُ النهار، فكفر بسبب امرأة عشِقَها ثم تداركَهُ الله بما سلف منه فتاب عليه. كذا في «الفردوس» ومنه الحديث: «صواحبات يوسف صواحباتُ

كرُسُف).

قلت: لكن الكرسف في اللغة القُطن، وبه فسَّرَ شرُّاَح البخاري الحديث، أي إنكن صاحبات خِرقَةِ الحيض كناية عن قلّةِ الدينِ والعقلِ.

* * *

إسلام معروف الكرخي:

حُكي أنّ والدَي معروفٍ الكرخي كانا من النصارى، وكان معلِّم النصارى يقول لمعروف: ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الأحَدُ الصمَدَ. فيضربُه المعلم. فهرب يوماً فقال والداه: لو جاء معروف فعلى أيِّ دينٍ وجدْناه تبعناه، فجاء على دين الإسلام فأسلما.

حُكي عن بعض الصالحين أنه رآى في المنام معروفاً الكرخيَّ شاخصاً بصَرهُ نحو العرش، قد اشتغل عن الحور العين وقصور الجنة، فسأل رضوان: من هذا؟ قال: معروف الكرخي مات مشتاقاً إلى الله فأباح له أنْ ينظر إليه.

* * *

ذو النون المصري وسبب سياحته:

قال ذو النون المصري قُدِّس سرُّه: ركبنا مرّة في مركب، وركب معنا شاب صَبِيحٌ وجهه مشرق، فلما توسطنا فقدَ صاحب المركب كيساً فيه مال، ففتَّش كلَّ من في المركب، فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبةً من المركب حتى جلس على أمواج البحر وقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر إليه في المركب، وقال: يامولاي إنَّ هؤلاء اتّهموني وإنّي أقسم عليك ياحبيبَ قلبي أن تأمر كلَّ دابَّةٍ في هذا المكان أن تُخرج رأسها وفي أفواهها جواهر، قال ذو النون: فما تمَّ كلامه: حتى رأينا دوابَّ البحر أمامَ المركب قد أخرجَت رؤوسها وفي فم كلٍّ واحدةٍ منها جوهرةٌ تتلألأ، ثم وثب الشابُّ في الموج إلى البحر وجعل يتبختر على وَجْه الماء ويقول:

﴿إيَّاك نعبدُ وإيَّاك نَسْتَعينُ﴾ [الفاتحة: ٤] حتى غاب عن بصري فحملني هذا على السِّياحة؛ وذكرتُ قوله عليه السلام: «لايزالُ في أمتي ثلاثون قلوبُهم على قلبِ إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات منهم واحد أبدلَ الله مكانه واحداً».

* * *

سهل التستري وبداية أمره:

قيل إن سهلاً رضي الله عنه توضأ في يوم الجمعة، فمضى إلى الجامع في أيام بدايته، فوجده قد امتلأ بالناس، وهمَّ الخطيب أن يرقى المنبر، فأساء الأدب، وتخطَّى رقاب الناس حتى وصل إلى الصفِّ الأول وإذا عن يمينه شابٌّ حسنُ المنظر طيِّبُ الرائحة، فقال: كيف تجدك ياسهل؟ قلت: بخير، وبقِيتُ متفكرًا في معرفته إياي وأنا لم أعرفه، فأخذني حُرْقةُ بول فأكربني ذلك، فالتفتَ إليّ وقال: ياسهل، أخذك حُرْقان بول؟ قلت: أجل. فنزع حرامه عن منكبه فغشَّاني به قال: فغمي علي وفتحتُ عيني فإذا أنا ببابٍ مفتوح فولجتُه، وإذا بقصر مشيد عالي البناء، شامخ الأركان، ونخلةٌ قائمة، وبجانبها مِطْهرة مملوءةٌ ماء أحلى من الشهد، ومنزل إراقة الماء، ومنشفة معلَّقة وسواك، فقضيت إرْبي واغتسلت وتنشَّفت، فنزع الحرام عني فإذا أنا جالسٌ بمكاني، فبقيت متفكراً بنفسي متشكِّكاً، فلما فرغنا من الصلاة تبعتُ الشاب لأعرفَه فالتفت إليّ وقال: ياسهل، كأنك شاكٌّ بما رأيت؟ قلت: نعم. قال: لج البابَ يرحمك الله. فولجتُ الباب بعينه، فرأيتُ جميعَ ماكنتُ رأيتُه، والمنشفةُ مبلولة. فقلت: آمنت بالله. فقال: ياسهل، من أطاع الله أطاعه كلُّ شيء؛ ياسهل اطلبه تجدْه. فتغرغرت عيناي بالدموع، فمسحتُهما وفتحتهما فلم أر الفتى ولا القصر، فبقِيتُ متحسِّراً على مافاتني منه، ثم أخذت في العبادة.

* * *

ذم الدنيا وحبها

الدنيا متاع زائل:

قال تعالى: ﴿ياأيُّها النَّاسُ إنَّ وعدَ اللهِ حَقٌّ فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالى: ﴿إنَّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وإن تُؤمِنُوا وتتَّقُوا يُؤتِكُم أجُورَكُم﴾ [محمد: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنيا قَليلٌ والآخِرةُ خيرٌ لمن اتَّقى﴾ [النساء: ٧٧].

* * *

لايجتمع حب الله والدنيا:

قال الله تعالى: ياداود إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك، فإن حبي وحبها لايجتمعان في قلب أبداً.

* * *

لايجمع بين الدنيا والآخرة:

في الحديث: «الدنيا والآخرة ضرَّتان، فمن يدعي الجمع بينهما فممكور ومغرور».

وفي الحديث: «الدنيا قنطرة، فاعبروها ولاتعمروها».

* * *

خليل الله إبراهيم وهوان الدنيا عليه:

روي أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً، قالت الملائكة: ياربِّ كيف يصلح للخلَّة وله شواغل من النفس والولد والمال والمرأة؟ فقال تعالى: أنا

لاأنظر إلى صورة عبدي وماله، بل إلى قلبه وأعماله. وليس لخليلي محبَّة لغيري، فإنْ شئتم جرِّبوه. فجاءه جبريل، وكان لإبراهيم عليه السلام اثنا عشر كلباً للصيّد ولحفظ الغنم، وطوق كلّ كلب من الذهب إيذانا بخساسة الدنيا وحقارتها. فسلَّم عليه جبريل. فقال: لمن هذه؟ فقال: لله، ولكن في يدي. فقال: أتبيع واحداً منها؟ قال: اذكرِ الله وخذْ ثلثَها. فقال: سبُّوحٌ قدُّوس ربُّ الملائكة والروح. فأعطي الثلث. ثم قال: اذكرهُ ثانياً وخذْ ثلثها، واذكره ثالثاً وخذها كلها برُعاتها وكلابها ثم اذكره رابعاً وأنا أقِرُّلك بالرِّق. فقال الله تعالى: كيف رأيت خليلي ياجبريل؟ قال: نعمَ العبدُ خليلُك يارب. فقال إبراهيم لرعاة الغنم: سوقوا الأغنام خلفَ صاحبي هذا. فقال جبريل: لاحاجة لي إلى ذلك وأظهر نفسه. فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: أنا خليلُ الله لا أستردُّ هِبتَي. فأوحى الله إلى إبراهيم أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع والعقَار، ويجعلها وقفاً.

فأوقاف الخليل وما يؤكل على مرقده الشريف من ثمنها.

* * *

الدنيا خراب والآخرة عمران:

قال يحيى بن معاذ: الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها. والآخرة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها.

* * *

متاع الدنيا لايغني في الآخرة:

في «روح البيان» تحت قوله تعالى: ﴿أفَبِعَذَابِنا يَسْتعْجِلونَ * أفرَأيْتَ إن مَتّعْنَاهُم سِنين * ثُمّ جاءَهُم ماكانوا يُوعَدُون * ماأغْنَى عنهم ماكانُوا يُمَتّعون﴾ [الشعراء: ٢٠٤ـ٢٠٧].

قال: روي أن ميمون بن مهران لقي الحسن في الطواف، وكان يتمنى لقاءه

فقال: عظني. فلم يزد على تلاوة هذه الآية. فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.

وروي أن عمر بن العزيز كان يقرأ هذه الآية كل صباح إذا جلس على سريره تذكراً بها واتعاظاً.

* * *

لاتسبوا الدنيا فإنها مطية المؤمن:

في الحديث: «لاتسبّوا الدنيا، فنعمت مطية المؤمن؛ عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر. إنّ العبد إذا قال: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه».

* * *

ترك الدنيا:

روي أن الله تعالى قال: عجبت من ثلاثة: ممن أمِن النار ويعلم أنها وراءه كيف يضحك؟ وممن اطمأنت نفسه بالدنيا وهو يعلم أنه يفارقها كيف يسكن إليها؟ وممن هو غافل وليس بمغفول عنه كيف يلهو؟

ونزل النعمان بن المنذر تحت شجرة ليلهو، فقال له عدي: أيها الملك أتدري ماتقول هذه الشجرة؟ ثم أنشأ يقول:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا حولنا ... يمزجون الخمرَ بالماء الزلال

ثم أضحوا عصفَ الدَّهْر بهم ... وكذاك الدَّهْرُ حالاً بعد حال

فتنغَّص على النعمان يومه. «ربيع الأبرار».

* * *

الأصنام هي الحجران الذهب والفضة:

في «روح البيان» ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿واجْنُبْنِي وبَنيَّ أنْ نَعْبُدَ الأصنامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وإنما جمع الأصنام ليشتمل على كلّ صنم عُبد من دون الله، لأن الجمع

المعرف بأل يشتمل على كلٍّ واحد من الأفراد كالمفرد باتفاق جمهور أئمة التفسير والأصول والنحو. أي: واجنبنا أن نعبد أحداً مما سُمِّي بالصنم ـ كما في «بحر العلوم» ـ وخصصها الإمام الغزالي بالحجرين أي: الذهب والفضة، إذ رتبةُ النبوة أجلّ من أن يخشى فيها أن تعتقد الإلهية في شيء من الحجارة، فاستعاذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الاغترار بمتاع الدنيا.

يقول الفقير: الظاهر أنّ الإمام الغزالي خصص الحجرين بالذكر على أنهما أعظم مايضل الناس. وقد شبَّه الرسول ﷺ طلاب الدراهم والدنانير بعبيد الحجارة. فقال عليه السلام: «ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أفرَأيتَ من اتَّخَذَ إلهَه هَواهُ﴾؟» [الجاثية: ٢٣] ولذا قال في «التأويلات النجمية»: صنم القلب العقبى، وصنم الروح الدرجات العلا، وصنم السر عرفان القربات، وصنم الخفاء الركون إلى المكاشفات والمشاهدات وأنواع الكرامات. فلا بد من الفناء عن الكل.

قلت: والمعروف من حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «تَعِس عبدُ الدينار وعبد الدرهم». وفي رواية: «عبد الحُلَّة وعبدُ الخَمِيصة. إنْ أعطي رضي، وإن لم يعطَ سَخِط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتَقَش. طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشْعَثُ رأسُه، مغبَّرةٌ قدماه، إنْ كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة. إن استأذن لم يُؤْذَنْ له، وإن شَفَعَ لم يُشفَّع».

معنى: شيك: أصابته شوكة ـ فلا انتَقَش: فلا خرجت شوكته بالمنقاش.

* * *

عبيد الهوى:

حُكي أنه جاء جماعة من فقهاء اليمن إلى الشيخ العارف بالله أبي الغيث بن جميل قُدِّس سرُّه، يمتحنونه في شيء، فلما دنوا منه قال: مرحباً بعبيد عبدي.

فاستعظموا ذلك، فلحقوا شيخ الطريقتين وإمام الفريقين أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي قُدِّس سرُّه، فأخبروه بما قاله الشيخ أبو الغيث المذكور لهم. فضحك وقال: صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى، والهوى عبده.

* * *

حب الدنيا والمعاصي أهلك القرية:

روي أن عيسى عليه السلام مرَّ بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق. فقال: يامعشر الحواريين، إن هؤلاء ماتوا على سخط، ولو ماتوا على غير ذلك لتدافنوا. فقالوا: ياروح الله وددْنا أنا علمنا خبرهم. فسأل ربه فأوحى الله إليه: إذا كان الليل فنادهم يجيبوك. فلما كان الليل أشرف على الموتى ثم نادى: ياأهل القرية، فأجابه مجيب: لبيك ياروح الله. فقال: ماحالكم وماقصتكم؟ قال: بتنا في عافية وأصبحنا في هاوية. قال: وكيف ذلك؟ قال: لحبنا الدُّنيا وطاعتنا أهل المعاصي. قال: وكيف كان حبكم الدنيا؟ قال: كحال حبِّ الصبي لأمه، إذا أقبلت فرحْنا وإذا أدبرت حَزِنَّا. قال فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قال: كيف أجبتني من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أأنجو منها أم أكبكب فيها؟

* * *

حب الدنيا يطرد حلاوة العمل الصالح من القلب:

قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله: شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل البرَّ ولايجد حلاوته في القلب. فقال: لأنَّ عندك ابنة إبليس في قلبك وهي الدنيا، ولابد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك، ولايؤثر دخوله إلا فساداً.

الراغبون في الدنيا موتى:

روي أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: لاتجالسوا الموتى فتموت قلوبكم. قالوا: ومن الموتى؟ قال: الراغبون في الدنيا المحبون لها.

* * *

الدنيا مثل موج البحر لايبنى عليه:

قال عيسى عليه السلام: من ذا الذي يبني على موج البحر. تلكم هي الدنيا، فلا تتخذوها قرارا.

«روح البيان»

* * *

الطمع يفضي إلى الهلاك:

يحكى أن عيسى عليه السلام سافر ومعه يهودي، فكان مع عيسى ثلاثة أقراص فأعطاها اليهودي وقال: احفظْها، ثم بعد ساعة أكل اليهودي واحداً منها، فقال عيسى: أعطِ الأقراص الثلاثة فقدَّم قرصين فقال: أين ثالثُها؟ فقال اليهودي: لم يكن أكثر من هذا، فمشيا حتى شاهد من عيسى عجائب، فأقسم عليه عيسى لذلك حتى يقرَّ بالقرص الثالث فلم يقر. فلحقا بثلاث لبنات من الذهب. فقال اليهودي:اقسمْ ذلك، فقال عيسى: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة لمن أكل القرص الثالث، فقال اليهودي: أنا أكلتُ القرص الثالث. فقال عيسى: ابعُد عني فقد شاهدتَ قدرةَ الله ولم تقرَّ به، والآن قد أقررت بالدنيا، فترك اللبناتِ عند اليهودي ومشى. وجاء ثلاثة من اللصوص وقتلوا اليهودي وأخذوا اللبنات ثم بعثوا من جملتهم واحداً ليأتي لهم بطعام، فلما غاب عنهما تشاوروا في قتله وقالا: إذا رجع قتلناه وأخذنا نصيبَه. فذهب واشترى سُمّاً وطرحه في الطعام الذي اشتراه حتى يأكل ذلك الطعام صاحباه فيموتا ويأخذ اللبنات، فلما قدم عليهما قاما وقتلاه ثم أكلا الطعام فماتا، فعبر عليهم عيسى فوجد اليهودي وهؤلاء الثلاثة مقتولين

فتعجَّب من ذلك، فنزل جبريل وأخبره بالقصة.

فينبغي للعامل أن لايغتر بكثرة الدنيا، وأن لايهتم في جمعها، بل يزرع فيها بذر العمل كي يحصد في الآخرة، لأن الدنيا مزرعة الآخرة، ولاينبغي للأغنياء أن يحقِّروا الفقراء بالغرور بكثرة دنياهم ولايسخروا منهم، لأن هذه الصفة من صفات الكفرة.

* * *

انزواء الدنيا عن المؤمن وبسطها للكافر:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: شكا نبي من الأنبياء إلى ربه تعالى فقال: يارب! العبد المؤمن يطيعك، ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا، وتعرض له البلاء. والعبد الكافر لايطيعك ويجترئ على معاصيك تزوي عنه البلاء، وتبسط له الدنيا! فأوحى الله تعالى إليه: إن العباد لي والبلاء لي وكله يسبح بحمدي. فيكون المؤمن عليه من الذنوب، فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه، حتى يلقاني فأجزيه بحسناته. ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء، حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته.

* * *

دعاء الرسول ﷺ بالكفاف لمن أحبه:

قال عليه الصلاة والسلام:

«اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فارزقه مالاً وولداً».

* * *

مواعظ متنوعة

الموعظة وأثرها:

حكي عن أبي سليمان الداراني قُدِّس سرُّه أنه قال: اختلفتُ إلى مجلس بعض القصَّاص فأثَّر كلامُهُ في قلبي، فلما قمت لم يبق له منه شيء، فعدت ثانياً فسمعت كلامه فبقي أثر كلامه في الطريق، ثم ذهب. ثم عدت ثالثاً فبقي أثرُ كلامه في قلبي حتى رجعتُ إلى منزلي، فكسرت آلاتِ المخالفة ولزمتُ الطريق.

ولما حكى هذه الحكاية للشيخ العارف الواعظ يحيى بن معاذ الرازي قُدِّس سرُّه قال: عصفور اصطاد كركياً. يعني بالعصفور القاص وبالكركي أبا سليمان الداراني.

فباب الموعظة مفتوح لكلِّ أحد، لكن لايدخل بالقبول إلا من رحمه الله تعالى. وأعظم المواعظ القرآن الكريم.

* * *

موعظة صبي للحسن البصري:

روي أنه ضلَّت راحلةُ الحسن البصري في طريق الحج، فلقَيَهُ صبيٌّ فسأله، فعرفها، فلما وجد الراحلة سأله الصبي: ياشيخ، ماتأكل وماتلبس؟ قال: آكلُ خبزَ الشعير و ألبَسُ الصوف لأكسِرَ شهوتي بهما. قال الصبي: كُلْ ماشئت والْبَس كذلك بعد أن يكونا حلالَيْن. قال: وأين تبيت؟ قال: في الخُصّ - وهو بيت من القصب - قال: لاتَظْلم وبتْ حيثُ شئت. فقال الحسن: لولا صباك لكسبتُ منك ماتكلمتَ به. فتبسَّم الصبي. وقال: أراك غافلاً، أخبرتُكَ بالدنيا فقبلْتَ، وأخبرتُكَ بالدِّين فأنفت من كلامي! ارجعْ إلى منزلك فلا حجَّ لك.

* * *

ذرية عمر بن عبد العزيز وذرية هشام بن عبد الملك:

قيل إن الخليفة المنصور قال لعمرو بن عبيد: عِظْني. قال: بما رأيت أم بما سمعت؟ قال: بما رأيت، قال: رأيتُ عمر بن عبد العزيز وقد مات، فخلَّف أحدَ عشرَ ولداً، وبلغت تَركَتُه سبعة عشر ديناراً، كُفِّنَ منها بخمسة دنانير، واشتُري موضعُ قبره بدينارين، وأصاب كلٌّ واحدٍ من ولده دون الدينار. ثم رأيتُ هشام بن عبد الملك وقد مات وخلّف عشرة ذكور، فأصاب كلٌّ واحدٍ من ولده ألفَ ألف دينار، ورأيتُ رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حملَ في يوم واحدٍ على مئة فرسٍ في سبيل الله، ورأيتُ رجلاً من ولد هشام يسألُ الناس ليتصدَّقوا عليه.

* * *

موعظة بهلول للرشيد:

عن عبد الله بن مِهران قال: حجَّ الرشيد فوافى الكوفة، فأقام بها أياماً، ثم أمر بالرحيل، فخرج الناس وخرج بُهْلُول المجنون فيمن خرج، فجلس بالكُنَاسة والصبيان يؤذونه ويولعون به. إذ أقبلَت هوادج هارون، فكفَّ الصبيانُ عن الولوع به، فلما جاء هارون نادى بُهلول بأعلى صوته: ياأمير المؤمنين! فكشف هارون السِّجَاف بيده وقال: لبيك يابُهلول. فقال: ياأمير المؤمنين، حدثنا أيمن بن نابل، عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يمضي على جمل وتحته رَحْلٌ رثّ، فلم يكُنْ ضَرْبٌ ولا طرْد، ولا إليكَ إليك. وتواضعُك في سفرك هذا ياأمير المؤمنين خير لك من تكبُّرك. فبكى هارون حتى سقطت دموعهُ على الأرض وقال: يابُهلول زِدْنا يرحمك الله فقال:

هَبْ أنَّكَ قد ملكتَ الأرض طُراً ... ودانَ لكَ العبادُ فكان ماذا

أليس غداً مصيرُك جوفَ قبرٍ ... ويحثو التُّربَ هذا ثم هذا

فبكى هارون ثم قال: أحسنتَ يابُهلول هل غيره؟ قال: نعم ياأمير المؤمنين،

رجلٌ آتاه الله مالاً وجَمالاً فأنفق في ماله وعفَّ في جماله، كُتب في خالص الأبرار.

فقال: أحسنتَ يابُهلول. ثم أمر له بجائزة. فقال: يابهلول، إن كان عليك دَيْنٌ قضَيناه. قال: ياأمير المؤمنين لايُقضى دينٌ بدين، اردُدِ الحقَّ إلى أهله، واقضِ دَيْنَ نفسك ياأمير المؤمنين من نفسك. قال: يابُهلول نُجري عليك مايكفيك، فرفع بهلولٌ رأسه إلى السماء ثم قال: ياأمير المؤمنين، أنا وأنت من عيال الله تعالى، فمحالٌ أن يذكرك وينساني، فأسبل هارون السِّجاف ومَضَى.

* * *

موعظة فضيل بن عياض وأكل الحلال:

سُئل فُضيل عن ترك الطيبات من الحُوَّارَى واللحم والخَبيص للزهد، وقال لمن قال: لا آكلُ الخَبيص: ليتَكَ تأكل وتتقي، إنَّ الله لايكره أنْ تأكلَ الحلالَ الصِّرْف. كيف برُّك لوالديك وصلتُك للرحم؟ كيف عطفُك على الجار؟ كيف رحمتك للمسلمين؟ كيف كظمُكَ للغيظ؟ كيف عفوُك عمَّنْ ظلمَك؟ كيف إحسانُك إلى من أساء إليك؟ كيف صبرُك واحتمالك للأذى؟ أنت إلى إحكام هذا أحوجُ منك إلى ترك الخَبيص.

* * *

موعظة عبد لإبراهيم بن أدهم:

حكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله اشترى عبداً، فقال له: أي شيء تأكل؟ قال: ماتطعمني. قال: أي شيء تعمل؟ قال: ماتستعملني. قال: أي شيء لك إرادة؟ قال: وأي شيء تبقى إرادة العبد في جنب إرادة سيده؟

ثم راجع إبراهيم نفسه وقال: يامسكين! ماكنتَ لله في عمرك ساعةً مثل ماكان هذا لك في هذه الحالة.

موعظة عبد لسيده:

قيل إنّ عبداً صالحاً كان عند سيِّدٍ سيِّئٍ، فأراد أن يعظه. فأمره سيِّده أن يزرع قمحاً فزرع شعيراً، فرآه وقت حصاده فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: زرعتُه شعيراً على ظنٍّ أن يخرجَ حِنطة. فقال: ياأحمق أو يكون هذا؟ فقال العبد: فكيف أنت تعصي الله وترجو رحمته؟

* * *

فراسة المؤمن:

عن سيد الطائفة الجُنيد البغدادي قُدِّس سرُّه قال: قال لي خالي السَّرِيُّ السَّقَطي: تكلَّم على الناس - أي عِظْهُمْ - وكنتُ أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيتُ النبي عليه السلام في المنام وكانت ليلة الجمعة فقال: تكلَّم على الناس، فانتبهتُ وأتيت باب خالي، فقال: لم تصدِّقنا حتى قيل لك. أي من جانب الرسول عليه السلام، فقعدتُ من غدٍ للناس، فقعد عليَّ غلامٌ نصرانيٌّ متنكراً. أي في صورةٍ مجهولة وقال: أيها الشيخ، مامعنى قوله ﷺ: «اتقوا فراسةَ المؤمن فإنه ينظرُ بنور الله»؟ قال: فأطرقتُ رأسي ورفعته، فقلت: أسْلِمْ، فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام. فهذا إنما وقع بتعريف الله تعالى، أي للسري والجنيد.

* * *

موعظة صغير لمالك بن دينار:

روي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه مرَّ يوماً على صبي وهو يلعب بالتراب. يضحك تارة ويبكي أخرى. قال: فهممت أن أُسلِّم عليه فامتنعت نفسي تكبُّراً فقلت: يانفس! كان رسول الله ﷺ يسلِّم على الكبار والصغار، فسلَّمت عليه، فقال: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يامالك بن دينار. فقلت: من أين عرفتني

ولم تكن رأيتني؟ فقال: حيث التقت روحي بروحك في عالم الملكوت، عرَّف بيني وبينك الحيُّ الذي لايموت. فقلت: ماالفرق بين العقل والنفس؟ قال: نفسك التي منعتك عن السلام، وعقلك الذي بعثك عليه. فقلت: مابالك تلعب بهذا التراب؟ فقال: لأنّا منه خُلقنا وإليه نعود. فقلت: أراك تضحك تارة وتبكي أخرى. قال: نعم! إذا ذكرتُ عذابَ ربي بكيت، وإذا ذكرت رحمته ضحكت. فقلت: ياولدي! أي ذنب لك حتى تبكي؟ فقال: يامالك! لاتقل هذا فإني رأيتُ أُمي لاتوقد الحطب الكبار إلا ومعه الصغار فعليك بالاعتبار.

* * *

التقوى والتوبة من الذنوب

مجلس المتقين في الجنة:

قال تعالى: ﴿إنَّ الـمُتَّقينَ في جنَّاتٍ ونَهَرٍ * في مَقْعَدِ صِدْقٍ عند مَليكٍ مُقْتَدِر﴾ [القمر: ٥٥].

قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: مدحَ الله المكان بالصِّدْق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق، وهو المكان الذي يصدق الله فيه وعدَه لأوليائه بأنْ يُبيح لهم النظر إلى وَجْهِهِ الكريم.

روى صالحُ بن حبَّان عن عبد الله بن بريدة أنه قال في هذه الآية: إنّ أهلَ الجنة يدخلون كلَّ يوم مرتين على الجبَّار تعالى فيقرؤون عليه القرآن وقد جلَس كلُّ امرئٍ منهم مَجْلِسَهُ الذي هُيِّئ له على منابر الدُّرّ والياقوت والزمُرُّد والذهب والفضة بأعمالهم، فلم تقرَّ أعينُهم بشيءٍ قطّ كما تقَرُّ أعينهم بذلك، ولم يسمعوا شيئاً أعظمَ ولا أحسنَ منه ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين قريرةً أعينهم إلى مثلها من الغد.

قال بعضهم: المراد بمن في الآية همُ الذين لاتحجبُهم الجنة ولا النعيم ولاشيء عنه تعالى.

قال البقلي: ياأخي هؤلاء غرباءُ الله في الدنيا والآخرة، أدخلَهُم في أغربِ المنازِل وهو مقام المجالسة معه بحيث لايطَّلع عليه إلا أهلُ الصدق وهم الذين قال عليه السلام فيهم: «الفقراء جلساء الله».

* * *

إذا عصى الآباء انتقم الله من الأبناء:

قال الله تعالى أول سورة النساء: ﴿ولْيَخْشَ الّذينَ لو تَركَوُا من خَلْفِهم

ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافوا عليهم فَلْيَتَّقوا الله ولْيَقُولوا قَولاً سَديداً﴾ [النساء: ٩].

روي عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مما أوحى الله لداود: ياداود أنا الربُّ المعبود، أنتقم من الأبناء بما فعل الجدود».

* * *

حفظ الأبناء بصلاح الآباء:

قال ﷺ: «عفُّوا تعِفَّ نساؤكم وبرُّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم». وفي قصة الخَضر وموسى عليهما السلام أكبر عظةٍ لذلك. فقد قال تعالى: ﴿فوَجَدا فيها جِداراً يُريدُ أن يَنْقَضَّ فأقامَهُ قالَ لو شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عليه أجراً﴾[الكهف: ٧٧] ثم قال في جوابه: ﴿فكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتيمَيْنِ في المدينةِ وكَانَ تَحْتَهُ كنزٌ لهما وكانَ أبُوهما صَالحاً﴾ [الكهف: ٨٢] قيل: كان الأب السابع.

وأما العفَّة فمن عفَّ عن أعراض الناس صان الله عِرْضه.

* * *

لا يُرفع الخير إلا بالمعصية:

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بأرض الأنصار فقال: «مايمنعكم من الحرث»؟ قالوا: الجُدوبة. قال: «أفلا تعقلون؟ فإنّ الله تعالى يقول: أنا الزارع، إن شئتُ زرعتُ بالماء، وإن شئتُ زرعت بالريح، وإن شئتُ زرعتُ بالبذر». ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿أفرَأيْتُم ماتَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣].

ففي الحديث إشارةٌ إلى أنّ الله تعالى هو الذي يُعطي ويمنع بأسبابٍ وبغيرها، فالتوحيد هو أن يعتقد أن التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه، فإنه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق.

وفي الحديث: «ماسَنَة بأمطر من أخرى، ولكن إذا عمل قومٌ بالمعاصي حولّ

الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار».

* * *

توبة العصاة تنزل القطر:

قيل انقطع الغيث عن بني إسرائيل في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان، فخرج موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل، وكانوا سبعين رجلاً من نسل الأنبياء، مستغيثين إلى الله تعالى، قد بسطوا أيدي صدقهم وخضوعهم، وقرّبوا قربان تذلُّلِهم وخشوعهم، ودموعهم تجري على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطر لهم، فقال موسى: اللهم أنت القائل ادعوني أستجب لكم، وقد دعوتُك، وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل. فأوحى الله تعالى إليه: ياموسى إنّ فيهم مَنْ غذاؤه حرام، وفيهم مَنْ يبسط لسانه بالغِيبة والنميمة، وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبي، وأنت تطلب لهم الرحمة، كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب؟ فقال موسى: من هم يارب حتى نخرجهم من بيننا؟ فقال الله تعالى: ياموسى، لستُ بهتّاك ولا نمّام، ولكن ياموسى توبوا كلُّكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم، فأجود عليكم، فنادى منادي موسى في بني إسرائيل: أن اجتمعوا، فاجتمعوا فأعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحي إليه والعصاة يسمعون، فذرفت أعينهم ورفعوا مع بني إسرائيل أيديهم إلى الله عز وجل وقالوا: إلهنا جئناك من أوزارنا هاربين، ورجعنا إلى بابك طالبين، فارحمنا ياأرحم الراحمين، فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم إلى الله تعالى.

اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين.

* * *

الله يغفر الذنب العظيم:

إلـهي لسـتُ للفردوس أهلاً ... ولا أقوى على نار الجحيمِ
فهب لي توبةً واغفرْ ذنوبي ... فإنكَ غافرُ الذَّنْبِ العظيمِ

عفو الله أكبر من الذنوب :

ولما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي ... جعلتُ رجائي نحوَ عفوكَ سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلمَّا قرنتُهُ ... بعفوكَ ربِّي كان عفوكَ أعظما

* * *

رحمة الله والطمع في المغفرة:

إذا كنتَ بالميزان أوعدتَ مَنْ عصى ... فوعْدُكَ بالغفرانِ ليسَ له خُلْفُ
لئنْ كنتَ ذا بطشٍ شديدٍ وقوَّةٍ ... فمن وَصفِك الإحسان والمنُّ واللطفُ
ركبنا خطايانا وسترك مُسْبَلٌ ... وليس لشيء أنت ساترهُ كشفُ
إذا نحن لم نهفُ وتعفو تكرُّماً ... فمَنْ غيرنُا يهفو وغيرك من يعفو

* * *

يغفر الله مادون الشرك:

رأى أبو العباس شُرَيح في مرض موته كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول : أين العلماء؟ فجاؤوا ، فقال : ماذا عملتم مماعلمتم؟ فقلنا : يارب قصرَّنْا وأسأنا . فأعاد السؤال فكأنّه لم يرضَ به وأراد جواباً آخر ، **فقلت:**أما أنا فليس في صحيفتي شِرك وقد وعدتَ أن تغفر مادونه . فقال الله تعالى : اذهبوا فقد غفرت لكم . ومات شريح بعد ثلاث .

* * *

التوبة:

قيل كان رجل مسرف على نفسه ، فلما كبر تاب وأناب ، ولكن لم يزل

يخاطب نفسه: هل قبلت توبته أم لا؟ وإذ سمع هاتفاً لايرى شخصه: أيها التائب! عصيتنا فأمهلناك، وأطعتنا فشكرناك، وإن أتيت إلينا قبلناك.

فيا قابل التوبة اقبل توبتنا يارب.

* * *

التوبة وقتها العمر:

روي أن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النَّظِرة فأنظره، أي أمهله إلى قيام الساعة. فقال: انظر ماذا ترى؟ فقال: وعزَّتك لاأخرج من صدر عبدك حتى تخرج نَفْسُه. فقال تعالى: وعزَّتي وجلالي لاأحجب التوبة عن عبدي حتى تخرج نَفْسُه.

فانظر إلى رحمة الله جلَّ وعلا ورأفته على عباده وأنه سماهم مؤمنين بعدما أذنبوا فقال جل شأنه: ﴿وتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أيُّهَ المؤمنونَ﴾ [النور: ٣١] وأحبَّهم بعد التوبة. فقال: ﴿إنَّ اللهَ يُحبُّ التَّوَّابينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

* * *

أكرمكم عند الله أتقاكم:

سئل عيسى عليه السلام: أي الناس أشرف؟ فقبض قبضتين من تراب، ثم قال: أي هذين أشرف؟ ثم جمعهما وطرحهما، وقال: الناس كلهم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم.

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه:

أبي الإسلامُ لاأبَ لي سواه ... إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

وفي الحديث: «إنَّ الله لاينظر إلى صورِكم وأعمالكم ولكن ينظرُ إلى قلوبكم ونيَّاتكم».

* * *

لا كرم ولا شرف إلا بالتقوى:

روي أنَّ صفوان بن أمية فخرَ على رجلٍ فقال: أنا صفوان بن أمية بن خلف ابن فلان، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأرسل إليه وغضب، فلما جاء قال: ثكلتك أمُّك، ماقلت؟ فهاب عمرَ أن يتكلم، فقال عمر: إنْ كان لك تقوى فإنّ لك كرماً، وإنْ كان لك عقل فإنَّ لك أصلاً، وإن كان لك خلق حسن فإن لك مروءة، وإلا فأنت شرٌّ من الكلب.

* * *

سلامة الصدر وترك مالايعني سبب في دخول الجنة:

قال عليه السلام: «إنّ أوّل من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة» فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناسٌ من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا: لو أخبرتنا بأوثق عملك الذي ترجو به، فقال: إني ضعيف، وإنَّ أوثق ماأرجو به سلامة الصدر وترك مالايعنيني.

* * *

الحسنات يُذْهبنَ السيئات:

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: يارسول الله، علِّمْني عملاً يقرِّبني إلى الجنة ويباعدني عن النار. قال عليه الصلاة والسلام: «إذا عملت سيئة فاعملْ بجنبها حسنة، فإنها عشر أمثالها. قال الله تعالى: ﴿من جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثَالِها﴾ [الأنعام: ١٦٠]» فقلت: يارسول الله لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال عليه الصلاة والسلام: هي أحسن الحسنات.

فينبغي للعبد أن يُتبع السيئة الحسنة فتمحوها، وأن لايستصغر شيئاً من المعروف، ولا يحقر شيئاً من المنكر المتلوف.

* * *

المسارعة إلى التوبة بعد الذنب:

عن إبراهيم بن أدهم: بلغني أن رجلاً من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمه فيبست يده. فبينما هو جالس إذ سقط فرخ من وكره وهو يبصبص، فردَّه إلى عشه. فرحمه الله لذلك وأطلق يده. فينبغي للمؤمن أن يسارع إلى التوبة والعمل الصالح فإن الحسنات يذهبن السيئات.

* * *

بكاء آدم على خطيئته:

في «روح البيان»: لو جُمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاءُ داود أكثر. ولو جُمع ذلك إلى بكاء نوح لكان أكثر، وإنما سمي نوحاً لنوحه على نفسه، ولو جُمع ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته لكان أكثر.

* * *

معصية آدم أكبر من معصية ذريته:

سئل ابنُ عطاء عن قصة آدم؟ إنّ الله تعالى نادَى عليه بمعصية واحدة، وستر على كثير من ذرِّيته. فقال: إنّ معصية آدم كانت على بساط القربة في جواره، ومعصية ذريته في دار المحنة فزلته أكبر وأعظم من زلتهم.

قلت: وأيضاً إذا كان الله نادى بمعصيته، فقد نادى بتوبته، ثم نادى نداء آخر بنبوَّته. ومقام نبوته أكبر من مقامه حين كان في الجنة. وأما كونه بجوار ربِّه ففي مقام النبوَّة جوار أعظم، وتعالى الله عن المقام. وجوار الدنيا رحمة وإحسان.

* * *

المعصية تغيِّر العاصي:

قيل إنّ شؤم المعصية تغيِّرُ من العاصي أشياء كثيرة، فغيَّرتْ من إبليس حاله

واسمه، وكان اسمهُ عزازيل، وكان اسم هاروت وماروت عزا وعزايا.

قال إبراهيم بن أدهم: مشيتُ في زرعِ إنسانٍ فناداني صاحبه: يابقر! فقلت: غيَّرَ اسمي بزلَّة، فلو كُثرت لغيَّر الله معرفتي.

* * *

تَوَقِّي الذنوب:

روى أبو نعيم في «الحلية» عن هشام بن حسّان قال: كنتُ أمشي خلف العلاء ابن زياد العدوي فكنت أتوقّى الطين، قال: فدفعه إنسان فوقعت رجلهُ في الطين فخاضه. فلما وصل إلى الباب وقف فقال: رأيت ياهشام؟ قلت: نعم. قال: كذلك المرء المسلم يتوقّى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها.

* * *

الشهوة تحمل على المعصية:

قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ولكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إليكم الإيمانَ وزيَّنَهُ في قُلُوبِكُم وكَرَّهَ إليكمُ الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ أولئكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلاً من اللهِ ونِعْمَةً واللهُ عليمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧-٨].

قال في «روح البيان»: في الآية دليلٌ على أنّ من كان مؤمناً لايُحبُّ الفسق والمعصية، وإذا ابتُلي بالمعصية فإن شهوته وغفلته تحملُه على ذلك لا لحبِّه للمعصية، بل ربما يعصي حال الحضور لأنّ فيه نفاذَ قضائه تعالى.

* * *

حكاية في إصلاح المجرمين:

قيل إن أحد الملوك كان متخفيًا لتفقُّد أحوال رعيَّته فرأى ثلاثةً هاله أمرهم، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن السارقون، وتقاسمنا الأيمان على حسن العشرة، ولكلٍّ منا مزية لايدخل أحدٌ معنا مالم يكن له مثل مزايانا. قال: هاتوا ماعندكم.

قال أحدهم: أنا أفري الحديد والخشب والحجر. وقال الآخر: وأنا أسحر الشُّرطة والأعوان فلا يروننا. وقال الثالث: وأنا أجرُّ الأثقال وأحملها. فقال الملك: وأنا أخلِّصكم من كلِّ شدة وورطة تقعون بها.

فأدخلوه معهم وذهبوا لسرقة خزينة الملك. فأتى فاري الحديد ففرى الحديد والأبواب والأحجار حتى وصلوا لمرادهم. وأما الآخر فسحر أعين الشُّرطة والحرّاس فلم يرهم أحد. ووجدوا طعاماً فاخراً فأكلوا منه حتى شبعوا. ثم ذهبوا ولم يسرقوا شيئاً، فقال لهم الملك: ويلكم هذه خزينة الملك ولم لانأخذها؟ فانهالوا عليه ضرباً وقالوا له: أيها الخائن أكلت طعام الملك ثم تخونه! فلما انصرفوا عاد الملك لعمله، وأرسل من أحضرهم، واستخرج منهم سائر سرقاتهم ثم حكم عليهم بالإعدام ورجع لاستخفائه معهم، فقالوا: لقد حكم علينا الملك بالإعدام كما ترى، وقد نجوت أنت لأنك جديد فكيف تستعمل مزيَّتك وتخلِّصنا؟ قال: نعم، فخلا برئيس الشرطة والأعوان فأراه علامة الملك فخلّى سبيلَ الجميع. ثم إن الملك أضمر في نفسه استعمالهم في أعماله، لما رأى من وفائهم، فصار يستعملهم واحداً بعد واحد، حتى أخذهم كلَّهم ثم كاشفهم بأمره فتابوا وكانوا أعوان خيرٍ وسلام.

رضي الله عن أمثال هؤلاء الحكام.

* * *

الصلاة على النبي

صلاة الشيخ سليم الحمصي على النبي وإجازتها للمؤلف:

اجتمعتُ بالولي الفالح الشيخ سليم خَلَف الحمصي أخذني والدي المرحوم الشيخ أبو الخير عابدين معه إلى حمص لزيارته واكتساب بركته، فأجازني ووالدي بالصيغة الآتية وذلك سنة ١٣٢٣ هـ: اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد صلاة أهل السموات والأرضين عليه، عدد ما عند الله من العدد في كل لمحةِ عين، من الأزل إلى الأبد. وذلك حينما كان والدي قاضياً في بعلبك رحمهما الله ورحمنا بهم.

* * *

فضل الصلاة على النبي ﷺ:

حكي عن سفيان الثوري أنه رأى رجلاً في الطواف يكثر الصلاة على النبي ﷺ. فقال له: ياهذا تركت الذكر والتسبيح الوارد هنا وتمسَّكْت بالصلاة على النبي ﷺ! قال: نعم، من أنت؟ قال: سفيان الثوري. قال: أحدثك، إني كنتُ حاجاً أنا ووالدي، فتوفي والدي فاسودَّ وجهه وانتفخ بطنه وازرقَّت عيناه وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فغطَّيته وغلبتني عيناي فإذا أنا برجل لم أرَ أجمل منه وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أطيب ريحاً، فمسح على وجه أبي فصار أبيض من اللبن، ثم مسح على بطنه فعاد كما كان. فسألته من أنت؟ فقال: أنا محمد رسول الله ﷺ كان أبوك كثير المعاصي غير أنه كان يكثر الصلاة عليَّ. فلما نزل به ما نزل استغاث بي فأغثته، وأنا غياث لمن يكثر الصلاة عليَّ في دار الدنيا.

فانتبهت فإذا وجه أبي قد ابيضَّ، وانتفاخ بطنه قد زال.

* * *

فائدة الصلاة على النبي أربعة آلاف مرة:

حكي عن بعض الصالحين أنه حصل له ضيقٌ شديد فرأى النبيَّ ﷺ في المنام فقال له: يافلان لاتغتَّم ولا تحزن، إذا كان الغدُ ادخُل على عليِّ بن عيسى الوزير فاقرئْهُ مني السلام وقل له: بعلامة أنك صلَّيت عليَّ عند قبري أربعةَ آلاف مرَّة يدفعْ لك مائة دينار عيناً. فلمّا أصبح ذهب إليه وقصَّ عليه الرؤيا فاغرورقَتْ عينا عليِّ بن عيسى بالدموع وقال: صدق الله ورسوله، وصدقت أنت يارجل، هذا شيءٌ ماكان عَلِمَ به إلا الله ورسوله؛ ياغلام هات الكيس. فأحضره بين يديه، فأخرج منه ثلاثمائة دينار وقال: هذه المائة التي قال رسولُ الله ﷺ وهذه المائة الأخرى بشارة، وهذه المائة الأخرى هديَّةٌ لك، فخرج الرجل من عنده ومعه ثلاثمائة دينار وقد زال همُّه وغمُّه، ومَنَّ الله على الوزير المذكور فترك الوزارة وعلوَّ الرياسة وظلم السلطنة وعظمةَ الجبابرة، وذهب إلى مكة وجاور فيها ببركة ذكر النبي ﷺ، وتخصيصه بإرسال ذلك الرجل؛ لما سبق له في علم الله سبحانه وتعالى بما يؤول أمرُهُ إليه من الخير وحسن الخاتمة.

* * *

قيام الليل

فضل قيام الليل:

يحكى عن شاب عابد أنه قال: نمت عن وردي ليلة فرأيت كأن محرابي قد انشق، وكأني بجوارٍ قد خرجن من المحراب، لم أر أحسن وجهاً منهن، وإذا واحدة فيهن شوهاء لم أر أقبح منها منظراً، فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التي مضين. وهذه ليلة نومك، فلو مت لكانت هذه حظك.

ثم أنشأت الشوهاء تقول:

اسأل لمولاك واردُدني إلى حالي ... فأنت قبَّحْتَني من بين أشكالي

لا ترقُدنَّ الليالي ما حييتَ فإن ... نمتَ الليالي فهنَّ الدَّهرَ أمثالي

فأجابتها جارية من الحسان:

نحن الليالي اللواتي كنتَ تسهرها ... تتلو القُرْآنَ بترجيعٍ ورنَّاتِ

نحن الحسان اللواتي كنتَ تخطبنا ... جوفَ الظلام بأنَّات وزفْراتِ

وكان بعض الصالحين يقوم الليل كلَّه، ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء كأبي حنيفة رحمه الله ونحوه.

قال بعض العارفين: إن الله تعالى يطَّلِع على قلوب المستيقظين بالأسحار فيملؤها نوراً، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

* * *

الصلاة في الليل تحل العُقَد:

في الخبر: إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد، فإن قعد وذكر الله انحلت عُقْدة، فإن توضَّأ انحلَّت عقدة أخرى، وإن صلى ركعتين انحلت العقد

كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس. وإلا أصبح كسلان خبيث النفس.

* * *

العُرْيُ والبرد وقيام الليل:

قال داود بن رشيد من أصحاب محمد بن الحسين: قمتُ ليلةً فأخذني البَرْد فبكَيتُ من العُري فنمت فرأيتُ قائلاً يقول: ياداود أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا؟ فما نام داود بعد تلك الليلة.

* * *

حرص أبي يزيد البسطامي على قيام الليل وهو صغير:

في كتاب «نوادر الأخبار» للأنباري أوائله: قال: كان أبو يزيد البسطامي صغيراً، فاستيقظ ليلةً فرأى والده قائماً يصلي فقال له: ياأبت علِّمني كيف أتطهَّر وأصلِّي معك. فقال: يابني ارقُد فإنك صغير. فقال: ياأبت إذا كان يوم القيامة أقول لربي: يارب قلتُ لأبي علِّمني كيف أتطهر وأصلي معك فقال لي: ارقد فإنك صغير. فقال أبوه: لا والله يابني. وعلّمه فكان يصلي معه في كل صلاة. رحمة الله عليهم أجمعين.

* * *

توقيت ليلة القدر:

ذكر بعض الصوفية ضابطاً لليلة القدر فقال:

وإنّا جميعاً إن نصُم ليلةَ جمعةٍ	ففي تاسع العشرين خُذْ ليلةَ القدرِ
وإنْ كان يومُ السبت أولَ صومنا	فحادي وعشرين اعتمدْه بلا عُذْرِ
وإنْ هلَّ يومُ الصوم في أَحَدٍ ففي	سابعِ العشرينَ مادمتَ فاستقرِ
وإنْ هلَّ بالإثنين فاعلم بأنه	يوافيك نيلُ الوَصْل في تاسع العَشْرِ

ويـوم الـثلاثـا إنْ بدا الـشـهرُ فاعتـمدْ   على خـامِس العشرين تحظَ بـها فـادْرِ

وفـي الأربـعا إن هـلَّ يـامـن يـرومُـها   فدونـك فـاطلبْ وَصْلَـها سابعَ العشرِ

ويـوم الخميس إن بـدا الشهرُ فاجتهـدْ   تـوافـيـك بعـد العشـر في ليلـة الوترِ

وعن ابن عباس أنها ليلةُ سبع وعشرين أخْذاً من قوله تعالى: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القـدر﴾ إلى ﴿سَلَامٌ هي﴾ [القدر: ٥]، فإنَّ كلمة ﴿هي﴾ السابعة والعشرون من كلمـات السـورة و ﴿هي﴾ كناية عن ليلة القـدر، وعليـه العـملُ في الأعـصـار والأمصار. وهو مذهب أكثر أهل العلم. **(باجوري في باب الاعتكاف)**

وقـال الخـازن بعـدمـا ساق اختـلاف الأحـاديث فيـهـا عن البـغـوي مـانصُّه: وبالجـملة، أبهمَ الله تعـالى هذه الليلة على الأمة ليـجتـهـدوا في العـبادة ليـالي شـهرِ رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمَهُ الأعظم في القرآن في أسمائه، ورضاه في الطاعات ليرغبوا فيها جميعاً، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيامَ الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها.

ومن عـلامـاتها مـارُوي عن الحسن رفعه: أنها ليلةٌ بَلِـجـة سَمْحَة، لا حـارَّة ولاباردة، تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لاشُعاع لها.

* * *

قيام ليلة القدر وما يقال فيها:

عن عـائشـة قـالت: كـان رسـول الله ﷺ إذا دخل العـشـرُ الأواخر أحيا الليلَ وأيقظَ أهلَه وجدَّ وشدَّ المئزر.

ولمسلم عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهدُ في العشر الأواخر من رمضان مالايجتهد في غيره.

* * *

عن عائشة قالت: قلتُ يارسول الله، إن علمتُ ليلةَ القَدْر ماأقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحبُّ العَفْوَ فاعفُ عني».

* * *

ركعات السحر هي المفيدة:

حكي أنّ الجنيد قُدّس سرُّه رُئي في المنام بعد موته فقيل له: مافعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وفنيت تلك العبارات، وأبيدت تلك الرسوم، وغابت تلك العلوم، ومانفعنا إلا رُكيعات كنا نركعها وقت السحر.

* * *

الصدقات والحث عليها

الترغيب في الصدقات:

رُوي عن أبي عبد الله الحارث الرازي أنه قال: أوحى الله إلى بعض أنبيائه: إني قضيت عمر فلان نصفه بالفقر ونصفه بالغنى، فخيِّرْه حتى أقدِّم له أيهما شاء. فدعا نبيُّ الله ﷺ الرجل وأخبره فقال: حتى أشاور زوجتي. فقالت زوجته: خذ الغنى حتى يكون هو الأول. فقال لها: إنّ الفقر بعد الغنى صعب شديد، والغنى بعد الفقر طيب لذيذ. فقالت: لا بل أطعني في هذا. فرجع إلى النبي عليه السلام فقال: أختار نصف عمري الذي قضي لي فيه بالغنى أن يقدَّم.فوسع الله عليه الدنيا وفتح عليه باب الغنى. فقالت له امرأته: إن أردت أن تبقي هذه النعمة فاستعمل السخاء مع خلق ربك. فكان إذا اتخذ لنفسه ثوباً اتخذ لفقير ثوباً مثله. فلما تم نصف عمره الذي قضي له فيه بالغنى، أوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: إني كنت قضيت نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى، لكني وجدته شاكراً لنعمائي والشكر يستوجب المزيد فبشِّره أني قضيت باقي عمره بالغنى.

* * *

مضاعفة الأجر للصدقات غير الزكاة:

قال تعالى: ﴿إنّ المُصَّدِّقِينَ والمُصَّدِّقَاتِ وأقْرَضوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ ولَهُمْ أجْرٌ كَرِيمٌ﴾. [الحديد: ١٨].

أي: إنما يضاعف للمتصدق، والمتصدق هو الذي يعطي الزائد على واجبه القائم بالنوافل المقبولة، وأما الفرائض فلا أجر لها، وإنّما هي تدفع غضبَ الله وعذابه عن القائم بها لأنّ من لم يقم بها وعصى ربه بتركها يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم ولذلك يُقال لهم: ﴿ماسَلَكَكُم في

سَقَرَ * قالوا لَمْ نَكُ من المُصَلِّينَ * ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤]. فلكل من عدم الصلاة وعدم الزكاة وعدم الحج عذاب خاص، وكذلك لترك الإيمان والعياذ بالله تعالى، وكذا لمن يأكل لحم أخيه.

وأما الأجور ومضاعفاتها فللنوافل قال تعالى: ﴿مَثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالَهُم في سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ واللهُ واسِعٌ عليمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

* * *

التوسيع على العيال يوم الجمعة:

في الحديث: «إنّ لله أملاكاً خلقهم كيف يشاء، وصورهم على مايشاء تحت عرشه. ألهمهم أن ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في كل يوم مرتين: ألا من وسَّع على عياله وجيرانه وسَّع الله عليه في الدنيا والآخرة، ألا من ضيَّق ضيق الله عليه. ألا إن الله قد أعطاكم لنفقةِ درهم على عيالكم خيراً من سبعين قنطاراً - والقنطار كجبل أحد وزناً - أنفقوا ولا تخشوا، ولا تضيِّقوا ولا تقتِّروا، وليكن أكثر نفقتكم يوم الجمعة».

* * *

الشجاع الأقرع في القبر لمن لايؤدي زكاة ماله:

كنت واقفاً في تشييع جنازة رجل أعرفه بقرية الأشرفية، فحفروا قبره فرأيت حية خضراء سمينة لها عينان أكبر من عيون الإنسان وهي منثنية على بعضها شأن الحيات والثعابين، وثخنها يقرب من ثخن الإنسان، وكنت صغيراً، وإذ هم ردموا القبر، ثم حفروا قبراً ثانياً فرأيتها بمكانها الأول، وإذ هم ردموا القبر الثاني، ثم حفروا القبر الثالث فرأيتها والله بنفس المكان الأول رؤية عين لا رؤيا منامية، ولا أدري ماذا قالوا حتى أنزلوا الميت فيه. ولما كبرت سألتهم لماذا حفروا ثلاثة قبور؟

قالوا:وجدوا الأول متهدِّماً، فحفروا الثاني، فوجدوه متهدِّماً فحفروا الثالث فوجدوه متهدِّماً، فقالوا: أنحفر كل القبور؟ فألقوه فيه. ولكن الله تعالى لم يطلعهم على ماأطلعني عليه، ولاأدري ماكان يصنع ذلك الرجل في حياته حتى سلّط الله عليه هذا التنين، الذي يقال له الشجاع الأقرع، فقد ورد في الحديث: «مامن أحد لايؤدي زكاة ماله إلا مثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع حتى يطوِّق به عنقه» ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿ولايَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخَلُونَ بما آتَاهُمُ اللهُ من فَضْلِهِ هو خَيْراً لهم بَلْ هُوَ شَرٌ لهم سَيُطَوَّقُونَ مابَخِلُوا به يومَ القيامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. رواه ابن ماجه.

* * *

ما للمتصدق من أجر:

قال سفيان: لما نزل: ﴿مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثَالِها﴾ [الأنعام: ١٦٠] قال عليه السلام: «ربِّ زِدْ لأمتي» فنزل: ﴿مَثَلُ الذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم في سبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] فقال عليه السلام: «ربِّ زِدْ لأمَّتي». فنزل: ﴿مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فيُضَاعِفَهُ له أضْعافاً كَثيرةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فقال عليه السلام: «ربِّ زِدْ لأمتي». فنزل: ﴿إنَّما يُوفَّى الصَّابِرونَ أجْرَهُم بغيرِ حِسابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. فانتهى رسول الله ﷺ.

* * *

الصدقة تظلل صاحبها:

في الحديث: «المرء يكون في ظلِّ صدقته يوم القيامة».

* * *

الصدقة تدفع البلاء:

في الحديث: «صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة».

* * *

الصدقة تؤخر في الأجل:

حكي أنّ قصَّاراً مرَّ على عيسى عليه السلام مع جماعة من الحواريين، فقال لهم عيسى عليه السلام: احضروا جنازة هذا الرجل وقت الظهر. فلم يمت، فنزل جبريل، فقال له عيسى عليه السلام: ألم تخبرني بموت هذا القصار؟ فقال: نعم! ولكنه تصدَّق بعد ذلك بثلاثة أرغفة فنجا من الموت.

* * *

دعاء منصور بن عمَّار لمتصدِّق:

كان رجل يشرب مع جمعٍ من ندمائه، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم، وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس، فمرَّ الغلام بباب مسجد منصور بن عمَّار، وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوتُ له أربع دعوات. فدفع الغلام الدراهم، فقال منصور: ماالذي تريد أن أدعو لك؟ فقال: لي سيد أريد أن أتخلَّص من ملكته. فدعا له منصور، ثم قال: الأخرى. فقال: أن يخلف الله عليَّ دراهمي. فدعا له، ثم قال: الأخرى. فقال: أن يتوب الله على سيدي. فدعا، ثم قال: الأخرى. فقال: أن يغفر الله لي ولسيِّدي ولك وللقوم. فدعا منصور، فرجع الغلام إلى سيِّده فقال: لِمَ أبطأت؟ فقَصَّ عليه القصة. فقال: وبم دعا؟ فقال: سألتُ لنفسي العتق، فقال: اذهب فأنت حر. ثم قال: وأيش الثاني؟ فقال: أن يخلف الله عليَّ الدراهم. فقال: لك أربعة آلاف درهم. ثم قال: وأي شيء الثالث؟ فقال: أن يتوب الله عليك. فقال: تبت إلى الله، ثم قال: وأي شيء

الرابع؟ فقال: أن يغفر الله لي ولك وللمذكّر وللقوم. فقال هذا الواحد ليس إليّ. فلما بات رأى في المنام كأنّ قائلاً يقوله له: أنت فعلت ماكان إليك، أترى أني لاأفعل ماإليّ! فقد غفرتُ لك وللغلام ولمنصور وللقوم الحاضرين.

* * *

أحبُّ الطاعات إلى جبريل:

في «روح البيان»: عن محمد بن إسماعيل البخاري قال: بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: ياجبريل لو بعثتك إلى الدنيا، وجعلتك من أهلها، ماالذي عملت من الطاعات فيها؟ فقال جبريل: أنت أعلم بشأني مني، ولكني كنت أعمل ثلاثة أشياء: أولها كنت أعين صاحب العيال في النفقة على عياله، والثاني كنتُ أستر عيوب الخلق وذنوبهم حتى لايعلم أحد من خلقك عيوبَ عبادك وذنوبهم غيرك، والثالث أسقي العطشان وأرويه من الماء.

* * *

كل معروف تفعله صدقة:

في الحديث: «كلُّ معروف صدقة، وكلُّ ماأنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وماوقى الرجل به عرضه كُتب له به صدقة».

* * *

ثواب إطعام الفقير:

في الحديث: «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر الله عز وجل إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا فيقول: وعزّتي وجلالي مازويت الدنيا عنك لهوانك عليّ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة. اخرج ياعبدي إلى هذه الصفوف، وانظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك.

والناس يومئذ قد ألجمهم العرق. فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك في الدنيا فيأخذ بيده ويدخل الجنة».

* * *

النحس يُدفع بالصدقة:

في الحديث: «إن لكلِّ يوم نحساً، فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة».

* * *

تسابق أبي بكر وعمر في الصدقة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه فجئت بنصف مالي فتصدَّقت به. فقال لي رسول الله ﷺ: «ماأبقيت لأهلك ياعمر»؟ قلت: نصف مالي يارسول الله. ثم قال لأبي بكر: «ماأبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لاأسابقك بشيء بعدها. روي أن النبي ﷺ قال عند ذلك: «مابينكما مابين كلاميكما».

* * *

مئذنة العروس بجامع دمشق تمت بتبرع عروس:

مئذنة العروس التي في الجامع الأموي بدمشق قيل في سبب تسميتها بذلك إن الوليد بن عبد الملك حين جدد بناء الجامع عمل أسطوحه من الرصاص بدل التراب كما هو عليه الآن أعني ١٣٨١ ففرشه حتى نفد ماكان عندهم من الرصاص وقتئذ، ففتشوا فلم يجدوه إلا عند بنت أحد التجار التي مات أبوها وخلف لها من جملة تركته رصاصاً. فطلبوه منها فأبت إلا بثمن عظيم جداً، ولازالوا يساومونها وهي تصرُّ حتى أجابوها لما طلبت، ولما حملوا لها المال قالت لهم: لقد اشتراه غيركم

بأضعاف ماأخذتموه. فقالوا: لايقدر أحد أن يعطي أكثر من خزانة الخليفة. قالت لهم: بلى، الله ربُّ العالمين، فما وعدني عليه خير مما أعطيتموني. فأعطتهم إياه بدون ثمن. فلما رأى الملك ذلك خطبها لبعض أمرائه فسميت مئذنة العروس ستراً لاسمها كما هي عادة العرب يكنون عن أسماء النساء.

* * *

برُّ أهل البيت وجزاؤه:

روي أنه كان ببغداد تاجر له بضاعة يسيرة، فاتفق أنه صلى صلاة في جماعة، فلما سلَّموا قام علوي وقال: إن لي بنية أريد تزويجها بحق جدِّي رسول الله ﷺ أعطوني ماأصلح به لها جهازها، فأعطاه التاجر رأس ماله، وكان خمسمائة درهم. فلما كان الليل رأى التاجر رسول الله ﷺ في المنام فقال له: يافتى قد وصل إليَّ ماأتحفتني، فاقصد إلى مدينة بلخ، فإن عبد الله بن طاهر بها فقل له: إنّ محمداً يقرئك السلام ويقول: قد بعثتُ إليه ولياً له عندي يدٌ فادفع إليه خمسمائة دينار. فانتبه التاجر وأخبر بذلك امرأته فقالت: ومن يقوم بنفقتنا إلى أن ترجع من بلخ؟ فقصد إلى خبَّاز من جيرانه وقال: إن أعطيت أهلي كفايتهم مدة غيبتي أعطيتك إذا رجعت بدل كل درهم ديناراً. فقال الخباز: إن الذي أمرك بالخروج إلى بلخ أوصاني بنفقة أهلك إلى رجوعك. ففرح التاجر وخرج إلى بلخ، فلما قرب استقبله عبد الله ابن طاهر وقال: مرحباً برسول رسول الله ﷺ، إنّ الذي أرسلك إليّ أوصاني بالإحسان إليك. فأحسن ضيافته ثلاثة أيام ثم أعطاه خمسمائة دينار لكونه رسول رسول الله ﷺ، وبعث معه جماعة أوصلوه إلى منزله.

* * *

شهوة الحسن وتجارة علي وتفسير النبي:

رُوي أن فاطمة أعطت قميصها علياً ليشتري لها ماالشتهاه الحسن، فباعه بستة

دراهم، فسأله سائل فأعطاه إياها، فاستقبله رجل ومعه ناقة، فاشتراها علي على المُدَّة بستين ديناراً، ثم استقبله رجلٌ فاشترى منه الناقة بستين ديناراً وستة دراهم ثم طلب بائع الناقة ليدفع له ثمنها فلم يجده. فعرض القصة على النبي ﷺ فقال ﷺ: «أما السائل فرضوان، وأما البائع فميكائيل، وأما المشتري فجبريل».

* * *

تصدُّق عمر على شاعر لتذكيره لا لشعره:

قيل: وقف أعرابي على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال:

ياعمر الخير جزيت الجنَّه   أُكْسُ بُناتي وأُمَّهُنَّهْ

أقسمت بالله لتفعلنَّهْ

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذن أبا حفص لأذهبنَّهْ

قال: فإذا ذهبت يكون ماذا؟ قال:

يكون عن حالي لتُسألَنَّهْ   يوم يكون الأعطيات هَنَّه

إما إلى نارٍ وإما جنَّهْ

فبكى عمر حتى اخضلَّت لحيتُه وقال لغلامه: ياغلام! أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره. ثم قال رضي الله عنه: والله ماأملك غيره.

* * *

بر الوالدين

حقوق الوالدين:

من حقوق الوالدين على الولد: ترك التأفف، والبِرُّ، والتكلم بقول لطيف.

روي أنه ماأكل زين العابدين مع والدته يوماً من الأيام، فسئل عن ذلك وقيل له: أنت تؤاكل الناس ولانراك تؤاكل أمك! قال: أخاف أن تسبق يدي إلى ماتشتهي عينها.

* * *

منزلة برِّ الأم:

حكي أن إبراهيم الخواص قُدِّس سرُّه قال: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني، فتعجبت منه وأُلهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت له: بحق الحق من أنت؟. قال: أخوك الخضر. فقلت: أريد أن أسألك. قال: سل. قلت: ماتقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد ـ أي الأوتاد الأربعة المحفوظ بهم الجهات الأربع من الجنوب والشمال والشرق والغرب ـ قلت: فما تقول في أحمد بن حنبل إمام السُّنَّةِ؟ قال: هو رجل صِدِّيق. قلت: فما تقول في بشر بن الحارث؟ قال: رجل لم يُخلق بعده مثله. قلت: فبأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرِّك أمَّك.

* * *

دعاء الوالدين مستجاب:

سأل الزمخشريَ بعضُ العلماء عن سبب قطع رجله قال: أمسكت عصفوراً في صباي، وربطته بخيط في رجله، وأُفلت من يدي ودخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله، فتألمتْ والدتي وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله.

فلما رحلتُ إلى بخارى لطلب العلم سقطت من الدابة فانكسرت رجلي،

وقيل أصابه البرد في الطريق فسقطت رجله. وكان يمشي بخشب.

«روضة الأخبار»

* * *

قصة جريج مع أمه:

عن أبي رافع، عن أبي هريرة أنه قال: كان جُريج يتعبَّد في صومعته، فجاءت أمُّه، قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفةَ أبي هريرة لصفة رسول الله ﷺ أمَّه حين دعتّه كيف جعلت كفَّها فوق حاجبِها، ثم رفعتْ رأسها إليه تدعوه فقالت: ياجُريج، أنا أُمُّك كلِّمني. فصادفتْه يصلِّي، فقال: اللهم أمِّي وصلاتي؟ فاختار صلاتَه فرجعتْ، ثم عادَتْ في الثانية فقالت: ياجريج، أنا أمُّك فكلِّمني. قال: اللهمَّ أمي وصلاتي؟ فاختار صلاته، فقالت: اللهم إنّ هذا جريج وهو ابني وإني كلَّمتُه فأبى أن يكلِّمني، اللهم لاتُمتْه حتى تُريَهُ المومسات. قال: ولو دعت عليه أن يُفتن لفُتن. قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديْرِه قال: فخرجتِ امرأةٌ من القرية، فوقع عليها الراعي فحملَتْ فوضعت غلاماً، فقيل لها: ماهذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير. قال: فجاؤوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادَوه فصادفوه يصلِّي، فلم يكلِّمهم، قال: فأخذوا يهدمون ديرَه، فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له: سَلْ هذه. قال: فتبسَّم ثم مسحَ رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعي الضأن. فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ماهدَمْنا من ديرِك بالذهب والفضة. قال: لا، ولكن أعيدوه تُراباً كما كان ثم علاه.

* * *

رواية أخرى عن قصة جريج:

عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «لم يتكلَّم في المَهْد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وصاحبُ جُريج، وصبي آخر، وكان جُريج رجلاً عابداً فاتَّخذ صومعة،

فكان فيها فأتته أمُّه وهو يصلِّي فقالت: ياجريج، فقال: يارب، أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلِّي فقالت: ياجريج. فقال: أي ربِّ، أمِّي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته فانصرفَت، فلما كان من الغد أتَتْه وهو يصلِّي، فقالت: ياجريج، فقال: أي ربّ، أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته،فقالت: اللهم لاتُمِتْه حتى ينظر إلى وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته، وكانت امرأةٌ بَغِيّ يُتَمَثَّل بحسنها، فقالت: إنْ شئتم لأفتننَّه لكم. قال: فتعرَّضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنَتْه من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدَتْ قالت: هو من جُريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ماشأنكم؟ قالوا: زنَيْتَ بهذه البَغِيّ، فولدَتْ منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي. فلما انصرف أتى الصبيَّ فطعن في بطنه وقال: ياغلام، من أبوك؟ قال: فلان الراعي. قال فأقبلوا على جُريج يقبِّلونه ويتمسَّحون به وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا.

* * *

طفل وأمه ودعاؤهما:

بينا صبيٌّ يرضع من أمه فمرَّ رجل راكبٌ على دابَّة فارهة وشارةٍ حسنة فقالت أمه: اللهم اجعلِ ابني مثلَ هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهمَّ لاتجعلني مثلَه. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع، قال: فكأنِّي أنظرُ إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه، فجعل يَمَصُّها، قال: ومرُّوا بجاريةٍ وهم يضربونها ويقولون زنَيْتِ، سرقتِ. وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمُّه: اللهم لاتجعلِ ابني مثلها. فترك الرَّضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلْني مثلها. فهناك تراجعا الحديث فقالت: مرَّ رجل حسَنُ الهيئة

فقلتُ: اللهم اجعل ابني مثله فقلت: اللهم لاتجعلْني مثله. ومروا بهذه الأمَةِ وهم يضربونها ويقولون: زنيت سرقت، فقلت:اللهم لاتجعلِ ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها! قال: إنَّ ذاك الرجل كان جبَّاراً، فقلت:اللهم لاتجعلني مثله، وإنَّ هذه يقولون لها: زنيتِ ولم تزنِ، وسرقتِ ولم تسرقْ فقلت: اللهم اجعلْني مثلها.

* * *

برُّ الوالدين:

قال الإمام اليافعي: حُكي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام: أن اخرج إلى ساحل البحر تبصرْ عجباً، فخرج سليمان ومن معه من الجن والإنس ولما وصل إلى الساحل التفت يميناً وشمالاً فلم يرَ شيئاً، فقال لعفريت: غُصْ في هذا البحر ثم ائتني بعِلْمِ ماتجد فيه، فغاص فيه ثم رجع بعد ساعة، وقال: يانبي الله إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا فلم أصل إلى قعره ولا أبصرت فيه شيئاً، فقال لعفريت آخر: غص في هذا البحر وائتني بعلم ماتجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول إلا أنه غاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخيا وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله حكاية عنه: ﴿قالَ الذي عِنْدَه عِلْمٌ مَن الكِتابِ﴾ [النمل: ٤٠] ائتني بعلم مافي هذا البحر. فجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب، باب من درّ، وباب من جوهر، وباب من زبرجد أخضر، وباب من ياقوت أحمر، والأبواب كلها مُفَتَّحة ولا يقطر فيها قطرة من الماء وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ماغاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام، وإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب وهو قائم يصلي، فدخل سليمان القبة وسلَّم على ذلك الشاب وقال له: ماأنزلك في قعر هذا البحر؟ فقال: يانبي الله إنه كان أبي رجلاً مقعداً وكانت أمي عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة فلما

حضرت وفاة أمي قالت: اللهم أطل حياة ابني في طاعتك، فلما حضرت وفاة أبي قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لايكون للشيطان عليه سبيل. فخرجت إلى هذا الساحل بعدما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة، فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة، فاحتمل القبة وأنا فيها وأنزلني في قعر هذا البحر، قال سليمان: ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام. فنظر سليمان في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لاشيبة فيه، قال: فما كان طعامك وشرابك في داخل هذا البحر؟ قال: يانبي الله يأتيني كل يوم طير أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فآكله فأجد فيه طعم كلّ نعيم في دار الدنيا فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة. فقال سليمان: أتقف هنا أم نردك إلى موضعك؟ فقال: ردُنّي يانبي الله، فقال: ردَّه ياآصف. فردَّه، ثم التفت فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين فأحذركم عقوق الوالدين رحمكم الله.

* * *

قال الإمام السخاوي عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: «إني سألت الله أن لايقبل دعاء حبيب على حبيبه» ولكن صح أنّ دعاء الوالد على ولده لايردّ، فيجمع بينهما.

وجاء رجل إلى النبي عليه السلام ليستشيره في الغزو فقال: «ألك والدة؟» قال: نعم. قال: «فالزمها فإن الجنة تحت قدميها».

* * *

بِرُّ الوالدين وطاعتهما سبب دخول الجنة:

عن عمر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لولا أني أخاف عليكم تغيُّرَ الأحوال عليكم بعدي لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهم: امرأةٌ وهبَتْ صداقها لزوجها لأجل الله وزوجها راض. والثاني: ذو

عيال كثير يجتهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال. والثالث: التائب من الذنب على أن لايعود إليه أبداً، كاللبن لايعود إلى الثدي. والرابع البارٌ لوالديه».

* * *

مهما بذل الولد لايؤدي حق والديه:

قال ﷺ: «طوبى لمن برّ بوالديه وويل لمن عقهما».

روي أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إنَّ أبويّ بلغا من الكبر أني أَلِي منهما ماولَيا مني في الصِّغَر، فهل قضيتهما حقَّهما؟ قال: «لا، فإنهما كانا يفعلانِ ذلك وهما يُحبَّانِ بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما».

* * *

روي أن رجلاً قال: يارسول الله، إنَّ أمي هرِمت، فأُطعمها بيدي، وأسقيها وأوضئها، وأحملها على عاتقي، فهل جازيتها حقها؟ قال عليه السلام: «لا ولا واحد من مئة». قال: لِمَ يارسول الله؟ قال: «لأنها خدمَتْكَ في وقت ضعفك مريدةً حياتك، وأنت تخدمها مريداً مماتَها، ولكنك أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً».

* * *

أنت ومالك لأبيك:

روى البيهقي في «الدلائل» والطبراني في «الأوسط» و«الصغير» بسند فيه من لايُعرف، عن جابر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله،إنّ أبي أخذ مالي. فقال النبي ﷺ: «فاذهب فأتني بأبيك». فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ماسمعته أذناه. فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: «مابال ابنك يشكوك تريد أن تأخذ ماله»؟ قال: سله يارسول الله هل أنفقته إلا على عماته وخالاته أو على

نفسي؟ فقال النبي ﷺ: «إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ماسمعته أذناك». فقال الشيخ: والله يارسول الله مايزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ماسمعته أذناي. فقال ﷺ: «قل وأنا أسمع». فقال: قلت:

غذوتك مولوداً ومُنتك يافعاً ... تُعَلُّ بما أجني عليك وتنهلُ
إذا ليلةٌ ضاقَتْكَ بالسُّقْم لم أبتْ ... لسُقْمِكَ إلا ساهراً أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونَك بالذي ... طُرِقْتَ به دوني فعيناي تهملُ
تخافُ الرَّدَى نفسي عليك وإنها ... لتعلمُ أنّ الموتَ وقتٌ مؤجَّلُ
فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التي ... إليها مدى ماكنتُ فيك أؤمِّلُ
جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفظاظةً ... كأنَّك أنتَ المُنْعِم المتفضِّلُ
فليتك إذْ لم ترْعَ حقَّ أُبُوَّتي ... فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يُفعلُ
تراهُ معدّاً للخلافِ كأنَّه ... بردٍّ على أهلِ الصوابِ موكَّلُ

قال: فحينئذٍ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه وقال: «أنت ومالك لأبيك» وهو في سورة الإسراء من «الكشّاف» بلفظ آخر.

* * *

بِرُّ الوالدين وإن كانا مشركين:

﴿وقَضَى ربُّك ألا تَعبُدوا إلا إيّاه وبالوالدينِ إحساناً إمَّا يَبْلُغَنَّ عندكَ الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهُمَا فلا تَقُلْ لهما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وقُل لهُمَا قولاً كريماً * واخْفِضْ لهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ من الرَّحمةِ وقُل ربِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ربَّيَاني صغيراً﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

﴿ووَصَّينا الإنسانَ بوالدَيْه حَمَلَتْهُ أمُّه وَهْناً على وَهْنٍ وفِصَالُه في عَامَيْنِ أنِ اشكُرْ لي ولوالديكَ إليَّ المَصِير * وإن جَاهَداكَ على أن تُشْرِكَ بي مالَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وصاحِبْهما في الدُّنيا مَعْروفاً واتَّبعْ سبيلَ من أنابَ إليَّ

ثُمَّ إليَّ مَرْجِعُكُم فأنبِّئُكم بما كنتم تَعْملونَ﴾ [لقمان ١٤-١٥].

* * *

طاعة الوالدين في حدود الشرع:

قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، ولم تجب في الحرام المحض. حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع، ورضى الوالدين حتْم، وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما.

قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: «ألك أبوان»؟ قال: نعم. قال: «ففيهما جاهد». **أخرجه البخاري**

* * *

﴿**ووصينا** الإنسان بوالديه حسناً﴾ [العنكبوت: ٨].

رُوي أن سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من السابقين لما أسلم قالت له أمُّه حَمْنة بنت أبي سفيان بن أمية: ياسعد، ماهذا الذي قد أحدثت؟ لتدعَنَّ دينك أو لاأنتقل من الضِّح إلى الظل ولا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعيَّرَ بي فيقال: قاتل أمه. فلبثَتْ ثلاثة أيام كذلك حتى جَهِدتْ - أي وقعت في الجهد والمشقة بسبب الجوع - فقال سعد: والله لو كان لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ماكفرتُ فكُلي، وإنْ شئت فلا تأكلي. فلما رأتْ ذلك أكلت. فأمره الله تعالى أن يحسن إليها ويقوم بأمرها ويسترضيَها فيما ليس بشِرك ومعصية، ويعرض عنها ويخالف قولها فيما أنكره الشارع.

* * *

العقوق يحرم الجنة:

في الحديث: «إنَّ الجنة يوجد ريحُها من مسيرة خمسمائة عام. ولايجد

ريحها عاقٌّ ولا قاطع رحم».

* * *

كلمة «أف» في الميزان:

وتستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى: لستَ من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أُفّ، فيرجح على الحسنات، لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار.

* * *

الطلاق بِرّاً بالوالد:

قيل كان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما متزوجاً بامرأة يحبها، فأمره أبو بكر بطلاقها فطلقها. ثم سمعه أبو بكر رضي الله عنه ينشد:

فلم أر مثلي قطُّ طلَّق مثلها ... ولا مثلها في غير جرم مُطَلَّقُ
لها خُلُق جَزْلٌ وحلمٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سويٌّ في الحياة ومِصْدَقُ

فأمره أبو بكر رضي الله عنه بمراجعتها فراجعها. فلما مات تزوجها بعده الزبير رضي الله عنه، فاستأذنَتْهُ في الخروج ليلاً إلى المسجد، فأذن لها ثم سبقها إلى موضع مظلم ووضع يده عليها، فرجعَتْ فسبقها إلى منزله وسألها عن سبب رجوعها فقالت: كنا نخرج والناس ناس وأمّا اليوم فلا.

* * *

الذكر والتسبيح

قال تعـالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم واشْكُرُوا لِي ولا تَكْفُرُون﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقـال تعـالى: ﴿واذْكُر ربَّكَ كَثِيراً وسَبِّح بالعَشِيِّ والإبْكار﴾ [آل عمران: ٤١].

وقال تعالى : ﴿ألا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

* * *

ذكر عبد الله القرطبي : أن داود عليه السلام قال : لأسبّحنّ الله تعالى هذه الليلة تسبيحاً ماسبّحه به أحد من خلقه، فنادته ضفدع من ساقية داره : أتفخر على الله بتسبيحك وإن لي سبعين سنة ماجفّ لساني من ذكر الله، وإنّ لي عشر ليالٍ ماطعمت ولا شربت اشتغالاً بكلمتين. فقال عليه السلام : وماهما؟ قالت : يامسبَّحاً بكل لسان، ويامذكوراً بكل مكان. فقال داود عليه السلام لنفسه : وماعساي أن أقول أبلغ من هذا؟

* * *

الذكر دلالة الإيمان:

ذكرُ الله علَمُ الإيمان، لأن المشرك إذا قال : لا إله إلا الله يحكم بإسلامه وبراءته من النفاق، لأن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلا، وحرز من الشيطان، وحصن من النار، كما جاء في الكلمات القدسية : لاإله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

وفي الحديث : «أحب الكلام إلى الله : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لايضرك بأيتهن بدأت».

* * *

فضل لا إله إلا الله:

عن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مات رجل من بني إسرائيل مَن قوم موسى، فإذا كان يوم القيامة يقول الله لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم؟ فيقولون: إنّا لانجد سوى أنَّ نقش خاتمه لا إله إلا الله، فيقول الله تعالى: أدخلوا عبدي الجنة فقد غفرت له».

* * *

الغفلة عن الذكر موت:

حكي أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني قُدِّس سرُّه خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة، فلما دفنوه وجلس الملقِّن يلقنه ضحك الشيخ نجمَ الدين وكان من عادته أن لايضحك، فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره، فلما كان بعد ذلك قال: ماضحكت إلا أنه لما جلس على القبر يلقن سمعتُ صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقِّن حياً؟! أشار إلى أن الملقِّن وإن كان من زمرة الأحياء صورةً لكنه في زمرة الأموات حقيقةً، لممات قلبه بالغفلة عن ذكر الله تعالى.

* * *

الذكر والاستغفار:

قيل إن الله تعالى جعل لأهل الأرض أمانين: الأول: رسول الله ﷺ والثاني: الاستغفار. كما قال تعالى في سورة الأنفال [٣٣]: ﴿وما كان اللهُ ليعذِّبهم وأنتَ فيهم، وما كان اللهُ معذِّبَهُم وهم يستغفِرون﴾.

ولكن لما انتقل رسول الله ﷺ من الدنيا لم يبق لهم إلا الاستغفار، ومن يمتْ صادقاً في إيمانه يحصل له الأمانان لأنّ رسول الله ﷺ معه.

* * *

التوبة والاستغفار:

روي أن الملائكة تعرج إلى السماء بسيئات العبد، فإذا عرضوها على اللوح المحفوظ يجدون مكانها حسنات، فيخرون على وجوههم ويقولون: ربنا إنك تعلم أننا ماكتبنا عليه إلا ماعمل. فيقول الله تعالى: صدقتم ولكن عبدي ندم على خطيئته، واستشفع إليّ بدمعته، فغفرت ذنبه، وجدت عليه بالكرم وأنا أكرم الأكرمين.

* * *

فضل الذكر والتسبيح:

حكي أن سليمان بن داود عليهما السلام مرّ في موكبه، والطير تظلّهُ والدواب من الوحوش والأنعام والجن والإنس وسائر الحيوانات عن يمينه ويساره، فمرّ بعابد من عُبّاد بني إسرائيل فقال: والله يا بن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً. فسمع ذلك سليمان فقال: لتسبيحةٌ في صحيفة مؤمن خير مما أُعطي ابن داود، فإن ماأُعطي ابن داود يذهب، والتسبيحة تبقى.

* * *

الكلمات المنجيات:

ذكر ابن عابدين في حاشيته قصة رؤيا أبي حنيفة رحمه الله تعالى قال: قال الإمام رضي الله عنه: رأيت ربّ العزة في المنام تسعاً وتسعين مرة، فقلت في نفسي: لئن رأيته تمام المئة لأسألنه تعالى: بم ينجو الخلق من عذابه يوم القيامة؟ قال: فرأيته سبحانه وتعالى فقلت: يارب عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، وتقدّست أسماؤك، بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك؟ فقال سبحانه وتعالى: من قال بعد الغداة والعشي: سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان رافع السماء بغير عمد، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد، سبحان

من خلق الخلق ثم أحصاهم عدد، سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحد، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نجا من عذابي.

* * *

الباقيات الصالحات:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: جلس رسول الله ﷺ ذات يوم وأخذ عوداً يابساً وأزال الورق عنه ثم قال: «إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ليحطُّ الخطايا كما يحطُّ ورقَ هذه الشجرة الريحُ، خذهنَّ ياأبا الدرداء قبل أن يُحال بينك وبينهنّ، فهنَّ الباقياتُ الصالحات. وهي من كنوز الجنة».

لأنّ فيها المدح بالصفات السلبية التي يدل عليها التنزيه، وبالصفات الثبوتية التي يدل عليها الحمد.

* * *

أفضل الطاعات كلمة التوحيد:

ثبت أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وأهل الطاعة تكافأ ساعة من ساعاتهم في الآخرة ألف سنة في الراحة، بخلاف أهل المعصية فإن ساعاتهم أيضاً تنبسط، ولكن في المحنة. وأفضل الطاعات وأحسن الحسنات التوحيد وتقوية اليقين بالعبادات ومتابعة سيد المرسلين. وفي الحديث: «لتدخُلُنَّ الجنة كلّكم، إلا من أبى». قيل: يارسول الله، ومن الذي أبى؟ قال: «من لم يقل: لا إله إلا الله. فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يُحال بينكم وبينها، فإنها كلمةُ التوحيد، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة».

* * *

التوحيد والذكر أفضل العبادات:

اعلم أن التوحيد أفضل العبادات، وذكر الله أقرب القربات. وقد وقَّت الله

سبحانه وتعالى العبادات كلها، كالصلاة والصيام والحج ونحوها بالمواقيت إلا الذكر، فإنه أمر به على كل حال، قياماً وقعوداً واضطجاعاً وحركة وسكوناً، وفي كل زمانٍ ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء. ولما سئل النبي ﷺ عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ».

* * *

التوحيد وحبُّ النبي هما الزاد:

يارب إن ذنوبي في الورى كثُرَتْ ... وليس لي عملٌ في الحشرِ يُنْجيني

وقد أتيتُك بالتوحيدِ يصحبُهُ ... حبُّ النبيِّ وهذا القدْرُ يكفيني

* * *

مكتوب على جبهة ملك الموت لا إله إلا الله:

مكتوب على جبهة مَلَكِ الموت: لا إله إلا الله، فإذا رآها المؤمن تذكَّرها.

* * *

شوق أبي يزيد للحساب:

قال أبو يزيد البسطامي قُدِّس سرُّه: إنّ الخلق يفرُّون من الحساب، وأنا أُقْبِلُ عليه. فإنّ الله تعالى لو قال لي أثناء الحساب: عبدي، لكفاني.

* * *

الميزان يوم القيامة وما يملؤه:

روي أنّ داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فأراه تعالى كلّ كفة كما بين المشرق والمغرب، فغُشي عليه ثم أفاق فقال: إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال جلّ وعلا: ياداود إذا رضيتُ عن عبدي ملأتها بتمرة.

وفي الحديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

وفي الحديث: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه».

* * *

ثقل كلمة التوحيد في الميزان:

قال المولى الفناري: توضع الموازين لوزن الأعمال، فيجعل فيها الكتب بما عملوا، وآخر مايوضع في الميزان قول الإنسان: الحمد لله. ولهذا قال عليه السلام: «الحمد لله تملأ الميزان». فإنَّه يُلقى في الميزان جميع أعمال العباد من الخير - إلا كلمة لا إله إلا الله - فيبقى على مَلْئه تحميدة فتجعل فيه فيمتلئ بها.

وكل ذكر وعمل يدخل الميزان إلا لا إله إلا الله وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده فيجعل هذا الخير في موازنته، ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك، ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أحد.

وروي أن الرجل يؤتى به إلى الميزان، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلاً من أعمال الشر، كلُّ سجلٍّ منها كما بين المشرق والمغرب، فتخرج له بطاقة فيها كلمة التوحيد «لا إله إلا الله». فتوضع السجلات في كفَّة والبطاقة في كفَّة، فتطيش السجلات وتثقل كفة البطاقة.

* * *

مَن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله غفرت ذنوبه:

قال بعضهم: رأيت في سوق البصرة جنازة يحملها أربعة وليس معهم مشيِّع فقلت: لا إله إلا الله، سوق البصرة وجنازة رجلٍ مسلم لايشيّعها أحد! إني لأشيِّعها فتبعتها وصليت عليها. ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا: مانعرفُه وإنّما اكترتنا تلك المرأة وأشاروا إلى امرأةٍ واقفة قريباً من القبر، ثم انصرفوا. فرفعتِ المرأة يدها إلى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفتْ، فتعلَّقت بها وقلت: لابد أن تخبريني بقصتك،

فقالت: إنّ هذا الميت ابني ولم يترك شيئاً من المعاصي إلا فعله، فمرض ثلاثة ايام فقال لي: ياأمي إذا متُّ لاتخبري الجيران بموتي، فإنّهم يفرحون بموتي ولا يحضرون جنازتي، ولكن اكتبي على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله وضعيه في إصبعي، وضعي رجلك على خدِّي إذا متُّ وقولي: هذا جزاء من عصى الله، فإذا دفنتني فارفعي يدك إلى الله وقولي: اللهم إنّي رضيت عنه فارض عنه. فلما مات فعلتُ جميع ماأوصاني به، فلما رفعتُ يديَّ إلى السماء ودعوتُ سمعتُ صوته بلسان فصيح: انصرفي ياأماه فقد قدمت على ربٍّ كريم رحيم فرضي عني، فلذلك ضحكت سروراً بحاله.

أورده الإمام القشيريّ في «شرح الأسماء».

وفي الحديث: «إنّ الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ حتى قرَّره بذنوبه ورأى في نفسه أنّه هلك قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

* * *

مَنْ قال لا إله إلا الله دخل الجنة:

روي عن شداد بن أوس وعبادة بن الصامت قال: بينما كنا عند رسول الله ﷺ إذ قال: «هل فيكم غريب»؟ - يعني أهل كتاب - قلنا: لا يارسول الله. فأمر بغلق الباب فقال: «ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلا الله». فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: «الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة، إنك لاتخلف الميعاد». ثم قال: «أبشروا فإنّ الله قد غفر لكم».

أقول: هذا التلقين تلقين خاص قد توارثه الخواص من لدنه عليه السلام إلى هذا اليوم.

* * *

الدعاء

روى عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ لأبي حصين: «كم تعبد اليوم من إله»؟ فقال: أعبد سبعاً ستاً في الأرض وواحداً في السماء. قال ﷺ: «وأيهم تعبده لرغبتك ورهبتك»؟ فقال: الذي في السماء. فقال عليه الصلاة والسلام: «فيكفيك إله السماء» ثم قال ﷺ: «ياحصين، لو أسلمت علّمتك كلمتين تنفعانك». فأسلم حصين ثم قال: يارسول الله علّمني هاتين الكلمتين. فقال ﷺ: «قل: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شرّ نفسي».

* * *

غفران الذنوب بالدعاء:

في كتاب «الترغيب والترهيب» أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: واذنوباه! واذنوباه! مرتين أو ثلاثاً فقال له عليه السلام: «قل: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي». فقالها، ثم قال: «عد». فعاد. ثم قال: «عد» فعاد، ثم قال: «قم فقد غفر الله لك».

* * *

الدعاء في الطواف:

في تفسير ابن كثير في سورة الحشر، قال سفيان الثوري: عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قِني شُحَّ نفسي. لايزيد على ذلك فقلت له فقال: إني إذا وقيت شُحَّ نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل. وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

* * *

دوام قرع باب الله:

قيل حجَّ رجل ومعه شاب، فلما قال لبيك، سمع الشاب هاتفاً يقول له: لا لبيك ولا سعديك، فقال للشيخ: ياعم ألم تسمع ماردُّ به عليك، قال له: بلى يابني، وأنا لي سبعون سنة أسمع ذلك. ولكن إذا ردّني عن بابه فأيَّ باب أقرع؟ وإذ سمع النداء: فُتح باب القبول فادخل.

* * *

استجابة دعاء الصالحين:

عن بعضهم: كنا في المدينة نتكلَّم في بعض الأوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على أوليائه، وكان رجلٌ ضرير بالقرب منا يسمع مانقول، فتقدَّم إلينا وقال: أنست بكلامكم، اعلموا أنه كان لي عيالٌ وأطفال، فخرجتُ إلى البقيع أحتطب، فرأيتُ شابّاً عليه قميصُ كتان ونعله في أصبعه، فتوهَّمت أنه تائه، فقصدت أن أسلبه ثوبه فقلت له: انزعْ ماعليك. فقال لي: مُرَّ في حفظه، فقلت له الثانية والثالثة فقال: ولابدّ؟ فقلت: ولابدّ. فأشار بأصبعه إلى عيني فسقطت، فقلت: بالله عليك مَنْ أنت؟ فقال: أنا إبراهيم الخوّاص.

وإنما دعا إبراهيم الخواص على اللص بالعمى، ودعا إبراهيم بن أدهم للذي ضربه بالجنّة، لأنّ الخوّاص شهد من اللص أنه لايتوب إلا بعد العقوبة فرأى العقوبةَ أصلح له، وابنُ أدهم لم يشهد توبةَ الضارب في عقوبته فتفضل عليه بالدعاء له فتوةً منه وكرماً، فحصلتِ البركةُ والخير بدعائه للضارب، فجاءه يستغفرُ معتذراً. فقال له إبراهيم: الرأس الذي يحتاج للاعتذار تركته ببلخ.

* * *

بركة آية ﴿أمَّن يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دعاه﴾:

في تفسير ابن كثير تحت قوله تعالى: ﴿أمَّن يُجِيبُ المُضْطرَّ إذا دَعَاهُ

ويَكشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، مانصُّه: ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجلٍ حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقِّي الصوفي قال هذا الرجل: كنت أكاري على بغلٍ لي من دمشق إلى بلد الزبداني، فركب معي ذات مرة رجل، فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة، فقال لي: خُذ في هذه فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لي فيها. فقال: بل هي أقرب. فسلكناها فانتهينا إلى مكانٍ وعر، ووادٍ عميق، وفيه قتلى كثيرة فقال لي: امسكْ رأس البغل حتى أنزل. فنزل وتشمَّر وجمع عليه ثيابه، وسلّ سكينا معه وقصدني، ففررت من بين يديه وتبعني، فناشدته الله وقلت: خذِ البغل بما عليه. فقال: هو لي وإنما أريد قتلك، فخوَّفته الله والعقوبة، فلم يقبل، فاستسلمت بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلِّي ركعتين، فقال: وعجِّل، فقمت أصلي فأرتج علي القرآن فلم يحضرْني منه حرفٌ واحد، فبقيتُ واقفاً متحيِّراً وهو يقول: هيه، افرُغْ. فأجرى الله على لساني قوله تعالى: ﴿أمَّن يُجيْبُ دعوة المُضْطرَّ إذا دَعَاهُ ويَكشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة، فرمى بها الرجل فما أخطأتْ فؤاده فخرَّ صريعاً، فتعلَّقت بالفارس وقلت: بالله مَن أنت؟ فقال: أنا رسول من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً".

* * *

تأخر استجابة الدعاء لايدعو لليأس والعافية ماأنت فيه:

قال سيدي ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة سبع وسبعمائة وقبره بالقرافة يزار:

لايكن تأخُّر أمدِ العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك. فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختار لنفسك. وفي الوقت الذي يريد، لا في

الوقت الذي تريد.

قال شارحه النفزي: دخل رجل على سيدي أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه وهو يتألم لما به، فقال الرجل: عافاك الله ياسيدي. فسكت ولم يجبه. ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال: الله يعافيك ياسيدي. فقال الشيخ أبو العباس: وأنا ماسألتُ الله العافية فقد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية. هذا رسول الله ﷺ قد سأل الله العافية وقد قال: «ما زالت أكلة خيبر تعادُّني فهذا أوان قطعت أبهري». وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموماً. وسيدنا عمر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعوناً. وسيدنا عثمان رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحاً. وسيدنا علي رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مقتولاً. فإذا سألت الله العافية فاسأله من حيث يعلم أنها لك عافية.

قال النفزي: رُوي أنَّ الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه: أنزلت بعبدي بلاء فدعاني فماطلته بالإجابة فشكاني. فقلت: عبدي! كيف أرحمك من شيء به أرحمك؟

* * *

سرعة الإجابة ليس دليلاً على القبول:

حكي أنه وقع ببغداد قحط عظيم، فأمر الخليفة المسلمين بالاستسقاء فلم يُسقَوا. فخرج اليهود فسقاهم، فتحيَّر الخليفة ودعا علماء المسلمين وسألهم عن هذا الأمر، فقال سهل بن عبد الله: ياأمير المؤمنين هؤلاء أبغضهم الله ولعنهم؛ فلهذا عجَّل إجابتهم وصرفهم عن بابه، لكن الله تعالى يحبُّ أن يسمع تضرُّع خاصته وأحبابه.

* * *

الفضل يُطْلَب من الله:

قيل كان فقيران يقعدان في طريق أم جعفر البرمكي فيقول أحدهما: من فضل الله، ويقـول الآخر: من فضل أم جعفر، فكانت تبعث لمن يطلب من فضل الله بدرهمين، ولمن يطلب من فضلها دجاجة مشوية وداخلها عشرة دنانير. فكان كل يومٍ يبيعها لرفيقه بدرهمين، فقالت يوماً لخدمها: سلوا من يطلب من فضلنا، أما أغناه ماأرسلنا له؟ فقال لهم: وما هو إلا دجاجة مشوية أبيعها كلَّ يوم لرفيقي بدرهمين. فقالت: صدق، لقد أغنى الله من يطلب من فضله، وحرم من يطلب الفضل من غيره.

* * *

فضل شرب القهوة:

حدثني السيد النحلاوي ابن السيد خليل النحلاوي رحمهما الله تعالى عن سيدي وشيخي الشيخ سليم سمارة قَدَّس الله سِرَّه، عن رجل صالح من أهل المغرب، أنه كان يجتمع بالنبيّ ﷺ يقظة وقال: إني أشربُ القهوةَ يارسول الله. فأمره النبيُّ ﷺ أن يقول هذا الدعاء حين يشربها: اللهمَّ اجعلْها نوراً لبصري وعافيةً لبدني، وشفاءً لقلبي، ودواءً لكل داء، يا قوي يا متين، ثم يتلو البسملة. وقال له ﷺ: تستغفر لك الملائكةُ مادام طعمُ القهوة في فمك.

توفي شيخنا الشيخ سليم سمارة رحمه الله سنة ١٣٣٠ هجرية، ودُفن في تربة باب الصغير. والقهوة ممَّا قدَّمه الجنُّ لسليمان عليه السلام وقالوا له: فن جان.

* * *

الصلاة

قال تعالى: ﴿إنّ الصَّلاةَ كانَتْ على المؤمنينَ كِتاباً مَوْقوتاً﴾ [النساء: ١٠٣].

حكمة جعل الصلاة خمس مرات:

قال بعضهم: الحكمة في جعل الصلاة في اليوم والليلة خمساً أن الحواس لما كانت خمساً، والمعاصي تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي، أي بسبب تلك الحواس. وقد أشار إلى ذلك النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقي من درنه شيئاً»؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».

وقال بعضهم: جعلها الله تعالى خمس صلوات إظهاراً لسرّ التضعيف قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠]. فالخمسُ عَشْرُ مرّات خمسون وهي العدد الذي فُرض ليلة المعراج قبل التخفيف.

* * *

خمس عقبات تزول بإقامة الصلوات الخمس:

في الحديث: «إن بين يدي الخلق خمس عقبات لا يقطعها إلا كل ضامر ومهزول» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ماهي يارسول الله؟ قال عليه السلام: «أولها الموت وغصته، وثانيها القبر ووحشته وضيقه، وثالثها سؤال منكر ونكير وهيبتهما، ورابعها الميزان وخِفَّته، وخامسها الصراط ودقَّته». فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا المقال بكى بكاءً كثيراً حتى بكت السموات السبع والملائكة كلُّها، فنزل جبريل وقال: يامحمد قل لأبي بكر حتى لايبكي أما سمع من العرب كل داء له

دواء إلا الموت؟ ثم قال: «مَنْ صلى صلاة الفجر هان عليه الموت وغصّته؛ ومن صلى صلاة العشاء هان عليه الصراط ودقته؛ ومن صلى صلاة الظهر هان عليه القبر وضيقه؛ ومن صلى صلاة العصر هان عليه سؤال منكر ونكير وهيبتهما؛ ومن صلى صلاة المغرب هان عليه الميزان وخفته».

* * *

بركة الصلاة:

عن بعض الروم أنه قال: كان سببُ إسلامي أنه غزانا المسلمون، فكنتُ أُساير جيشهم فوجدت غِرّةً في الساقة[1]، فأسرت نحو عشرة نفر، وحملتهم على البغال بعد أن قيّدتُهم، وجعلت مع كل واحد منهم رجلاً موكَّلاً به، فرأيت في بعض الأيام رجلاً من الأسرى يصلّي، فقلت: للموكَّل به في ذلك فقال لي: إنه في كل وقت صلاة يدفع إليّ ديناراً. فقلت: وهل معه شيء؟ قال: لا، ولكنه إذا فرغ من صلاته ضرب بيده إلى الأرض ودفع لي ذلك، فلما كان الغد لبست ثوباً خلَقاً وركبت فرساً دوناً، وسرت مع الموكَّل لأتعرَّف صحة ذلك، فلما دنا وقتُ صلاة الظهر أومأ إليَّ أن يدفع لي ديناراً، حتى أتركه يصلي، فأشرت إليه أني لا آخذ إلا دينارين فأومأ برأسه نعم، فلما فرغ من صلاته رأيته قد ضرب بيده إلى الأرض فدفع إليّ دينارين، فلما كان وقت العصر أشار كالمرة الأولى فأشرت إليه أني لا آخذ إلا خمسة دنانير فأشار إليَّ بالإجابة، فلما فرغ من صلاته فعل كفعله الأوَّل فدفع إليّ خمسة دنانير، فلما كان وقت المغرب أشار كذلك فقلت: لاآخذ إلا عشرة، فأجابني، فلما صلى فعل كما تقدَّم فدفع إليَّ عشرة، فلما نزلنا وأصبحنا دعوت به وسألته عن خبره، وخيَّرتُه في رجوعه إلى بلاد الإسلام فاختار الرجوع، فأركبته

(١) الساقة: مؤخَّر الجيش.

بغلاً ودفعتُ له زاداً وحملته بنفسي على البغل، فقال: أماتك الله تعالى على أحبِّ الأديان إليه. فوقع في قلبي من ذلك الوقت الإسلام.

* * *

التهاون بالصلاة يذهب بالتوحيد:

يقال: من تهاون في الصلاة منع الله منه عند الموت قول لا إله إلا الله.

* * *

صفة صلاة حاتم الزاهد:

قال تعالى: ﴿الذينَ يؤمِنُونَ بالغَيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ [البقرة: ٣].

ذُكر أنَّ حاتماً الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم: ياحاتم هل تحسن أن تصلي؟ فقال: نعم. قال: كيف تصلي؟ قال: إذا تقاربَ وقتُ الصلاة أُسبغ الوضوء، ثم أستوي في الموضع الذي أصلِّي فيه حتى يستقرَّ كلُّ عضوٍ منِّي، وأرى الكعبة بين حاجبيّ، والمقام بحيال صدري، والله فوقي يعلم مافي قلبي، وكأن قدميَّ على الصراط، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت خلفي وأظن أنها آخر الصلاة، ثم أكبِّرُ تكبيراً بإحسان، وأقرأ قراءة بتفكُّر، وأركع ركوعاً بالتواضع، وأسجدُ سجوداً بالتضرُّع، ثم أجلس على التمام، وأتشهّدُ على الرجاء، وأسلِّم على السنَّة ثم أسلمها للإخلاص، وأقوم بين الخوف والرجاء، ثم أتعاهد على الصبر. قال عاصم: ياحاتم أهكذا صلاتك؟ قال: كذا صلاتي منذ ثلاثين سنة. فبكى عاصم وقال: ماصلَّيتُ من صلاتي مثلَ هذا قط.

* * *

سؤال عن صلاة الوتر:

سألني شافعيٌّ عن صلاة الوتر في مذهبهم، هل هي بتسليمة أم بتسليمتين؟

فأجبتُه بالجواز لكليهما، لكن الأفضل عندهم الفَصل. فقال: إذا وصل يتعين تشَهُّد واحد بدليل قول الباجوري: والفَصْل أفضلُ من الوصل، وله في الوصل أن يتشهَّد في الأخيرة فقط، أو يتشهَّدَ في الأخيرتين، واقتصاره في الوصل على واحد أفضل للنهي عن تشبيه الوتر بالمغرب، وليس في الوصل غير ذلك، وله في الفصل التشهُّد في كل ركعتين أو أكثر.

قلت: إذا وصل يخيَّر بين تشهُّدٍ واحد، أو تشهُّدَين في الأخيرتين، ولا يتعيَّن تشهد واحد لكنَّه أفضل.

أما ماتمسكتَ به من قول الباجوري: وليس له في الوصل غير ذلك، أي غير تشهد أو تشهدين، أي إذا وصل الإحدى عشرة ركعة بنيَّةٍ واحدة وتراً، فيجب عليه متابعتُها بدون تشهُّد بين كلِّ ركعتين، حتى يصل إلى الأخيرتين فيُخَيَّرُ بين تشهدٍ واحد أو تشهدين، ليس له غير ذلك. بخلاف ماإذا فَصَل بين الركعات فيجب تشهُّدٌ مستقلٌّ، لكلِّ شفع، أو لكلِّ أربع، أو لكل ست حسبما ينويه.

يدلُّ على ذلك مافي الخطيب الشربيني على أبي شجاع ونصُّه: ولمن زاد على ركعة الفصل بين الركعات بالسلام، وهو أفضل من الوصل بتشهد في الأخيرة، أو بتشهدين في الأخيرتين. وليس له في الوصل غير ذلك. أي ليس له سوى تشهُّد واحد أو تشهدين في الأخيرتين إذا وصل أكثر من ركعة. أما إذا فصل فالأمر ظاهر بأن يُنهي كلَّ صلاةٍ بتشهُّدٍ وسلامٍ مستقلٍّ، وحاصله أنَّ اسم الإشارة عائد للتخيير في عبارة الباجوري، وليس عائداً على اقتصاره في تشهد واحد بدليل عبارة الخطيب التي ليس فيها إيهام والله أعلم.

* * *

سبب الصلاة على إبراهيم:

في «روح البيان» :

سبب الصلاة على إبراهيم عليه السلام في الصلاة ماقاله الإمام النيسابوري : لأنه سأل الله تعالى أن يبعث نبياً من ذُرِّيَّة إسماعيل فقال : ﴿رَبَّنَا وابْعَثْ فيهم رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] ولذا قال محمد ﷺ : «أنا دعوة أبي إبراهيم» . فكافأه وشكره وأثنى عليه مع نفسه بالصلاة التي صلى الله وملائكته عليه .

وفي الخبر : أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام جنّةً عريضةً مكتوباً على أشجارها : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فسأل جبريل عليه السلام عنها ، فأخبره بقصتها فقال : يارب! أجْرِ على لسان أمة محمد ذِكْري . فاستجاب الله دعاءه ، وضُمَّ في الصلاة مع محمد عليهما الصلاة والسلام .

وأيضاً أمرنا بالصلاة على إبراهيم عليه السلام لأن قبلتنا قبلته ، ومناسكنا مناسكه ، والكعبة بناؤه ، وملّته متبوعة الأمم . فأوجب الله على أمة محمد عليه السلام ثناءه .

* * *

الكسب الحرام

أكل الحرام يحبط الأعمال:

قال تعالى: ﴿ياأيُّها النَّاسُ كُلوا مِمّا في الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿وكُلوا مّما رزَقَكُم اللهُ حَلالاً طَيِّباً﴾ [المائدة ٨٨].

في الحديث: «يؤتى يوم القيامة بأناسٍ معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثوراً، ثم يقذف بهم في النار». قيل: يارسول الله، كيف ذلك؟ قال: «كانوا يصلُّون ويصومون ويزكون ويحجون، غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، فأحبط الله أعمالهم».

* * *

الحرام يحاسب المرء عليه:

مرّ عيسى عليه السلام بمقبرة فنادى رجلاً منهم، فأحياه الله تعالى. فقال: من أنت؟ فقال: كنت حمالاً أنقل للناس فنقلت يوماً حطباً، فكسرت منه خلالاً تخلّلت به، فأنا مطالب به،فندمتُ.

* * *

الترهيب من أكل الحرام:

حكي عن بعض من حج أنه توفي في الطريق في رجوعه، فدفنه أصحابه، ونسوا الفأس في قبره. فنبشوه ليأخذوا الفأس فإذا عنقه ويداه قدجمعتا في حلقة الفأس، فردُّوا عليه التراب ثم رجعوا إلى أهله، فسألوهم عن حاله فقالوا: صحب رجلاً فأخذ ماله فكان يحج منه.

وفي الحديث: «من حج بيت الله من كسب الحلال، لم يخطُ خطوة إلا كتب

الله له بها سبعين حسنة، وحطَّ عنه سبعين خطيئة، ورفع له سبعين درجة».

ومن أراد أن يحجّ بمال ليس فيه شبهة، فإنه يستدين للحج ويقضي من ماله.

* * *

تخسير الميزان:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

عن مالك بن دينار أنه دخل على جار له احتضر فقال: يامالك، جبلان من النار بين يدي أكلَّف الصعودَ عليهما. قال مالك: فسألت أهله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر. فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال: مايزداد الأمر إلا شدة.

* * *

تمرة ترفع درجة وتحط درجة:

قال إبراهيم بن أدهم: بتّ ليلة تحت صخرة بيت المقدس، فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: من ههنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم. فقال: ذلك الذي حط الله درجة من درجاته. فقال: لِمَ؟ قال: لأنه اشترى بالبصرة التمر فوقعت تمرة على تمره من تمر البقال، قال إبراهيم: فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل، وأوقعت تمرة على تمره ورجعت إلى بيت المقدس وبتُّ في الصخرة، فلما كان بعض الليل إذ أنا بملكين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: من ههنا؟ فقال أحدهما: ذلك الذي رد التمرة إلى مكانها فرفعت درجته.

* * *

الشهوات والمعاصي والتوقي منها

الشهوات والهوى:

قال تعالى: ﴿ولاتَتَّبعِ الهوى فيُضلَّك عن سبيلِ اللهِ﴾ [ص: ٢٦].

واعلم أن الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة بقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهواتِ من النِّساءِ والبَنينَ والقَناطيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذَّهبِ والفِضَّةِ والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأنْعامِ والحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤].

قال تعالى: ﴿وأمَّا مَنْ خافَ مَقامَ ربِّه ونَهى النَّفْسَ عن الهَوَى * فإنَّ الجنَّةَ هي المَأوى﴾ [النازعات: ٤٠ـ٤١].

قيل لبعضهم: وقد طار في الهواء: كيف ذلك؟ قال لهم: تركت الهوى فركبت الهوا، ولو لزمني الهوى لركبني الهوا.

وفي الحديث: «بعثت لرفع العادات ودفع الشهوات».

وفي الحديث: «ماعبد إله أبغض على الله من الهوى».

* * *

مخالفة النفس في حرمانها الشهوات تقرباً إلى الله:

روي أن يعقوب عليه السلام كان نذر إن وهب الله له اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح آخرهم. فتلقاه ملك من الملائكة فقال: يايعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع؟ فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه، فغمزه المَلَك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك، ثم قال: أما إني لو شئت أن أصرعك لفعلت، ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك كنت نذرت إن أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك، وجعل الله تعالى لك بهذه الغمزة مخرجاً من ذلك الذبح. ثم إن يعقوب عليه السلام لما قدم بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي قول المَلَك، فأتاه الملك

فقال: أنا غمزتك للمخرج، وقد وفّي نذرك فلا سبيل لك إلى ولدك.

ثم إنه حين ابتلي بهذا المرض لقي من ذلك بلاء وشدة، وكان لاينام الليل من الوجع. فحلف لئن شفاه الله لايأكل أحب الطعام إليه، فحرم لحوم الإبل وألبانها.

* * *

ومن حرمان الحلال تورعاً ماروي عن عمر بن العزيز رضي الله عنه أنه كانت لزوجته جارية بارعة في الجمال، وكان عمر راغباً فيها، وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطه إياها. ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه فقالت: وهَبْتُكَهَا ياأمير المؤمنين فلتخدمك. قال: من أين ملكتِها؟ قالت: جئت بها من بيت أبي عبد الملك. ففتش عن تملكه إياها فقيل: إنه كان على فلان العامل ديون، فلما توفي أخذت من تركته. ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال، ثم توجه إلى الجارية وكان يهواها هوى شديداً. فقال: أنت حرة لوجه الله. فقيل: لِمَ ياأمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة؟ قال: لست إذاً ممن نهى النفس عن الهوى.

* * *

زليخا ويوسف عليه السلام:

روي أن زليخا امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام: يايوسف إنما صنعت هذا البيت المزين من أجلك. فقال يوسف عليه السلام: يازليخا! إنما دعوتني للحرام وحسبي مافعل بي أولاد يعقوب، ألبسوني قميص الذل والحزن، يازليخا! إني أخشى أن يكون هذا البيت الذي سميته بيت السرور بيت الأحزان والثبور، وبقعة من بقاع جهنم. فقالت زليخا: يايوسف! ماأحسن عينيك! قال: هما أول شيء يسيل إلى الأرض من جسدي. قالت: إنّ فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي. قال: إذاً يذهب نصيبي من الجنة. قالت: إن طَرْفي سكران من محبتك

فارفع طرفك إلى حسني وجمالي. قال: صاحبك أحق بحسنك وجمالك مني. قالت: ﴿هيتَ لك. قال: معاذ الله إنه ربي أحسنَ مثواي إنَّه لايفلحُ الظالمون﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد لبث في السجن اثنتي عشرة سنة عدد حروف ﴿اذْكُرْنِي عندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢].

* * *

ترك الحرام يحمي من نار الدنيا:

روي أن حداداً كان يمسك الحديد المحمى بيده، فسئل عنه فقال: عشقت امرأة فراودتها وعرضت عليها مالاً فقالت: إنّ لي زوجاً ولا أحتاج إلى المال. ثم مات زوجها فطلبت أن أتزوجها فامتنعت وقالت: لاأريد إذلال أولادي. وبعد زمن احتاجت فأرسلت إلي فقلت: لاأعطيك شيئاً حتى تعطيني مرادي. فلما دخلت معها موضعاً ارتعدَت فقلت: مالك؟ فقالت: أخاف الله السميع البصير. فتركتها فقالت: أنجاك الله من النار. فمن ذلك الوقت لاتحرقني نار الدنيا، وأرجو من الله أن لاتحرقني نار الآخرة.

* * *

ترك الشهوة لأجل الله:

قال جعفر بن نصير: دفع إليّ الجنيد درهماً فقال: اشتر به التين الوزيري. فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه، ثم ألقاها وبكى وقال: احمله. فقلت له في ذلك، فقال: هتف في قلبي: أما تستحي شهوة تركتها من أجله ثم تعود إليها.

* * *

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: من أحسن في ليله كوفئ في نهاره،

ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، ومن صدق في ترك شهوة كفي مؤونتها. والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة لأجله.

* * *

تتبع عورات النساء يذهب الإيمان:

عن عبد الله بن المؤذن قال: كنت أطوف حول البيت وإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم أخرجني من الدنيا مسلماً، لايزيد على ذلك شيئاً. فقلت له: لم لاتزيد على هذا الدعاء؟ فقال: لو علمت قصتي لعذرتني. فقلت: وماقصتك؟ قال: كان لي أخوان وكان الأكبر منهما مؤذناً أذن أربعين عاماً احتساباً، فلما حضره الموت دعا بالمصحف فظننا أنه يريد التبرك به. فأخذه بيده وأشهد على نفسه من حضر أنه بريءٌ مما فيه، ثم تحول إلى دين النصرانية، فمات نصرانياً.فلما دفن أذّن الآخر ثلاثين سنة فلما حضره الموت فعل كما فعل الأول فمات على النصرانية. وإني أخاف على نفسي أن أصير مثلهما. فادعو الله تعالى أن يحفظ عليَّ ديني. فقلت: ماكان يدينهما؟ فقال: كانا يتتبعان عورات النساء وينظران إلى المُرْدان.

* * *

برصيصا العابد وإطاعته الشيطان:

إن برصيصا عَبَدَ الله مئتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين، وكان ستون ألفاً من تلامذته يطيرون في الهواء ببركته. فعجبت الملائكة من عبادته فقال تعالى لهم: لاتعجبوا، فإنه من أهلِ النار، فسمع إبليس بذلك بالاستراق فطمعَ أن يكونَ هو الواسطة. فأتاه بصورة عابد وقام يصلّي ويصوم ولاينفتل من صلاته ولايُفطر أصلاً. فعجِب منه برصيصا وقال: كيف تقدر على ذلك وأنا لاأقدر؟ قال: إني أذنبتُ ذنباً كلّما ذكرتُه تنغّص عيشي، فأنسى الطعامَ والشرابَ والنوم. فقال:

وكيف لي بذلك؟ قال: أذنب دنباً وتُبْ عنه فيكون لك ذلك. قال: ماترى من الذنوب؟ قال: الزِّنا. قال: لاسبيل إلى ذلك. قال: قتل النفس. قال: كذلك لاسبيل له. قال: فاشرب الخمر. قال: نعم، هو أقلُّها شرّاً. فاشترى خمراً من بائعة جميلة وزنا بها ثم قتلها وهو سكران، فدخل عليها زوجُها فقتله أيضاً. ثم سُعي به إلى السلطان فجلده ثمانين للخمر، ومائة للزنا، ثم قتله لأجل القتيل. وجاءه إبليس قبل قتله فقال: أنا العابد الذي أطعتَهُ فصلبَك، وقصدي الآن أنْ أخلِّصَك، فهل تجيبُني إلى ماأقول؟ وما أظنُّه إلا أهونَ مما عملت. قال: ماهو؟ قال: تسجد لي. قال: إني موثَقٌ كما ترى. قال: فاسجدُ لي برأسك. فسجدَ له. فختُم له بخاتمة السوء والعياذ بالله تعالى.

* * *

رواية أخرى:

وقيل: وضعوا عنده بنتَ الملك، وكانت تأتيها نوبات الفزَع ليرقيها، فوسوس إليه إبليس فزنا بها، فخاف أن يفتضح فقتلها ودفنها. فسأل عنها أبوها وإخوتها فدلَّهم عليها إبليس بالمنام، ولم يزل يحرِّضهم حتى ذهب إخوتها ونبشوها فقتلوه بها. ثم جاءه إبليس قبل قتله وقال له ماذكر أولاً.

* * *

الترهيب من مقدمات الزنى:

في الحديث: «من فاكه امرأةً لاتحل له ولايملكها حُبس بكلِّ كلمةٍ ألف عام في النار. ومن التزم امرأةً حراماً قرن مع الشيطان في سلسلة ثم يؤمر به إلى النار».

* * *

الطمع:

لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، فلا يملأ جوف ابن آدم إلا

التراب، ويتوب الله على من تاب.

فالعاقل لايتعب نفسه في جمع حطام الدنيا، فإن الرزق مقسوم:

تقول مع العصيان ربِّي غافر ... صدقتَ ولكنْ غافر بالمشيئةِ

وربُّك رزَّاق كما هو غافر ... فلِم لا تصدِّقْ فيهما بالسويَّةِ

فإنك ترجو العفوَ من غير توبةٍ ... ولست ترجِّي الرزقَ إلا بحيلةِ

* * *

بركة التقوى:

قيل: كان رجلٌ بالبصرة يُعرف بالمسكي لأنه كان يفوحُ منه رائحةُ المسك، فسئل عنه فقال: كنت من أحسن الناس وجهاً، وكان لي حياء، فقيل لأبي: لو أجلستَهُ في السوق لانبسَطَ مع الناس. فأجلسني في حانوتِ بزّاز، فجاءت عجوز وطلبَتْ متاعاً، فأخرجتُ لها ماطلبَتْ فقالت: لولا خرجتَ معي لثمنه، فمضَيتُ معها حتى ادخلَتني في قصرٍ عظيم فيه قُبَّةٌ عظيمة، فإذا فيها جاريةٌ على سرير عليه فُرُشٌ مُذْهَبَة فجذبَتْني إلى صدرها فقلت: الله، الله. فقالت: لابأس. فقلت: إني حاقن فدخلتُ الخلاء وتغوَّطت ومسحتُ به وجهي وبدني فقيل: إنه مجنون فخلصت. ورأيتُ ليلةً رجلاً قال لي: أين أنت من يوسف بن يعقوب؟ ثم قال: أتعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا جبريل. ثم مسحَ بيدِهِ على وجهي وبدني فمن ذلك الوقت يفوحُ المِسْكُ عليَّ من رائحة جبريل عليه السلام، وذلك ببركة التقوى.

* * *

الموت أحبُّ من المعصية:

قيل: إن عابداً من عبّاد بني إسرائيل راودتْه ملِكةٌ عن نفسه. فاستأذن للطهارة، فذهب للسطح وألقى بنفسه إلى الأرض. فأرسل الله له ملكاً وضعه على الأرض وضعاً رقيقاً. فقيل لإبليس: هلا أغويته. قال: ليس لي سلطانٌ على من

خالف هواه وبذَلَ نفسه لله .

وقد ورد في الخبر : من تطيَّب لله جاء يومَ القيامة وريحُه أطيبُ من المسك الأذفر . ومن تطيَّب لغير الله جاء يوم القيامة وريحُه أنتنُ من الجيفة .

* * *

الحسد وعواقبه:

قيل كان بائع يبيع الحليب وكان ينادي : اشرب الحليب وصلِّ على الحبيب ، مَنْ حَفَرَ حفرة لأخيه وقع فيها من قريب . فصادف أن مرَّ على باب الملك ، فناداه الملك وأعجبه حديثه ، وصار يتبرك به حتى حسده الوزير . فقال له : ياهذا ، ألا تخجل من مجالسة الملك ومباسطته! فإذا خلوت معه ومازحك فقم حالاً حتى لاينقم عليك . ففعل مايأمره به الوزير عن طيب نفس وسلامة صدر ، حتى أنكر الملك منه ذلك وأراد قتله فأعطاه باقة من الزهور التي لاتوجد إلا عند الملك فقط ، ثم قال لأعوانه : كلُّ من وجدتم معه هذا الزهر فأتوني برأسه .

فاتفق أن رآه الوزير ورأى معه هذه الباقة وعرف أنها من أنفَس مايوجَدُ عند الملك ، فاشتراها منه ، وذهب بها ، فرآهُ الشُّرَطُ فقتلوه ، إلى أن مضى أيام ، وكلُّ يوم يأتي بائعُ الحليب على عادته ، وانقطع الوزير عن المجيء ، فسأل عنه ، فأخبره الشرط أنهم قتلوه ، فسألهم العلامة فأعطوه إياها ؛ فسأل الشيخ فأخبره ، فعجب الملك وزاد في إكرامه .

* * *

النصر الحقيقي هو انتصار النفس على شهواتها:

في «روح البيان» بسورة آل عمران تحت قوله تعالى : ﴿إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

قال القشيري : حقيقة النصر أن ينصرك على نفسك فإنها أعدى عدوك ، وهي

أن يهدم عنك دواعي فتنتها بعواصم رحمته، حتى ينفض جنود الشهوات بهجوم وفود المنازلات، فتبقى الولاية لله تعالى خالصة من رعونات الدواعي التي هي أوصاف البشرية وشهوات النفوس. ﴿وإن يخذلكم﴾ فالخذلان التخلية بينه وبين المعاصي. فمن نصره قبض يده عند الهم بتعاطي المكروه. ومن خذله ألقى حبله على غاربه ووكله إلى سوء اختياره، فيهيم على وجهه في فيافي البعد، **ومن سيّبه** الحق فلا آخذ بيده ولا جابر لكسره. ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [آل عمران: ١٦٠] في وجدان الأمان من هذه الأخطار عند صدق الابتهال وإسبال ثوب العفو على الإجرام عند خلوص الالتجاء بالتبري من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

موت النفس إحياؤها في الدنيا والآخرة:

فمن ترك الدنيا فقد أمات نفسه ليحييها في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيتاً فَأَحْيَيْنَاه وجَعَلْنَا له نُوراً يَمْشي به في النَّاس﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «موتوا قبل أن تموتوا». أي في الله لله بالله.

* * *

ذكر الصالحين من السلف يحد من رغبات النفس:

إن احتالت عليك نفسك فحدّثها بأخبار السلف وحكاياتهم كي ترغب في الطاعة والاجتهاد، فإنّ في ذلك نفعاً كليّاً وتأثيراً عظيماً.

* * *

التطيُّر:

حكى الجاحظ قال: تحاورت أنا وإبراهيم بن سيّار المعروف بالنظّام حديث

الطيرة فقال: أخبرك أني جعت حتى أكلت الطين، وماصبرت على ذلك، حتى قلَّبْت قلبي أتذكَّر هل ثمَّة رجل أصيب عنده غداء أو عشاء، فقصدت الأهواز وهي من بلدان فارس، وما أعرف بها واحداً، وما كان ذلك إلا شيئاً أمر به الضجر. فوافيت الفُرضة فلم أجد بها سفينة فتطيَّرت من ذلك، ثم إني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم، فتطيرت أيضاً فقلت للملاح: ماسمك؟ فقال: ديوزاد بالفارسي وهو اسم الشيطان فتطيرت، وركبت معه فلما قربنا من الفرضة صحت: ياحمّال ومعي لحاف سمل، وبعض مالابد لي منه، فكان أول حمّال أجابني أعور فازددتُ طِيرة وقلت في نفسي: الرجوع أسلم. ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين وقلت: من لي بالموت؟ فلما صرت إلى الخان وأنا حائر ماأصنع، سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه فقلت: من هذا؟ قال: رجل يريدك. فقلت في نفسي: هذا عدو أو رسول سلطان. ثم إني تحاملت وفتحت الباب. فقال: أرسلني إليك إبراهيم بن عبد العزيز ويقول لك: وإن كنّا اختلفنا في المقالة، فإنا نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية، وقد رأيتك حيث مررت على حال كرهتها، وينبغي أن يكون برَّحَتْ بك حاجة، فإن شئت فأقم مكانك مدة شهر أو شهرين، فعسى نبعث لك ببعض مايكفيك زمناً من دهرك، وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون ديناراً فخذها وانصرف، وأنت أحقّ من عذر. قال: فورد عليّ أمور أذهلتني، أما واحدها فإني لم أكن ملكت قط ثلاثة دنانير، والثاني أنه لم يطل مقامي وغيبتي عن أهلي، والثالث ماتبين لي من الطيرة أنها باطلة.

كذا في شرح رسالة الوزير ابن زيدون. فظهر أنه قد يكون ماتكره النفس خيراً.

قلت: ويناسب هذه القصة مارأيته في «الأحاديث المشتهرة» للعجلوني محدث أهل الشام رحمه الله من قوله ﷺ: «كن لما لاترجو أرجى منك لما ترجو، فإنَّ

أخي موسى بن عمران ذهب ليقتبس ناراً فكلمه ربه عز وجل».

قال: رواه الديلمي عن ابن عمر وعزاه السيوطي في «الأرج» لعائشة رضي الله عنها ولفظه: أخرج الخطيب وابن عساكر عن عائشة قالت: كن لما لم ترج أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً فرجع بالنبوة.

وقال وهب بن ناجية المُرّي:

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى ... منك يوماً لما له أنت راجي
إنَّ موسى مضى ليقبس ناراً ... من ضياءٍ رآه والليلُ داجي
فأتى أهلَه وقد حكم الله ... وناداه وهو غيرُ مناجي
وكذا الأمرُ ربَّما ضاق بالمر ... ء فيتلوه سرعة الانفراجِ

* * *

النفاق والرياء

قال تعالى: ﴿والذين يُنفِقون أموالَهم رِئَاءَ النَّاس﴾ [النساء: ٣٨].

* * *

الرياء خادع يخدع المنافق به نفسه:

قال بعض الحكماء: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة، كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاً، فيقول الناس: ماأملأ كيس هذا الرجل! ولامنفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري به شيئاً لا يعطى له شيء، كذلك الذي عمل للرياء والسمعة.

* * *

الرياء من أسباب الهلاك:

قال حامد اللفاف: إذا أراد الله هلاك امرئ عاقبه بثلاثة أشياء:

أولها:يرزقه العلم ويمنعه عن عملَ العلماء، والثاني: يرزقه صحبة الصالحين ويمنعه عن معرفة حقوقهم، والثالث: يفتح عليه باب الطاعة ويمنعه الإخلاص.

* * *

الرياء يذهب الأجر:

حكي عن بعض الصالحين أنه قال: كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق أقرأ سورة طه. فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي، فإذا فيها سورة طه، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة إلا كلمة واحدة فإني رأيت مكانها محواً، ولم أر تحتها شيئاً. فقلت:والله لقد قرأت هذه الكلمة ولاأرى ثواباً ولا أراها أثبتت. فقال الشخص: صدقت قد قرأتها وكتبناها إلا أنّا قد سمعنا منادياً ينادي من قبل العرش: امحوها وأسقطوا ثوابها فمحوناها. قال: فبكيت في منامي فقلت: لم فعلتم ذلك؟ فقال: مرّ رجل فرفعت

بها صوتك لأجله فذهب ثوابها .

* * *

خداع الله للمنافقين على الصراط:

قال تعالى في حق المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وهو خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال ابن عباس: إنهم يُعطون نوراً يوم القيامة كما للمؤمنين، فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط وينطفئ نور المنافقين، فينادون المؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد: ١٣] فتناديهم الملائكة على الصراط: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ [الحديد: ١٣]. وقد علموا أنهم لايستطيعون الرجوع، قال: فيخاف المؤمنون حينئذٍ أن يطفأ نورهم فيقولون: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كلّ شيءٍ قدير﴾ [التحريم: ٨].

* * *

معاداة عدو الله واجبة:

روي أن ابن المبارك رُئي في المنام فقيل له: مافعل بك ربك؟ فقال: عاتبني وأوقفني ثلث سنة بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع، فقال: إنك لم تعاد عدوي.

* * *

إبليس وجنوده

أعداء إبليس وأحباؤه:

عن وهب بن منبه أنه قال: أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمداً ﷺ، ويجيبه عن كل مايسأله. فجاءه على صورة شيخ وبيده عكازة فقال له ﷺ: «من أنت»؟ قال: أنا إبليس. قال ﷺ: «لماذا جئت»؟ قال: أمرني ربي أن آتيك وأجيبك وأخبرك عن كل ماتسألني. فقال ﷺ: «فكم أعداؤك من أمتي»؟ قال: خمسة عشر: أولهم أنت، وإمامٌ عادل، وغنيٌ متواضع، وتاجر صدوق، وعالم متخشع، ومؤمن ناصح، ومؤمن رحيم القلب، وثابت على التوبة، ومتورِّع عن الحرام، ومؤمن مديم على الطهارة، ومؤمن كثير الصدقة، ومؤمن حسن الخلق مع الناس، ومؤمن ينفع الناس، وحامل القرآن المديم عليه، وقائم بالليل والناس نيام.

قال عليه الصلاة والسلام: «فكم رفقاؤك من أمتي؟» قال: عشرة: سلطان جائر، وغني متكبر، وتاجر خائن، وشارب الخمر، والقتَّات، وصاحب الرياء، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم، ومانع الزكاة، والذي يطيل الأمل.

* * *

مداخل إبليس وسبل عيشه وحياته:

في الحديث: «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يارب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً. قال: الحمام. قال: فاجعل لي مجلساً. قال: الأسواق ومجامع الطرق. قال: فاجعل لي طعاماً. قال: مالم يذكر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: المزامير. قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشعر. قال: اجعل لي كتاباً. قال: الوشم. قال: اجعل لي حديثاً. قال: الكذب. قال: اجعل لي رسلاً. قال: الكهنة. قال: اجعل لي مصائد. قال: النساء».

«بحر العلوم»

مداخل إبليس:

قيل : دعا إبليس جنده فقال: تعلمون مابيننا وبين بني آدم من العداوة، فما عندكم من الآراء مانشغلهم به عن ربهم ودينهم وعبادتهم؟ فكل منهم أدلى بما عنده فلم يعجبه. إلى أن أتى أصغر أحفاده وأخبثهم قال: ياملك الشياطين تعلم أن الأوقات: ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل، فأما الماضي فإنا ندخل في قلوبهم الأسف والحزن عليه، فيقولون: ليتنا فعلنا وليتنا عملنا، ولو فعلنا كذا لما كان كذا. فيعترضون على قضاء ربهم. وأما الحاضر فنقبِّحه بأعينهم حتى لايرضو بحالة يكونون عليها. وأما المستقبل الآتي فنزين لهم فيه الآمال ونُطْمعهم بالزيادة، فيركبون الأهوال ولايحصلون على طائل.

فقرَّبه إليه وأدناه ومن حُلَلِ الضلالة أعطاه.

* * *

التفريق بين الزوجين أعظم أعمال إبليس:

روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ماصنعت شيئاً. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فَيُدْنيه ويقول: نعم أنت».

قال الأعمش أراه قال: فيلتزمه. أي: نعم المُضِلُّ أو الشرِّيرُ أنت! فيكون نِعْمَ بكسر النون فعل مدح حُذف المخصوص به. أو نَعَمْ أنت ذلك الذي يستحقُّ الإكرام فيكون بفتح النون حرف إيجاب.

* * *

إبليس في نظر الأولياء:

قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: ماخلق الله تعالى خلقاً أهون عليَّ

من إبليس. لولا أن الله أمرني أن أتعوَّذ منه ماتعوَّذت منه أبداً.

وقيل لآخر: كيف مجاهدتك للشيطان؟ قال: وماالشيطان؟ نحن قوم صرفنا همنا إلى الله، فكفانا مَنْ دونه.

* * *

درجات الوسوسة:

يوسوس الشيطان لابن آدم أن يشرك، فإن أيس منه وسوس له البدع، فإن أيس منها وسوس له الكبائر، فإن أيس منها وسوس له الصغائر التي إذا اجتمعت صارت كبيرة، فإن أيس منها وسوس له المباحات التي لا ثواب فيها.

* * *

لولا دعوة سليمان لرأى الناسُ إبليس واجتنبوه:

ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ عدوَّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات. ثم أردت أخذه؛ والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً يلعبُ به ولدانُ أهل المدينة».

والدعوة قول سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً لايَنبَغِي لأحدٍ من بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]. وإنما لم يشدَّه ولم يأخذه لأن التسخير التامَّ مختصٌّ بسليمان عليه الصلاة والسلام.

* * *

أسماء ولد إبليس وعملهم:

خنزب شيطان الصلاة، وولهان شيطان الوضوء والوسوسة، وداسم شيطان الأهل والبيت، والأبيض أشد الجميع شراً وأقوى الشياطين وهو شيطان الأنبياء.

* * *

قال مجاهد: من ذرية إبليس:

لاقنيس وولهان: وهو صاحب الطهارة والصلاة.

والهفاف، ومُرّة، وبه يكنّى.

وزلنبور: وهو صاحب الأسواق، يُزَيِّن اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع.

وبتر: وهو صاحب المصائب، يزيِّن خمش الوجوه ولَطم الخدود وشقّ الجيوب.

والأعور: وهو صاحب الزنا، ينضخ في إحليل الرجل وعَجُز المرأة.

ومطوس: وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لايجدون لها أصلاً".

وداسم: وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلِّم ولم يذكر الله بصَّره في المتاع مالم يُرفع أو يحسن موضعه، وإذا أكل ولم يسم أكل معه.

قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلِّم، فرأيت مطهرة، فقلت: ارفعوا هذه وخاصمتُهم، ثم أذكر فأقول: داسم، داسم، أعوذ بالله منه.

روى أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولْهان، فاتقوا وسواس الماء». أخرجه الترمذي.

وروى مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال: قلت: يارسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قرائن يلبسها علي. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شيطان يقال له: خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً».

قال: فقلت في ذلك فأذهبه الله عني.

* * *

ما منع منه ولم يمنع عنه:

أكثر الأشياء يمنع بها ولايمنع عنها. فمنعت الجن عن استراق السمع ولم

تمنع عن الأنبياء، بل لكل نبي قرين. وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ثم هو يموت. والليل يمنع النهار وتحصل فيه الأنوار، والنهار يمنع الليل وتظهر فيه الظلمة، والحديد يفري كل شيء وهو لايفري نفسه.

* * *

نصيحة إبليس:

قيل: اجتمع بعضهم بإبليس فقال له: ياأبا مُرّة، إني أريد أن أكون مثلك. قال له: ويحك لم يسألني أحد هذه المسألة! فما حملك عليها؟ قال: هكذا أحببت فبأي عمل أعمل؟. قال له: أعط نفسك هواها ومشتهاها، وتهاون بالصلاة، ولاتبال إن حلفت كاذباً أو صادقاً. قال: لك عليّ أن أخالف نفسي، ولاأتهاون بالصلاة، ولاأحلف لاصادقاً ولا كاذباً. قال: ولك علي أن لا أدلّ أحداً بعدك على خير.

* * *

إبليس وموسى:

عن فضيل بن عياض قال: حدثني بعض أشياخي: إن إبليس جاء موسى وهويناجي ربه، فقال له المَلَك: ويلك ماترجو منه وهو على هذه الحالة يناجي ربه؟ قال: أرجو منه مارجوت من أبيه آدم وهو في الجنة.

* * *

نصيحة إبليس الشبع:

قيل: اجتمع إبليس بيحيى عليه السلام، فقال له يحيى عليه السلام: هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا، إلا مرة واحدة، فإنك قدّمت طعاماً تأكله، فلم أزل أشهّيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد، فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها.

فقال له يحيى عليه السلام: لاجرم، لاشبعتُ من طعام أبداً. فقال له الخبيث: لاجرم لانصحت آدمياً بعدك أبداً.

* * *

فرح جنود إبليس ونشاطهم في العصور المتأخرة:

قيل: إن إبليس بثَّ جنوده بين الصحابة فأعيوهم ولم يفتنوا أحداً، ثم بثهم بزمن التابعين فأصابوا منهم، ولكن إذا جاء المساء يستغفرون. فحزن لذلك جنودُ إبليس. فقال لهم إبليس: سيأتي بعد هؤلاء قوم تقَرُّ أعينكم بهم، تلعبون بهم لعباً، وتقودونهم بأزِمَّة أهوائهم كيف شئتم، لايستغفرون ولايتوبون.

* * *

وسوسة الشيطان في قلب المؤمن:

حكي أنه جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يامحمَّد نحن نعبد الله بحضور القلب بلا وسواس الشيطان، ونسمع من أصحابك أنهم يُصلُّون بالوسواس. فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «أجبه». فقال: يايهودي! بيتان: بيت مملوء بالذهب والفضة والدر والياقوت والأقمشة النفيسة، وبيت خراب خال ليس فيه شيء من المذكورات أيهما يقصد اللص؟ فقال اليهودي: إلى البيت المعمور. فقال أبو بكر رضي الله عنه: قلوبنا مملوءة بالتوحيد والإيمان والمعرفة، وقلوبكم خالية، فيأتي الوسواس ليزل المؤمن، ولكن الله يحفظ أولياءه.

قال تعالى: ﴿إنَّ عِبَادي لَيْسَ لكَ عليهم سُلْطانٌ﴾[الحجر: ٤٢].

* * *

حبائل إبليس ينصبها للمتعبدين:

حكي أن بعض العبّاد كان يسأل الله تعالى أن يريه إبليس، فقيل له: اسأل الله العافية، فأبى إلا ذلك، فأظهره الله تعالى له، فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له

إبليس: لولا أنك تعيش مائة سنة لأهلكتك ولعاقبتك، فاغتر بقوله، فقال في نفسه: إنّ عمري بعيد، فأفعل ماأريد ثم أتوب فوقع في الفسق وترك العبادة وهلك.

* * *

الاستعاذة من إبليس:

قال تعالى: ﴿وإمّا ينزغنّك من الشّيطانِ نزغٌ فاستعذْ بالله﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

* * *

ممَّ خلق نسل إبليس:

في الحديث: «لما أراد الله أن يخلق لإبليس نسلاً وزوجة ألقى عليه الغضب، فطارت منه شظية من نار، فخلق منها امرأته». كذا في «حياة الحيوان» [١/١٧٦].

قلت: وقد سئلت عن هذه المسألة سابقاً، فأجبت بنظير ذلك قياساً على خلق حواء من آدم عليهما السلام حتى رأيت ماذكر هنا.

روى مجاهد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل رجل فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك العرس ماشهدتُه. ثم ذكرت قول الله تعالى: ﴿أفتتّخذُونه وذرّيّتهُ أولياءَ من دُوني﴾ [الكهف: ٥٠]، فعلمت أنه لايكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم.

* * *

إبليس يذوق الموت:

في تفسير سورة الحجر من أبي السعود مانصه:

نقل عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال: قدمت المدينة أريد أمير

المؤمنين عمر رضي الله عنه، فإذا أنا بحلقة عظيمة وكعب الأحبار فيها يحدث الناس وهو يقول: لما حضر آدمَ عليه الصلاة والسلام الوفاةُ قال: يارب سيشمت بي عدوّي إبليس إذا رآني ميتاً وهو مُنْظَرٌ إلى يوم القيامة.فأُجيب: أن يا آدم إنك ستردُّ إلى الجنة، ويؤخَّر اللعين إلى النظرة ليذوق ألم الموت بعدد الأولّين والآخرين، ثم قال لملك الموت: صف كيف تذيقه الموت؟ فلما وصفه قال: يارب حسبي.

فضج الناس وقالوا: ياأبا إسحاق كيف ذلك؟ فأبى، فألحُّوا، فقال: يقول الله سبحانه وتعالى لملك الموت عقِيبَ النفخة الأولى: قد جعلتُ فيك قوّة أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع، وإني ألبستُك اليوم أثواب السُّخْط والغضَب كلِّها، فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي إبليس، فأذِقْه الموت واحمل عليه فيه مرارة الأولّين والآخرين من الثقلين أضعافاً مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألفا، قد امتلؤوا غيظاً وغضباً، وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغُلٌّ من أغلالها، وانزعْ روحه المنتن بسبعين ألف كُلّاب من كلاليبها، وناد مالكاً ليفتح أبواب النيران. فينزل ملك الموت بصورةٍ لو نظر إليها أهل السموات والأرضين لماتوا بغتةً من هولها؛ فينتهي إلى إبليس فيقول: قف لي ياخبيث لأذيقنَّك الموت، كم من عمر أدركت وقرون أضللت؟ وهذا هو الوقت المعلوم.

قال: فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه، فيهرب إلى المغرب فإذا هو به بين عينيه، فيغوص البحار فتنزُّ منه البحار فلا تقبله. فلا يزال يهرب في الأرض ولا محيص له ولا ملاذ؛ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم، ويتمرَّغ في التراب من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه الصلاة والسلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الأرض كالجمرة، احتوشَتْهُ الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع

والعذاب إلى حيث يشاء الله تعالى . ويقال لآدم وحواء : اطّلعا اليوم إلى عدوكما كيف يذوق الموت . فيطلعان فينظران إلى ماهو فيه من شدة العذاب فيقولان : ربنا أتممت علينا نعمتك .

* * *

منام الجنيد ورؤيته إبليس عرياناً:

قال الشيخ أبو الحسن محمد بن السراج : سمعت الجنيد قُدّس سرُّه يقول : رأيت إبليس في المنام كأنه عريان ، فقلت له : ألا تستحي من الناس؟ فقال : لو كان هؤلاء من الناس لم أتلاعب بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة . فقلت : ومن الناس؟ فقال: قومٌ في المسجد الشونيزي قد أنحلوا جسمي وأحرقوا قلبي ، كلّما هممتُ بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أُحرق بنور ذكرهم . قال : فانتبهت وجئت إلى المسجد الشونيزي بليلٍ فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاث أنفس جلوس ورؤوسهم مغطاة بمرقّعاتهم ، فلما أحسُّوا بي أخرج واحدٌ رأسه فقال : ياأبا القاسم أنت كلما قيل لك بشيء صرت تقبله وتسمعه .

* * *

الخوف من الله تعالى

قال تعالى: ﴿فلا تَخَافُوهم وخافُون إن كُنْتُم مُؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥].

روي في الحديث القدسي: «لو أنّ ابن آدم لم يخف غيري ماأخفته من غيري، ولو أنّ ابن آدم لم يرجُ غيري ماوكلته إلى غيري».

* * *

خوف القبر:

روي: إذا وضع العبد في قبره، مثّل له كل شيء كان يخافه من دون الله - سبحانه - يفزعه في قبره إلى يوم القيامة.

ويقال: إنّ الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق، وإنّ ذلك من قلّة الفقه عن الله تعالى.

* * *

تفريغ القلب إلا من خوف الله:

قال تعالى: ﴿لأنْتُم أشَدُّ رَهْبَةً في صُدُورِهِم من اللهِ ذَلِكَ بأنَّهم قَوْمٌ لايَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]. فمن فرغ قلبه من خوف المخلوقات ملأه الله خوفاً منه، وأخاف غيره منه. كمن كملت مشاهدته للحق؛ لم يشاهد غيره من الخلق.

* * *

لابد من الخوف من الله:

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: كم من وجه مليح صبيح، ولسان فصيح، غداً بين أطباق النار يصيح.

فلابد من الخوف من الله، والعارفون يخافون، فما ظنّك بغيرهم؟.

* * *

احتضار الشافعي وتبيان خوفه:

قال المزني :

دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقلت : كيف أصبحت ياأستاذي؟ قال : أصبحت عن الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولعملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، فما أدري أروحي صائرة إلى الجنة فأهنّيها، أم إلى النار فأعزّيها؟

* * *

خوف إبراهيم:

روي أن الله تعالى قال : ياإبراهيم ماهذا الوجل الشديد الذي أراه منك؟ فقال : يارب كيف لاأوجل وآدم أبي كان محله القرب منك، خلقته بيدك، ونفخت فيه من روحك، وأمرت الملائكة بالسجود له فبمعصية واحدة أخرجته من جوارك . فأوحى الله تعالى إليه : ياإبراهيم أما عرفت أنّ معصية الحبيب على الحبيب شديدة .

* * *

خوف يعقوب على يوسف وعتاب الله له:

في «أبي السعود» آخر سورة يوسف مانصُّه :

روي أنّ يوسف أخذ بيد يعقوب عليهما الصلاة والسلام . فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورِق والذهب، وخزائن الحلي، وخزائن الثياب، وخزائن السلاح، وغير ذلك . فلما أدخله خزائن القراطيس . قال : يابني ماأعقك؟ عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثماني مراحل! قال : أمرني جبريل . قال : أوما تسأله؟ قال : أنت أبسط إليه مني . فسأله، قال جبريل : إنّ الله تعالى أمرني بذلك لقولك : ﴿أخاف أن يأكله الذئب﴾ [يوسف: ١٣]. قال : فهلا خفتني .

* * *

خوف عمر رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن: ياأمير المؤمنين! آمنت حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وتوفّي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، ولم يختلف عليك اثنان، وقُتلت شهيداً. قال عمر رضي الله عنه: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع.

* * *

ذكر الله عند التلبُّس بالمعصية:

ذكر ابن كثير في تفسير سورة الأعراف تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١-٢٠٢].

* * *

روي أن شاباً كان يتعبد في المسجد فهويته امرأة فدعته إلى نفسها، فما زالت به حتى كاد يدخل معها المنزل، فذكر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فخرَّ مغشياً عليه، ثم أفاق، فأعادها، فمات، فجاء عمر فعزَّى فيه أباه، وكان قد دفن ليلاً، فذهب فصلى على قبره بمن معه، ثم ناداه عمر فقال: يافتى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، فأجابه الفتى من داخل القبر: ياعمر قد أعطانيهما ربي عز وجل في الجنة مرتين.

* * *

قال الفضيل: إذا قيل لك: أتخاف؟ فاسكت، فإنك إذا قلت: لا. فقد جئت بشيء عظيم. وإذا قلت: نعم! فالخائف لايكون على ماأنت عليه.

* * *

خوف هارون الرشيد:

قال محمد بن الحسن رحمه الله: بينما كنت نائماً ذات ليلة إذ أنا بالباب يدق ويقرع، فإذا هو رسول الخليفة. فخفت على روحي ومضيت إليه، قال: دعوتك في مسألة، إنّ أم محمد-يعني زبيدة-قلت لها: إني إمام العدل، وإمام العدل في الجنة. فقالت: إنك ظالم عاصٍ قد شهدتَ لنفسك بالجنة فكذبتَ على الله تعالى، وحرُمت عليك. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إذا وقعت في معصية فهل تخاف الله في تلك الحال أو بعدها؟ فقال: إي والله أخافه خوفاً شديداً. فقلت له: أنا أشهد أنّ لك جنتين لا جنة واحدة، قال تعالى: ﴿ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فلا طَفَنِي وانصرفت.

* * *

الخوف أن لا يقبل العمل:

حكي عن بعض أصحاب فتح الموصلي قدِّس سرُّه قال: دخلت يوماً على فتح فوجدته يبكي وقد خالطت دموعه صفرة، فقلت له: بالله عليك ياسيدي هل بكيت الدم؟ فقال: والله لولا أنك أقسمت علي بالله عزّ وجلّ ما أخبرتك: بكيت الدمع وبكيت الدم، فقلت: علام بكيت الدمع؟ قال: على تخلفي عن الله تعالى. قلت: فعلام بكيت الدم؟ قال: على الدموع أن لاتصحّ لي. أي لاتقبل مني.

قال: فلما توفّي رأيته في المنام، فقلت: مافعل الله بك؟ قال: غفر لي وقربني ربي، وقال: يافتح، بكيت كل هذا البكاء على ماذا؟ فقلت: يارب على تخلفي عن حقّك. قال: والدم لِمَ بكيته؟ قلت: يارب على الدموع أن لاتصح لي. قال: يافتح؛ فما أردت بهذا كله؟ فوعزتي وجلالي لقد صعد إليّ حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ومافيها خطيئة.

فهذه حال أكابر أولياء الله تعالى، يسيؤون الظن بأنفسهم ويجتهدون في الله.

* * *

خوف سليمان من الرعد والبرق:

ذكر ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» في وقائع سنة ٩٩ قال: كان عمر ابن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابتهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة حتى فزعوا لذلك وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك، فقال له سليمان: مايضحكك ياعمر؟ أما ترى مانحن فيه؟ فقال له: ياأمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ماترى فكيف بآثار سخطه وغضبه؟

* * *

خوف الجبل أن يكون وقود النار:

قال جعفر الطيار رضي الله عنه: كنت مع النبي عليه السلام في طريق، فاشتد عليّ العطش فعلمه النبي عليه السلام، وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له أن يسقيك إنْ كان فيه ماءٌ» قال: فذهبت إليه وقلت: السلام عليك أيها الجبل. فقال الجبل بنطق فصيح: لبيك يارسول رسول الله. فعرضت القصة فقال: بلغ سلامي إلى رسول الله وقل: منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]. بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار، بحيث لم يبق فيّ ماء.

* * *

العقوبة قد تعم الطائع والعاصي:

في «صحيح البخاري»: قالت زينب رضي الله عنها: أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم، إذا كثُر الخَبَث».

قال الدميري في «حياة الحيوان»: جلس موسى عليه الصلاة والسلام تحت ظلّ شجرة، فلدغتْه نملة فأحرق النمل، فأوحى الله إليه: فهلا نملةً واحدة. وكان قبل ذلك يقول: يارب، كنتَ تعذِّب قوماً بذنب رجلٍ واحد، فأراهُ الله تعالى ذلك

في النمل، ليعلم أنّ العقوبة قد تعم الطائع والعاصي.

قال العلماء: كان شَرْعُ ذلك النبيّ عليه السلام جوازُ إحراق النمل، وقال الرافعي: إحراق الحيوان من الكبائر، وإذا سُحق الكمون ووُضع على بيت النمل أو القَطِران أو الزّعْتَر أو الزيت ارتحل بإذن الله تعالى.

* * *

أهوال يوم القيامة والحساب

اقتراب الساعة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أنزل الله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إنّ هذا يزعم أنّ القيامة قد قربت، فأمسكوا بعض ماكنتم تعملون حتى ننظر ماهو كائن، فلما رأوا أنّه لاينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً، فأنزل ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُم . .﴾ [الأنبياء: ١] الآية، فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام، قالوا: يامحمد مانرى شيئاً مما تخوّفنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ [النحل: ١] فوثب النبي عليه السلام قائماً مخافة الساعة، وحذر الناس من قيامها، ورفع الناس رؤوسهم فنزل ﴿فلا تستعجلوه﴾ أي لاتطلبوا الأمر قبل حينه. فاطمأنوا وجلس النبي عليه السلام بعد قيامه.

ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين». يعني إصبعيه المسبِّحة والوسطى.

* * *

لايجمع الله على عبدٍ خوفين ولا أمْنَين:

في الحديث القدسي: «وعزتي لاأجمع على عبدي خوفين أو أمنين، إذا خافني في الدنيا، آمنته يوم القيامة. وإذا أمنني في الدنيا، أخفته يوم القيامة».

ولشدة الأمر قال الفضيل بن عياض: إني لا أغبط ملكاً مقرّباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً، أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأهوالها؟ وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لايرى أهوال القيامة وشدائدها.

* * *

صاحب الحسنات آمن يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يومَ يُنْفَخُ في الصُّورِ فَفَزِعَ من في السَّموات ومَن في الأرض إلاّ من شاء اللهُ وكلٌ أتَوْهُ داخِرين * وتَرَى الجبال تَحْسَبُها جامِدةً وهي تَمرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الذي أتْقَنَ كُلَّ شيءٍ إنَّه خَبيرٌ بما تَفْعَلونَ * من جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ منها وهُم من فَزَعٍ يَومَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٧، ٨٩].

* * *

أصغر الأعمال في الميزان:

يحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت بعضهم في المنام فقلت: مافعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات، فجاءت صرة من السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت، فحللت الصرة فإذا فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم.

* * *

كرم الله سبحانه يوم الحساب:

يطلب الرجل أن يُردَّ إلى الله تعالى فيقول عزَّ وجل: أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الردّ إليّ؟ فيقول: إلهي رأيت أني سائر إلى النار وأن لابد لي منها، وكنت عاقّاً لأبي، وهو سائر إلى النار مثلي، فضعِّف عليّ به عذابي وأنقذه منها. فيضحك الله تعالى ويقول عققته في الدنيا وبررته في الآخرة، خذ بيد أبيك وانطلق إلى الجنة.

* * *

اجر المبتلين يوم الحساب:

رئي الشبلي قدِّس سرُّه في المنام فقيل له مافعل الله بك؟ فقال:

حـــاسبـونـا فـدَقَّـقُـوا ثـم مـنُّـوا فــأعـتقـوا

ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، فيصب لهم الأجر صبّاً ويكونون تحت شجرة في الجنة تسمى شجرة البلوى. قال تعالى: ﴿إنما يوفَّى الصابرونَ أجرَهم بغيرِ حساب﴾ [الزمر: ١٠].

* * *

سؤال الناس يوم القيامة على اقسام:

قال بعض الكبار: مقام السؤال صعب: قوم يسألهم الملَك، وقوم يسألهم الملِك. فالذين تسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف، والذين يسألهم الملِك أقوام لهم أعمال لاتصلح للكشف وهم قسمان: الخواص: يسترهم الحقُّ عن اطِّلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة. وأقوام هم أهل الزلاّت يخصهم الله تعالى برحمته فلا يفضحهم. وأما الأغيار والأجانب فيقال لهم: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤]. فإذا قرؤوا كتابهم يقال لهم: فما جزاء من عمل هذا؟ فيقولون: جزاؤه النار. فيقال لهم: ادخلوا بحكمكم. كما أن جبريل جاء في صورة البشر إلى فرعون وقال: ماجزاء عبدٍ عصى سيِّده وادَّعى العلوَّ عليه وقد ربَّاه بأنواع نعمه؟ قال: جزاؤه الغرق. قال: اكتب لي، فكتب له صورة فتوى. فلما كان يوم الغرق أظهر الفتوى وقال: كن غريقاً بحكمك على نفسك.

* * *

الحجة لله على العبد:

في الخبر: يجاء بالعبد يوم القيامة فيقال له: مامنعك أن تكون عبدتني؟

فيقول: ابتليتني فجعلت عليَّ أرباباً شغلوني. فيجاء بيوسف عليه السلام في عبوديته فيقال: أأنت أشد أم هذا؟ فيقول: هذا. فيقال له: لمَ لمْ يمنعه ذلك أن عبدني؟

ويجاء بالغني فيقال له: مامنعك أن تكون عبدتني؟ فيقول: يارب أكثرت لي من المال، فيذكر مابتلي به. فيجاء بسليمان عليه السلام فيقال: أأنت أغنى أم هذا؟ فيقول: بل هذا. فيقال: لمَ لمْ يمنعه ذلك أن عبدني؟

ويجاء بالمريض فيقال له: مامنعك أن تعبدني؟ فيقول: يارب ابتليتني. فيجاء بأيوب عليه السلام فيقال: أأنت أشد ضراً وبلاء أم هذا؟ فيقول: بل هذا. فيقال: لمَ لمْ يمنعه ذلك أن عبدني؟

* * *

الألوية يوم القيامة:

ينصب لواء الصدق لأبي بكر الصدِّيق وكل صدِّيق يكون تحت لوائه، ولواء العدل لعمر وكل عادل يكون تحت لوائه، ولواء السخاوة لعثمان وكل سخي يكون تحت لوائه، ولواء الشهداء لعلي وكل شهيد يكون تحت لوائه.

وكل فقيه تحت لواء أبي الدرداء، وكل مقرئ تحت لواء أُبيّ بن كعب، وكل مؤذن تحت لواء بلال، وكل مقتول ظلما تحت لواء الحسين بن علي رضي الله عنهما، فذلك قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

* * *

الأصدقاء يوم القيامة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بَعْضُهُم لبعضٍ عَدُوٌّ إلا المُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنَين فقال: يارب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك

ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تضلّه بعدي، فاهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليل المؤمن جمع بينهما - أي بين أرواحهما - فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ ونعم الصاحب، فيثني عليه خيراً.

ويموت أحد الكافرَيْن فيقول: يارب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فلا تهده بعدي، وأضلّه كما أضللتني، وأهنْه كما أهنتني.

فإذا مات خليله الكافر وجمع بينهما، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: بئس الأخ وبئس الخليل، فيثني عليه شراً.

* * *

أولاد المشركين في الجنة أو النار؟

قال ابن الشيخ في حواشيه: قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] ظاهره يدل على أن أهل الموقف لايخرجون عن هذين القسمين اللذين أحدهما مخلّد في النار أبداً إلّا ماشاء ربك، وثانيهما مخلد في الجنة أبداً إلا ماشاء ربك. فيلزم أن يكون أطفال المشركين والمجانين الذين لم يعملوا صالحاً غير خارجين عنهما، فإن قلت: إنهم من أهل الجنة فبلا إيمان، وإن قلت: إنهم من أهل النار فبلا ذنب. فاعلم أن أمرهما فيما يتعلق بالأمور الدنيوية يتبع لأشرف الأبوين، وفيما يتعلق بأمر الآخرة من الثواب والعقاب معلوم مما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال عليه السلام: «الله أعلم بما كانوا عاملين من الكفر والإيمان إن عاشوا وبلغوا» وتحقيق هذا المقام أن الله تعالى يحشر يوم القيامة أصحاب الفترات والأطفال الصغار والمجانين في صعيد واحد لإقامة العدل والمؤاخذة بالجريمة، والثواب للعمل في

أصحاب الجنة، فإذا حشروا في صعيد واحد بمعزل عن الناس بُعِث فيهم نبيٌّ من أفضلهم وتمثل لهم نار يأتي بها هذا النبي المبعوث في ذلك اليوم فيقول لهم: أنا رسول الله إليكم فيقع عند بعضهم التصديق به،ويقع التكذيب عند بعضهم، ويقول لهم: اقتحموا هذه النار لأنفسكم فمن أطاعني نجا، ومن عصاني وخالف أمري هلك، وكان من أهل النار. فمن امتثل أمره منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال ثواب العمل ووجد تلك النار برداً وسلاماً، ومن عصاه استحق العقوبة ودخل في النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله تعالى في عباده. هكذا ورد في صحيح الأخبار.

* * *

لا يُعذَّبُ ذو شيبة شاب في الإسلام:

عن أحمد بن سهل قال: رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت: يايحيى، مافعل ربك بك؟ فقال: دعاني فقال: ياشيخ السوء فعلت مافعلت. فقلت: مابهذا حُدِّثْتُ عنك. قال الله تعالى: فبم حدَّثْتَ عنِّي؟ قال يحيى: قلت: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت: «ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام وأنا أريد أن أعذبه إلا وأنا أستحي أن أعذبه وهو شيخ كبير».

قال تعالى: صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق النبي ﷺ وصدق جبريل عليه السلام وصدقت أنا. يايحيى، إني لاأعذب من شاب في الإسلام. ثم أمرت بذات اليمين إلى الجنة.

* * *

أحوال أهل الجنة يوم القيامة:

قال تعالى في سورة المؤمن: ﴿ومن عَمِلَ صَالحاً من ذَكَرٍ أو أنثى وهو مُؤمِنٌ فأولئكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فيها بغيرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ «أن أهل الجنة إذا أُدخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم - أي بأعمالهم الفاضلة - ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيبرزون ويبرز لهم عرشه ويتبدّى لهم في روضة من رياض الجنة، فتُوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وماهو دنيّ على كثبان المسك والكافور، مايرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً». قال أبو هريرة رضي الله عنه: قلت يارسول الله وهل يُرى ربنا؟ قال: «نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر»؟ قلنا: لا. قال: «كذلك لاتتمارون في رؤية ربكم تبارك وتعالى، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يافلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكِّره بعض عثراته في الدنيا فيقول: أو لم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك إد سحابة فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه قط، ويقول ربُّنا: قوموا إلى ماأعددت لكم من الكرامة فخذوا مااشتهيتم. فنأتي سوقاً قد حُفَّت بالملائكة لم تنظر العيون إلى مثلها، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، فيُحمل لنا مااشتهينا ليس يباع فيها ولايشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل الرجل ذو المنة المرتفعة فيلقى من هو دونه ومافيهم دنيّ، فيروعه ماعليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ماهو أحسن منه، وذلك أنه لاينبغي لأحدٍ أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا

فيقلن: مرحباً وأهلاً لقد جئت وإنّ بك من الجمال ماهو أفضل مما فارقتنا عليه.

فيقول: إنّا جالسنا اليوم ربّنا الجبار ويحق لنا أن ننقلب بمثل ماانقلبنا».

* * *

ثلاثة تُدْخِل الجنة وثلاثة تُدْخِل النار:

قيل: إنّ دخول الجنة بثلاثة أشياء، ودخول النار بثلاثة أشياء.

أما ثلاثة الجنة: فدخولها برحمة الله، واستحقاق منازلها بالأعمال، والخلود فيها لنيّة عدم مفارقة الإيمان.

وكذلك ثلاثة النار: فدخولها بعدل الله، واستحقاق منازلها بالأعمال، والخلود فيها لنيّة عدم مفارقة الكفر.

* * *

الحساب بين العباد يوم القيامة:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد أو الأَمَة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ: هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت إلى حقه. فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على ابنها أو أخيها أو على أبيها أو على زوجها. ثم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿فلا أنْسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئذٍ ولايَتَسَاءَلون﴾ [المؤمنون: ١٠١] فيقول الله تعالى للعبد: آت هؤلاء حقوقهم. فيقول: رب لست في الدنيا فمن أين أوتيهم؟ فيقول تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان منهم بقدر طلبته. فإن كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل ضاعفها له حتى يدخله بها الجنة. ثم قرأ: ﴿إنَّ اللهَ لايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإن تكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها ويؤتِ من لَدُنْه أجراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠].

وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة: رب فنيت حسناته وبقي الطالبون. فيقول.

تعالى للملائكة: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيآته وصكوا له صكاً إلى النار.

«روح البيان»

* * *

أهوال القيامة وزوال الأنساب:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

عن الشعبي قالت عائشة رضي الله عنها: يارسول الله، أما نتعارف يوم القيامة؟ أسمع الله يقول: ﴿فلا أنْسابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتَساءَلون﴾ [المؤمنون: ١٠١] فقال عليه السلام: «ثلاثة مواطن تذهل فيها كلُّ نفس: حين يُرمى إلى كل إنسان كتابه، وعند الموازين، وعلى جسر جهنم».

* * *

يحشر المرء على ما مات عليه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يامحمد إنّ ربك يقرئك السلام وهو يقول: مالي أراك مغموماً حزيناً؟. قال ﷺ: ياجبريل طال تفكيري في أمتي يوم القيامة. قال: أفي أمر أهل الكفر أم أهل الإسلام؟ فقال ﷺ: ياجبريل في أمر لا إله إلا الله محمد رسول الله. فأخذه بيده حتى أقامه إلى مقبرة بني سلمة ثم ضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله. فقام الرجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقال جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان. ثم ضرب بجناحه الأيسر فقال: قم بإذن الله. فخرج رجل مسودّ الوجه أزرق العينين وهو يقول: واحسرتاه واندامتاه. فقال جبريل: عد إلى مكانك. فعاد كما كان. ثم قال: يامحمد على هذا يبعثون يوم

القيامة».

وعند ذلك قال الرسول ﷺ: «تموتون كما تعيشون وتبعثون كما تموتون».

* * *

الجمع يوم القيامة والأجر فيه:

قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يومِ القيامةِ لا رَيْبَ فيه﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿وإنَّما تُوَفَّونَ أُجُورَكُمْ يومَ القيامةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* * *

شفاعة الرسول ﷺ:

يامن يجيب دعا المضطَرِّ في الظُّلَمِ ... يا كاشفَ الضرِّ والبلوى مع السَّقَمِ
شفِّع نبيَّك في ذُلِّي ومسكنتي ... واستُر فإنك ذو منٍّ وذو كرمِ

* * *

شفاعة الصديق:

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل يقول في الجنة: مافُعِل بصديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله **عز وجل**: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي: ﴿فمالنا من شافعين * ولا صديقٍ حميم﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]. رواه البغوي بإسناد الثعلبي. **وقال الحسن**: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

* * *

نور الله تعالى:

قال تعالى: ﴿الله نورُ السَّمواتِ والأرضِ﴾ [النور: ٣٥] وهو حسبما أخبر الله تعالى بعظمةِ هذا النور، وأمام هذا النور مرآةٌ صافية هي نبيُّنا محمدٌ ﷺ فيعكس

نور هذه المرآة إلى الأنبياء، فهو الحجاب الأعظم القائم بين يدي الله عز وجل، ثم تأخذُ الأولياء النور من الأنبياء، وهكذا الخلائق من بعدهم صفوف صفوف، كلٌّ قد أخذ على حسَبِ استعدادِه، إلى أن ينتهيَ أهلُ الإيمان، فهم حجابٌ على أهل الكفر، فلا يصِلُ إليهم إلا مايعيشونَ به من ضياء الكَوْن، وهو نوعٌ من رحمةِ الله التي وسعتْ كلَّ شيء، حتى إذا مالوا انقطعتْ عنهمُ الرحمة ودخلوا بظُلْمةِ العذاب إلى يوم القيامة، ولاينفع العلمُ إذا لم يجعل الله لصاحبه نوراً، لأن إبليس أعلمُ أهلِ الكون وشاهدَ ماشاهد، ولم ينفعه علمه، ﴿ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ له نُوراً فَمَا لَـهُ من نُور﴾ [النور: ٤٠].

اللهم نوّر قلوبنا بنور معرفتك يارب.

* * *

رؤية الله يوم القيامة في الجنة وقربه إلينا في الدنيا:

﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربِّها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] الآية صريحة في وجوب رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مع قوله تعالى: ﴿كلا إنّهم عن ربِّهم يومئذ لَمَحْجُوبُون﴾ [المطففين: ١٥] أي: عن رؤيته تعالى في مقام الإهانة، وقدأخطأ من فسر «إلى» أنها اسم بمعنى النعمة جمعها آلاء وأنها مفعول مقدم لناظرة، لأن هذه النسبة لاتليق للوجوه. وإنما النضرة الآتية من النظر. وبعض العارفين يعد نفسه بنظر دائم لكنه يقول: حجب عنه لشدة قرب الحق منه كما قال تعالى: ﴿ونَحْنُ أقْرَبُ إليه مِن حَبْلِ الوَرِيد﴾ [ق: ١٦]. كما إذا وضعت يدك بملامسة عينك فإنك حينئذٍ لاتراها، وكذلك الهواء لانراه لملامسة عيوننا. وكذلك الغائص في الماء لايراه لملامسته لعينه. فإذا بعد قليلاً رآه، وإذا بعد كثيراً لايراه.

فالحق سبحانه وتعالى لايُرى لشدة قربه، ولايُرى لشدة بعده بالمقام الإلهي،

وتسفُّلنا بالمقام البشري . فكلا القرب والبعد حجاب .

اللهم ارفع عنا العذاب برفع ماعلى أبصارنا من الحجاب . وارزقنا الإحسان بشهود وجود العيان ياحنان يامنان .

* * *

الموت

قال تعالى : ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بينكُم المَوْتَ ومَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة : ٦٠].

وقال تعالى : ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهم مَيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠].

* * *

كل حال يزول:

أوحى الله إلى محمد ﷺ فقال : يامحمد عش ماشئت فإنك ميت، واعمل ماشئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس.

* * *

الحياة طريق الموت:

قال تعالى في سورة ص : ﴿ولقد فَتَنَّا سليمانَ وألْقَيْنَا على كُرْسِيِّه جَسَداً ثُم أنَابَ﴾ [ص : ٣٤] والإنابة الرجوع، أي رجع إلى ربه تعالى وذلك حيث قال : لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة أو تسعين أو تسع وتسعين أو مئة، تأتي كلٌّ واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله. ولم يقل : إن شاء الله، فقال له صاحبه أي وزيره آصف بن برخيا : قل إن شاء الله، فنسي ولم يقل، فجاءت واحدة منهن بشقّ ولد له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة، فألقته القابلة على كرسيِّه فجعله في السحاب خوفاً عليه من الشياطين فمات.

قال في «روح البيان» : ولما ألقي ابنه الميت على كرسيِّه جزع سليمان عليه إذ لم يكن له إلا ابنٌ واحد، فدخل عليه ملَكان فقال أحدهما : إنّ هذا مشى في زرعي فأفسده. فقال له سليمان : لمَ مشيت في زرعه؟ قال : لأنَّ هذا الرجل زرع في طريق الناس فلم أجد مسلكاً غير ذلك، فقال سليمان

للآخر: لِمَ زرعتَ على طريق الناس؟ أمــا علمت أن الناس لابدَّ لهم من طريق يمشون فيه؟ فقال لسليمان: صدقت، لِمَ ولدتَ على طريق الموت؟ أما علمت أنَّ ممر الخلق إلى الموت؟ ثمَّ غابا عنه، فاستغفر سليمان وأناب إلى الله تعالى.

ومــا الــمرءُ إلا راكبٌ ظــهــرَ عــمْره   على سفـرٍ يُفـنـيـه بالـيوم والـشَّـهْرِ
يـبـيـــتُ ويـضُحي كلَّ يــومٍ ولـيلةٍ   بعيداً عن الدنــيـا قريباً مـن الـقـبـرِ

* * *

غفلة الإنسان عن الموت:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو على ناقته الجدعاء فقال: «ياأيها الناس، كأنَّ الموت على غيرنا كُتب، وكأنَّ الحق على غيرنا وجَب، وكأنَّ مانشيِّعُ من الموتى عن قريب إلينا راجعون، نُبَوِّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلَّدون من بعدهم. فطوبى لمن شغله عيبه عن عيب الناس»

* * *

منادي الموت ومذكِّره:

كان بعض الصالحين ينادي بالليل على سور المدينة: الرحيل الرحيل. فلما توفي فقد صوتَه أميرُ تلك المدينة، فسأل عنه، فقيل له: إنه مات، فقال:

مــازال يَـلــهـجُ بـالـرحيـلِ وذِكـْره   حــتــى أنــاخَ بــبـابـهِ الـجـمَّالُ
فــأصــابـهُ مـتـيـقِّظاً مـتـشـمِّـراً   ذا أُهـــبـــةٍ لـــم تـُلْـهِـهِ الآمــــالُ

* * *

كل شيء زائل ولابد من الموت والحساب:

كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ماينشد هذه الأبيات:

لــم تـغْـن عن هـرمــزٍ يوماً خزائنُه   يبقى الإله ويَـرْدَى الـمال والــولـدُ

ولا سليمان إذ تجري الرياحُ له ... والإنس والجن فيما بينها تردُ

أينَ الملوكُ التي كانت لعزتّها ... من كلِّ أوْب إليها وافدٌ يفدُ

حوضٌ هنالك موروودٌ بلا كذبٍ ... لابدَّ من ورْدِه يوماً كما وردوا

* * *

إكثار ذكر الموت:

أجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا أجل معلوم، ولا مرض معلوم، وذلك ليكون الإنسان على الاستعداد، ولا يحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ، قال عليه الصلاة والسلام: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات».

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ المَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

* * *

تمنِّي الموت:

قال تعالى: ﴿قُلْ إن كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عند اللهِ خالِصَةً من دونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوا الموتَ إن كُنتُم صادقين * ولن يَتَمَنَّوهُ أبداً بما قَدَّمتْ أيديهم واللهُ عليمٌ بالظَّالمين﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥].

عن نافع: جلس إلينا يهودي يخاصمنا فقال: إن في كتابكم ﴿فَتَمَنَّوا الموت﴾ [البقرة: ٩٤] وأنا أتمنى فمالي لا أموت؟ فسمع ابن عمر رضي الله عنهما هذا، فدخل بيته وأخذ السيف ثم خرج، ففر اليهودي حين رآه. فقال ابن عمر: أما والله لو رأيته لضربت عنقه، توهم هذا الجاهل أنه لليهود في كل وقت، إنما هو للذين كانوا يعاندونه ويجحدون نبوته بعد أن عرفوه.

فإن قلت: إن المؤمنين أجمعوا على أن الجنة للمؤمنين دون غيرهم ثم ليس لأحد منهم تمني الموت، فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك؟ قلت: إن

المؤمنين لم يجعلوا لأنفسهم من الفضل والشرف والمرتبة عند الله ماجعلت اليهود ذلك لأنفسهم؛ لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّ الجنة خالصة لهم. والإنسان لايكره القدوم على حبيبه، فلما لم يتمنوا ظهر كذبهم. ولأن النبي ﷺ نهى عن تمني الموت قال عليه الصلاة والسلام: «لايتمنينّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني مادامت الحياة خيراً لي، وتوفّني مادامت الوفاة خيراً لي».

ويجوز تمنّي الموت اشتياقاً لله تعالى، قال مقاتل:

لولا بناتي وسيئاتي لذبت شوقاً إلى الممات

فلا يلزم المشتاق في هذه الحالة مايلزم اليهود.

وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه:

لايتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل مابعد الموت، أو رجل يفرّ من أقدار الله عليه، أو مشتاق لقاء الله تعالى.

* * *

ضحك عند الموت:

لما احتُضر مكحول وكان الغالب عليه الحزن ضحك، فقيل له: لم تضحك؟ فقال: دنا فراق من كنت أحذره، ولقاء من كنت أرجوه.

* * *

فرح بلقاء الله:

قيل مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت. قال: إلى أين يُذهب بي؟ قالوا: إلى الله تعالى: قال: فكيف أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلاّ منه؟

* * *

حب لقاء الله وكرهه والفرق بينهما:

حكي أنَّ جباراً عاتياً بنى قصراً، وشيّده وزخرفه وآلى على نفسه أن لايدنو من قصره أحد إلّا قتله، حتى قتل أناساً كثيرين، فبينا هو في قصره إذ رأى فقيراً يطوف حوله، فلما رآه قال: من هذا؟ اذهبوا فأريحوه. فلما وصلوا إليه قالوا: أمجنون أنت؟ فما رفع السياف سيفه إلا خرَّ ميتاً، وأخذ الرجلُ يطوف، فأرسل الملكُ إليه رجلاً آخر وقال له: اقتله الساعة،ومن هذا الجاني؟ فذهب إليه، فما رفعَ السيفَ حتى خرَّ مغشيّاً عليه ميتاً. فاغتاظ الملكُ غيظاً شديداً ونزل إليه بسيفه فلما رآه قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك. فارتعد الملك ورجف وقال له: ألا تمهلني حتى أرجع لأولادي وأهلي وأوصي؟ قال: لا. فقبضه وكان أتى الملكَ رجلٌ صالح من أهل قريته ينصحه ولم يقبل نصحه، فبنى ذلك الرجل الصالح كوخاً في محلٍّ بلا طاقٍ ولا كوَّة، وصار يعبد الله تعالى. فأتاه ملك الموت ليقبض روحه. فقال: أمهلني حتى أذهب لأهلي وأوصي. فأتاه الأمر الالهي بإمهاله، فلما خطا خطوتين عاد إلى ملك الموت وقال له: اقبضني الساعة أخاف إن رأيت أهلي أن يتغيّر حالي.

فانظر كم بين المقامين، نسأله تعالى أن يحبِّبَنا بلقائه بعافيةٍ من غير محنة إنّه جوَادٌ كريم.

* * *

الشهداء يوم القيامة:

﴿ولاتَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

يروى أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: ادعوا إليَّ خيرتي من خلقي. فيقولون: ياربِّ من هم؟ فيقول تعالى: الشهداء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم

وأنفسهم، فيمرون على ربِّ العزة وسيوفهم على أعناقهم فيدخلون مساكنهم في الجنة.

* * *

وصية الرسول ﷺ قبل الموت:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما دنا فراق رسول الله ﷺ جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم، حيّاكم الله رحمكم الله، أوصيكم بتقوى الله وطاعته؛ قد دنا الفراق، وحان المنقلب إلى الله، وإلى سدرة المنتهى، وإلى جنة المأوى؛ يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا، أو في حلة يمانية، فإذا غسلتموني وكفنتموني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي، ثم اخرجوا عني ساعة، فأول من يصلي عليّ حبيبي جبريل عليه السلام، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنودهم، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً صلوا عليّ».

فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا: يارسول الله، أنت رسول ربّنا، وشمل جمعنا، وسلطان أمرنا، إذا ذهبت عنّا فإلى من نرجع في أمورنا؟ قال: «تركتكم على المحجَّة البيضاء - أي على الطريق الواسع الواضح - ليلها كنهارها - في الوضوح - لا يزيغ بعدها إلى غيرها إلّا هالك؛ وتركت لكم واعظَين ناطقاً وصامتاً: فالناطق القرآن، والصامت الموت؛ فإذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة، وإذا قسا قلبكم فليّنوه بالاعتبار في أحوال الأموات».

* * *

الموت يكمل النفس:

قال بعض الكبار: إن السيد عبد القادر الجيليّ قدّس سرُّه، لما حضرت وفاته

وضع خده على الأرض وقال: هذا هو الحق الذي كنّا عنه في حجاب.

فشهد على نفسه بأنّ مقام الإدلال الذي كان فيه نقص بالنسبة إلى حاله الذي ظهر له عند الموت، وتمم الله حاله عند الموت، ومات على الكمال.

وعكس هذا حكي أن مولانا حميد الدين أخذه اضطراب عظيم في مرض موته فقيل له: أين علومك ومعارفك؟ فقال: يطلبون منا القلب وأحوال القلب وذلك غير موجود عندنا. فالاضطراب من تلك الجهة.

وروي أن بعضهم ضحك عند الموت وقال: ﴿لمثلِ هذا فليعْملِ العاملون﴾ [الصافات: ٦١]، وبعضهم بكى وقال: مالهذا نسعى طول عمرنا، وأراد تجلي الله تعالى عند ذلك.

فإذا كان حال أرباب الأحوال هكذا فما ظنك بأحوال غيرهم؟

* * *

أبناء الخمسين ومابعدها ومايقال لهم:

في «روح البيان» في سورة الجاثية تحت قوله تعالى: ﴿أمْ حَسِبَ الذينَ اجْتَرَحُوا السيّئاتِ أن نَجْعَلَهُم كالّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ سواءً مَحْيَاهم ومَمَاتُهُم﴾ [الجاثية: ٢١]، قال: **وفي بعض الكتب السابقة: إنّ لله منادياً** ينادي كل يوم: أبناء الخمسين زرع دنا حصاده، أبناء الستين هلموا إلى الحساب، أبناء السبعين ماذا قدَّمتم وماذا أخرتم؟ أبناء الثمانين لاعذر لكم اليوم؛ ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا؟ وتجالسوا بينهم، فتذكروا أعمالهم ألا أتتكم الساعة، فخذوا حذركم.

* * *

ماوعد الشهداء في الجنة:

في «روح البيان» في سورة التوبة تحت قوله تعالى: ﴿إنَّ الله اشْتَرَى من

المُؤمنينَ أنْفُسَهُمْ وأمْوالَهُمْ بأنَّ لهم الجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. **قال:** عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قُدِّس سرُّه قال: بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرتُ أصحابي بقراءة آيتين، فقرأ رجل في مجلسنا: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة﴾ إذْ قام غلامٌ في مقدار خمسَ عشرةَ سنة أو نحو ذلك، وقد مات أبوه وورثّه مالاً كثيراً فقال: ياعبد الواحد بن زيد، ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾؟ فقلت: نعم حبيبي. فقال: إني أشهدك أني بعتُ نفسي ومالي بأن لي الجنة. فقلت له: إن حدَّ السيف أشدُّ من ذلك، وأنت صبي، وإني أخاف عليك أن لاتصبر أو تعجز عن ذلك. فقال: ياعبد الواحد، أُبايع الله بالجنة ثم أعجز؟ أُشهد الله أني قد بايعته. أو كما قال رضي الله عنه. فقال عبد الواحد: فتقاصرتْ إلينا أنفسنا وقلنا: صبي يعقل ونحن لانعقل. فخرج من ماله كلِّه وتصدَّق به، إلا فرسه وسلاحه ونفقته؛ فلما كان يوم الخروج كان أولَ من طلع علينا فقال: السلام عليك ياعبد الواحد. فقلت: وعليك السلام ربح البيع إن شاء الله. ثم سرنا وهو معنا يصومُ النهار ويقوم الليل، ويخدمُنا ويخدمُ دوابَّنا، ويحرسنا إذا نمنا حتى انتهينا إلى دار الرُّوم فبينما نحن كذلك، إذا به أقبل ينادي: واشوقاه إلى العيناء المرضيَّة! فقال أصحابي: لعلَّه وُسْوس هذا الغلام واختلط عقله. فقلت: حبيبي، وما هذه العيناء المرضيَّة؟ فقال: قد غفوتُ غفوةً فرأيتُ كأنه قد أتاني آت، فقال: اذهب إلى العيناء المرضية، فهي على روضةٍ فيها بحر من ماءٍ غير آسِن، وإذا على شاطئ النهر جوارٍ عليهن من الحُلَلِ مالا أقدر أن أصفه، فلما رأينني استبشرَن بي وقلن: هذا زوج العيناء. فقلت: السلام عليكنّ، أفيكنَّ العيناءُ المرضيَّة؟ فقلن: لا، نحن خدمها وإماؤها، امض أمامك. فمضيتُ أمامي، فإذا أنا بنهر من لبن لم يتغيَّرْ طعمهُ في روضةٍ فيها من كلِّ زينة فيها جوارٍ لَمَّا رأيتهُنَّ افتُتنت بحُسنهنّ وجمالهنّ، فلما رأينني

استبشرْن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية. فقلت السلامُ عليكنّ، أفيكنَّ العيناءُ المرضيَّة؟ فقلن: وعليك السلام ياوليَّ الله، نحن خدمها وإماؤها، فتقدَّمْ أمامك. فتقدَّمت، فإذا أنا بنهر من خمر وعلى شطّ الوادي جوارٍ أنسينني من خلّفت، فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ قلن: لا، نحن خدَمُها وإماؤها، امضِ أمامك. فمضيت فإذا أنا بنهر من عسل مصفًّى أمامي، فوصلت إلى خيمة من درَّة بيضاء، وعلى باب الخيمة جاريةٌ عليها من الحُلِيّ والحُلَل مالا أقدر أن أصفه، فلما رأتْني استبشرت بي ونادَت من الخيمة: أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدِم. قال: فدنوتُ من الخيمة ودخلتُ فإذا هي قاعدة على سريرٍ من ذهب مكلّل بالدُّرّ والياقوت، فلما رأيتها افتُتنت بها وهي تقول: مرحباً بك ياوليَّ الله، قد دنا لك القدوم علينا، فذهبتُ لأعانقها فقالت: مهلاً لم يأنِ لك أن تعانقني لأن فيك روحَ الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى. فانتبهت ياعبد الواحد ولا صبر لي عنها. قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم، وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحَّط بدمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا.

* * *

ميتة أهل الخير وميتة أهل الشر:

في الخبر: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً بعث إليه ملكاً من عامه الذي يموت فيه فيسدده وييسره، فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه فقال: ياأيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فذلك حين يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، وإذا أراد بعبدٍ شراً بعث إليه شيطاناً من عامه الذي يموت فيه فأغواه، فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت، فقعد عند رأسه فيقول: ياأيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ، فتفرق في جسده فذلك حين يبغض لقاء

الله ويبغض الله لقاءه .

ويقال إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصّره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خير الدنيا والآخرة .

* * *

وما تدري نفس بأي أرض تموت:

قال الله تعالى في سورة لقمان :

﴿وماتَدْري نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وما تَدري نَفْسٌ بأيِّ أرضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] .

* * *

وأنشد بعضهم :

مشيناها خطاً كُتِبتْ علينا ... ومَنْ كُتبتْ عليه خُطاً مشاها
وأرزاقٌ لنا متفرّقاتٌ ... فمَنْ لمْ تأتِه مِنَّا أتاها
ومَنْ كُتِبتْ منيَّتُه بأرضٍ ... فليس يموتُ في أرضٍ سواها

* * *

دعاء عند الوفاة:

قيل : حضرت الوفاة رجلاً فقال : إلهي أنت أمرت بالتجاوز عن المسيء، وأنت أمرت بمكارم الأخلاق، فالرجاء أن تفعل بي ماأمرت به، اللهم إني أخافك من قِبَلي وأرجوك من قِبَلك، فآمِنْ خوفي وحقِّق رجائي ياكريم .

* * *

قيل : حضرت الوفاة رجلاً فقال : إلهي إن الملوك إذا شابت عبيدهم أعتقوهم

ورحموهم ولم يكلفوهم مالا يطيقون، وإني شبت وضعفت وكبر سنّي في توحيدك، وأنت ملك الملوك، ياأرحم الراحمين وجسمي لايطيق النار فلا تكلفني مالا أطيق.

* * *

المؤمن لايتألم بخروج روحه:

روي أنه فكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوّي قوله عليه الصلاة والسلام: «يخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين»؟ فختم القرآن بالتدبر فما وجده. فرأى النبي ﷺ في منامه وقال: يارسول الله! قال الله تعالى: ﴿ولا رَطْبٍ ولا يَابسٍ إلا في كتابٍ مُبينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله تعالى. فقال عليه السلام: اطلبه في سورة يوسف. فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أَيْديَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] أي لما رأين جمال يوسف عليه السلام اشتغلن به وما وجدن ألم القطع. وكذلك المؤمن إذا رأى ملائكة الرحمة ورأى إنعامه في الجنة ومافيها من النعيم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت.

* * *

فائدة التلقين عند النزع:

إنما وجبت التسمية عند الذبائح؛ لأن مرارة النزع شديدة، وذكر اسم الله تعالى أحلى من كل شيء. فأُمرنا بالتسمية عند الذبائح كي تسمع الشاة ذكر الله عند الموت فلا تشتد مرارة النزع مع حلاوة اسم الله. ولذلك قال نبينا عليه الصلاة والسلام: «لقنوا موتاكم بشهادة أن لا إله إلا الله يسهل عليهم سكرات الموت».

* * *

تلقين النبي ﷺ ولده إبراهيم وتعجب عمر:

كان ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل».

وروي: أنّ النبي ﷺ لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال: «يابني، القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول مايسخط الرب إنا لله وإنا إليه راجعون. يابني: قل الله ربي، والإسلام ديني، ورسول الله أبي» فبكت الصحابة، منهم عمر رضي الله عنه حتى ارتفع صوته فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «مايبكيك ياعمر»؟ فقال: يارسول الله هذا ولدك، ومابلغ الحلم ولاجرى عليه القلم، ويحتاج إلى تلقين؟ مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت، فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك؟ فبكى النبيُّ ﷺ وبكت الصحابة معه، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الذينَ آمَنُوا بالقَولِ الثَّابِتِ في الحياة الدُّنيا وفي الآخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧] فتلا النبيُّ عليه السلام الآية، فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا الله.

وفي كلام الحافظ السيوطي: لم يثبت في التلقين حديث صحيح أو حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين.

* * *

نادرة في تلقين الميت:

توفي أحد الأعراب سيِّئ السِّيرة الذي قيل فيه: لم يعمل خيراً قطُّ، ففرحوا بموته وأردوه التراب، وأرادوا تلقينه حسب المعتاد عند الناس، فالتمسوا أحداً فلم يجدوا من يحسن ذلك، إذ أتى فارس من بعيد، فطلبوا منه ذلك فقال: نعم، فنزل قبره، وساروه في أذنه ثم خرج، وقال لهم: حصل المقصود. ثم رأوا الميت

بأحلامهم مراراً وهو بحالة حسنة جداً، فسألوه، فقال لهم: غفر الله لي بسبب من نزل لقبري.

فاستحضره الأمير وعمل له وليمة وسأله فلم يقل، فقالوا له: لقد رأيناه بالأحلام، وقال: كذا وكذا. قال: لما نزلت حفرته لاأدري ماأقول، فساررته إنك لو كنت ضيفي ذبحت لك جزوراً، لكنك الآن ضيف الله وهو أكرم الأكرمين فلا تخف. فنسألك يارب أن تكرم ضيافتنا حين نأتيك يا أرحم الراحمين.

وأنشد بعضهم:

أمسيتُ ضيفك ياذا الجودِ مرتهناً وأنت أكرمُ منزولٍ به قاري

فاجعل قراي [لديك] نيلَ مغفرةٍ أنجو إليك بها ياخيرَ غفَّارِ

* * *

قدر المؤمن عند الله وقت النزع:

في الحديث القدسي: «وماتردَّدتُ في شيء أنا فاعله، ماتردَّدت في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابدَّ منه».

* * *

خروج الروح من البدن:

قالوا: ينزل عند الموت أربعة من الملائكة، ملَك يجذب النفس من قدمه اليمنى، وملك يجذبها من قدمه اليسرى، وملَك يجذبها من يده اليمنى، وملَك يجذبها من يده اليسرى، فيجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع. ونفس المؤمن المطيع تنسلُّ انسلال القطرة من السقاء، وأما الفاجر فينسل روحه كالسَّفود من الصوف المبلول، وهو يظن أنّ بطنه قد ملئت شوكاً، وكأن نفسه تخرج من ثقب إبرة، وكأنّ السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما.

* * *

الأعمال تظهر عند سكرات الموت:

قالوا : إنّ سكرات الموت بحسب الأعمال والأحوال، وقد تظهر صفات حسنها وقبحها عند الموت، فالمغتاب تُقرض شفاهه بمقاريض من نار، والسامع للغيبة يسلك في أذنيه نار جهنم، وآكل الحرام يُقدّم له الزقوم، كذلك إلى آخر أعمال العبد. كل ذلك يظهر عند سكرات الموت، فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها يقبض روحه، وكان عليه السلام يقول: «اللهم هوِّن على محمد سكرات الموت».

* * *

ملاطفة ملك الموت للأولياء:

عن النبي ﷺ: «إذا جاء ملك الموت إلى وليٍّ الله سلم عليه، وسلامه عليه أن يقول: السلام عليك ياوليّ الله، قم فاخرج من دارك التي خربتها إلى دارك التي عمرتها. فإذا لم يكن ولياً لله قال له: قم من دارك التي عمرتها إلى دارك التي خربتها».

* * *

القبر:

ياقاهراً بالمنايا كلّ قهّارِ بنور وجهك أعتقني من النارِ
إليك أسلمني من كان يعهدني من أهل وُدِّي وأصحابي وأنصاري
في قعر مظلمةٍ غبراءَ موحشةٍ فرداً غريباً وحيداً تحت أحجارِ

* * *

يدفن في الأرض التي خلق منها:

روي: أن ملك الموت مرَّ على سليمان عليه الصلاة والسلام، فجعل ينظر إلى

رجل من جلسائه فقال الرجل: من هذا؟ قال: ملك الموت. فقال: كأنه يريدني! فمرِ الريح أن تحملني وتلقيني في بلاد الهند ففعل. فقال ملك الموت: كان دوام نظري إليه تعجباً منه، إذ أُمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يطوف ببعض نواحي المدينة، فإذا بقبر يحفر، فأقبل حتى وقف عليه فقال: «لمن هذا؟» قيل: لرجل من الحبشة. فقال: «لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها».

* * *

مايخاطب به الميت في القبر:

روي أنّ الحسن البصري رحمه الله رأى بنتاً على قبرٍ تنوح وتقول: ياأبت كنتُ أفرش فراشك فمن فرشه الليلة؟ ياأبت كنتُ أطعمك فمن أطعمك الليلة؟ إلى غير ذلك. فقال لها الحسن: لاتقولي كذلك بل قولي: ياأبت وضعناك متوجهاً إلى القبلة فهل بقيت أو حُوِّلت عنها؟ ياأبت هل كان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرةً من حفر النيران؟ ياأبت هل أجبت الملكين على الحق أم لا؟ فقالت: ماأحسن قولك ياشيخ.وقبلت النصيحة.

* * *

الدنيا والآخرة كالحلم واليقظة:

قال تعالى: ﴿ولاتَقولُوا لمن يُقْتَلُ في سبيلِ اللهِ أمْواتٌ بل أحْيَاءٌ ولكن لاتَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] اعلم أن الحياة الدنيا بالنسبة للبرزخ كاليقظة بالنسبة إلى الأحلام، والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. والبرزخ بالنسبة للحشر والنشر كالحلم بالنسبة لليقظة، فعندما يخرج الناس من البرزخ كأنهم استيقظوا من الأحلام، ثم

الحشر والنشر بالنسبة للجنة والنار كالحلم بالنسبة لليقظة، وهناك الحياة الحقيقية الأبدية. وكل منزلة بالنسبة لما قبلها كاليقظة بالنسبة للحلم، قال تعالى: ﴿ولاتَقُولُوا لمن يُقْتَلُ في سبيلِ اللهِ أمْواتٌ بل أحْيَاءٌ ولكن لاتَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] فنسب الله تعالى عدم الشعور للأحياء، وأثبت الحياة للشهداء. **كذا كل من كان بمنزلة الشهداء من الأولياء والعلماء.**

قال في «روح البيان» بتفسير هذه الآية: ولاعذاب حسي جسماني لكن ذلك نعيم أو عذاب معنوي، حتى تبعث أجساد فترد إليها فتتنعم عند ذلك حساً ومعنى، ألا ترى إلى بشر الحافي قُدِّس سرُّه لما رُئي في المنام قيل له: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة. يعني روحه متنعِّمة بالجنة بما يليق بها في مقامه، والنصف الآخر هو الجنة التي يدخلها ببدنه إذا حشر فتكامل النعيم بالنصف الآخر، والأكل الذي رآه الميت بعد موته في البرزخ هو كالأكل الذي يراه النائم في النوم، والنعيم به مثل النعيم به سواء كما قال عليه السلام: «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وكذلك كل شخص، غير أن الفرق بين الرسول وغيره في هذه الصورة أن جسم النبي يبيت جائعاً ويستيقظ شبعان، وغير النبي يأكل في منامه وهو جوعان ويستيقظ وهو كذلك. وإذا رأى الولي الوارث ذلك وقد وجد أثر الشبع أو الرِّيّ فذلك من أجزاء النبوة التي وردت في الميراث، إذ الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوَّة، وقد رأى ذلك كثير من الأولياء وأصبحوا عليهم رائحة الطعام الذي أكلوه وشبعوا. فهذه وراثة نبوية، فقوله عليه السلام: «إني لست كهيئتكم» باعتبار الغالب لا باعتبار الكل، فتنعُّم الشهداء في البرزخ بمرتبة تنعُّم الولي الوارث في المنام.

قيل: يارسول الله. هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: **«نعم، من يذكر الموت**

في اليوم والليلة عشرين مرة».

فانظر إلى هذا البيان الصوفي الحقيقي من المفسر رحمه الله تعالى، فالشهيد والنبي والولي الوارث يتنعَّمون تنعُّماً برزخياً وهم أحياء غير حياتنا، ومع ذلك فهي نصف وحلم بالنسبة لما بعدها. أحياناً الله بفيضه حياة أبدية وجعلنا من ورثة جنته في الحياة البرزخية آمين.

* * *

كل امرئ يفضي إلى عمله:

في الحديث: «اعلموا أن كل امرئ على ماقَدَّم قادم، وعلى ماخلَّف نادم».

اختصاص النبي ﷺ بسؤال أمته عنه في القبر:

قال بعضهم: الأنبياء والصبيان والملائكة لايُسألون. وقد اختص نبينا ﷺ بسؤال أمته عنه، بخلاف بقية الأنبياء.

وفي بعض الآثار: يتكرر السؤال في المجلس الواحد ثلاث مرات، وفي بعضها أنّ المؤمن يسأل سبعة أيام، والمنافق أربعين يوماً، ولا يسأل من مات يوم الجمعة وليلته من المؤمنين، وكذا في رجب وشعبان ورمضان.

* * *

عبرة أهل القبور:

مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببقيع الغرقد ـ أي مقبرة المدينة، لأنها كانت مَنْبت الغرقد، وهو بالغين المعجمة شجر ـ فقال: السلام عليكم أهل القبور. أخبار ماعندنا أن نساءكم قد تزوَّجن، ودوركم قد سكنت، وأموالكم قد قسمت. فأجابه هاتف: يا بن الخطاب، أخبار ماعندنا أن ماقدمناه وجدناه، وما أنفقناه ربحناه،

وماخلَّفْناه خسرناه.

* * *

الفرق بين الحيوان والإنسان في الدنيا والآخرة:

قيل: مرَّت رابعة العدوية على رجل معه خروف مشوي، فنظرت إليه طويلاً وبكت. فقال: لعلك تريدين أن تأكلي منه. فقالت: مانظرت إليه إلا من جهة أنّ الحيوانات يدخلون النار أمواتاً وابن آدم يدخلها حياً، والحيوانات يدخلونها في الدنيا وابن آدم يدخلها في الآخرة.

* * *

الطمع في نفي العذاب:

أمرت إلهي بالعذابِ وياترى بأي مكان بالعذاب تدين
فليس عذاب حيث إنَّك كائن وأي مكان لست فيه تكون

وأورد على هذا وقوع العذاب للكفار بلا ريب.

* * *

نوادرعزرائيل:

قيل: سئل عزرائيل عليه السلام هل ضحكت قط؟ قال: نعم،ضحكت مرة وبكيت أخرى. ضحكت لرجلٍ ساوم على حذاء لايبلى قبل خمس سنين وقد قبضته وهو يساومه. وبكيت لامرأة لها يتيمان من أبيهما صغيران أرادت اجتياز نهر فأخذتْ أحدهما ووضعته على ضفة ورجعتْ لأخذ الآخر فغرقت. فبكيت لفرقة الطفلين الصغيرين وموت أمهما، فأطلعني الله أن أحدهما سيكون ملكاً بالمشرق والآخر ملكاً بالمغرب. والله سبحانه هو مصرِّف الأمور ولا ربَّ غيره.

* * *

متفرقات

الفرق بين الرجاء والتمنِّي:

من كلام الإمام الغزالي رضي الله عنه: الفرق بين الرجاء والأُمْنِيَّة أنّ الرجاء يكون على أصل، والتمنِّي لا يكون على أصل. مثاله: من زرع واجتهد وجمع بيده ثم يقول: أرجو أن يحصل منه مئة قَفِيز، فذلك منه رجاء. ومن لايزرع زرعاً ولايعمل يوماً، قد ذهب ونام وغفَلَ سنةً، فإذا جاء وقت البيادر قال: أرجو أن يحصلُ لي مئة قفيز. فيقال: من أين لك هذه الأمنيَّة التي لاأصل لها؟ فكذلك العبد إذا اجتهد في عبادة الله تعالى وانتهى عن المعاصي يقول: أرجو أن يتقبَّلَ الله هذا اليسير ويتمَّ هذا التقصير، ويُعْظِمَ الثواب. فهذا الرجاء منه.

وأما إذا غفل وترك الطاعاتِ وارتكب المعاصي ولم يبال بسُخْط الله ورضاه ووعْدِه ووعيده، ثم أخذ يقول: أرجو من الله الجنَّة والنجاة من النار، فذلك أمنيةٌ لاحاصل لها، سماها رجاء وحسن ظنٍّ خطأً منه وجهلاً.

* * *

عين الرضا عن كل عيب كليلة:

قال ذو النون: لا تصحب مع الله إلاّ بالموافقة، ولا مع الخلق إلاّ بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

وقيل: صحب رجل إبراهيم بن أدهم، فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل: إن رأيت فيّ عيباً فنبِّهْني عليه. فقال إبراهيم: إني لم أرَ بك عيباً لأني لاحظتك بعين الوِداد؛ فاستحسنتُ منك مارأيت، فسَلْ غيري عن عيبك. وفي معناه أنشدوا:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ   ولكنَّ عينَ السّخْط تُبدي المساويا

* * *

ثمانية تعم الخلق:

يقال : ثمانية أشياء تعمُّ الخلق كلهم : الموت ، والحشر ، وقراءة الكتاب ، والميزان ، والحساب ، والصراط ، والسؤال ، والجزاء .

* * *

الرضا بقضاء الله:

قيل كان نبيٌّ من الأنبياء يَعْلَم كلام الحيوانات ، وكان معه رجلٌ صالح غني يخدمُه بماله ونفسه ، فطلب من النبيِّ يوماً أن يدعو الله له ليعلِّمه كلامَ الحيوانات أيضاً ، فنهاه وقال له : خير لك أن لاتعلمَها . قال : فادع الله بذلك . فدعا له فألهمه الله إياها . وكان عند ذلك الرجل الصالح الغني دجاج ، فأتى إلى الدجاج ذئب ، فكلَّمه الديِّك من داخل الكِنِّ وقال له : إما أن تذهب وإما أن أُملي البيت صياحاً ، فيأتي إليك صاحب البيت فيقتلك . قال له : لكني جائع ، قال : اصبرْ ، فغداً تموت عندنا شاة ، فيلقونها فتأكلها ، فسمع صاحب البيت الكلام ، فأصبح باكراً وباع الشاة قبل أن تموت عنده . فأتى الذئب فقال : أين الشاة؟ قال له : باعها سيدُنا قبل أن تموت ، ولكن اصبر ، فإنّ عند سيدي جارية ، غداً تموت فيقبرها بقبور الفقراء ، فتأتي وتنبشها وتأكلها ، فسمع الكلام صاحب البيت وفهمه ، فحالاً باع الجارية قبل مجيء الغد . فأتى الذئب وقال : لابدَّ أن أمزِّق دجاجك أيها الديك ولو مزقوني ، فإلام الاصطبار؟ قال له : اذهب ويلك ، فإني رأيت عزرائيل عليه السلام متأهباً لقبض روح سيدنا ، فاذهب الآن بسلام قبل أن يصبح الصباح ويقوم الصياح فيعثرون عليك فتلحق به .

فلما سمع صاحب البيت الكلام قام باهتمام ، وقصد ذاك النبي عليه السلام وشكا له ماسمع من الديك ، فقال : حقٌّ ماسمعت ، ألم أقل لك لاتتعلَّم كلام هؤلاء العُجْم؟ فإن الشاة التي كانت تموت هي فداء الجارية فبعتَها ، فكانت الجارية

تموت فبعتها، وكانت الجارية فداء لك، والآن لم يبق لك فداء فاستعدَّ لما أنت لاق.

وبذلك يعتبرُ السامعُ بحكم ربِّه عزَّ وجل كيف يُصَرِّف الأمور بقدرته، لا رادَّ لحكمه ولا رادَّ لقضائه.

* * *

في كتاب «الجواهر الحسان» في ذكر لقمان الحبشي رضي الله عنه قال: أخرج ابنُ أبي الدنيا في الرضا عن سعيد بن المُسَيِّب رَضي الله تعالى عنه قال: قال لقمان عليه السلام لابنه: يابُنيّ، لاينزلنَّ بك أمرٌ رضيتَه أو كرهته إلاّ جعلت في الضمير منك أنَّ ذلك خيرٌ لك. فقال له: أما هذه فلا أقدر أن أعطيكها دون أن أعلم ماقلت كما قلت. فقال له: يابني، إن الله قد بعث نبياً فهلمَّ بنا حتى نأتيَه لُنصدِّقه. فقال له ابنه: اذهب ياأبت.

فخرج لقمانُ عليه السلام على حمارٍ وابنه على حمارٍ آخر، وتزوَّدا، ثم سارا أياماً وليالي، فصادفتهما مغارةٌ، فأخذا أُهبتَهما لها فدخلاها، فسارا فيها ماشاءَ الله، ثم ظهرا منهاوقد تعالى النهار واشتدَّ الحر، ونفِد الماء والزاد منهما، واستبطأ حماريهما فنزلا فجعلا يشتدَّان على سوقهما، فبينما هما كذلك إذ نظر لقمان أمامه فإذا هما بسواد ودخان، فقال في نفسه: أما السواد فالشجر، وأما الدخان فالعمران والناس، فبينما هما كذلك يشتدَّان إذْ وطئ ابنهُ على عظمٍ في الطريق فخرَّ مغشياً عليه، فوثب إليه أبوه عليه السلام فضمَّه إلى صدره واستخرج له العظم بأسنانه، ثم نظر إليه فذرفت عيناه، فقال له ابنه: يا أبت أتبكي وأنت الذي تقول: إن هذا خيرٌ لك؟ فكيف يكون هذا خيراً لي وقد نفِدَ الطعام والماء، وبَقيتُ أنا وأنت في هذا المكان؟ فإذا ذهبتَ وتركتني على حالي هذه ذهبتَ بهمٍّ وغَمٍّ مابقِيت، وإن أقمتَ معي متنا جميعاً. فقال له: يابني، أمّا بكائي فهو رِقَّةُ الوالدين، وأما ماقلت ، فكيف يكون هذا خيراً لي؟ فلعل ماصرُف عنك أعظمُ ممَّا ابتليتَ به، ولعلَّ ماابتليت

به أيسرُ مما صرُف عنك.

ثم نظر أمامه فلم ير ذلك الدخان والسواد اللذين كانا قد رآهما أولاً، وإذا بشخصٍ أقبل على فرسٍ أبلق، عليه ثيابٌ بيض وعمامةٌ بيضاء يمسح الهواء مسحاً، فلم يزل يرمقُهُ بعينه إلى أن صار قريباً منه، فتوارى عنه ثم صاح به قائلاً: أنت لقمان؟ فقال له: نعم. فقال: أنت الحكيم؟ فقال له: كذلك الناس يقولون. فقال له: وما الذي قاله لك ابنك؟ فقال له: ياعبدَالله من أنت؟ أسمع كلامك ولا أرى وجهك. فقال: أنا جبريل قد أمرني ربّي بخَسْف هذه المدينة، ومَن فيها، أي لأمْرٍ استوجب ذلك، ثم إني أخبرت بأنكما تريدانها فدعوتُ ربّي أن يحبسكما عنها بما شاء. فحبسكما بما ابتُلي به ابنك، ولولا ذلك لخُسف بكما مع من خُسف بهم. ثم مسح عليه السلام بيده على قدم الغلام فاستوى قائماً، وحملهما وحماريهما وزجل بهما كما يزجل الطير، فإذا هما في الدّار التي خرجا منذ أيام وليالي منها.

قلت: أما رؤيتهما المَلَك فلها نظيرٌ في الأحاديث الصحيحة الكثيرة بما يُغني عن البيان أن رؤية الملائكة لغير الأنبياء جائزة على غير الصورة الأصلية. وأما القصة فالله أعلم بها.

* * *

من صان عرض الناس صان الله عرضه:

قيل كان رجل يرقي الناس فأتَتْه امرأة جميلة، فقبض على يدها. وكان ساقٍ يسقي ماءً لبيته، فخرجَت زوجة الشيخ لتأخذ الدَّلْوَ فقبض الساقي على يدها، فذكرت ذلك لزوجها، فلامه وعنَّفَه فقال له الساقي: دقَّة بدقَّة، ولو زِدْتَ لزاد السقّا.

* * *

العِرض أغلى من المال:

كان رجل مشهور بالأمانة يقال له الحاج أسعد دياب، أتاه رجل زمن الحجِّ يريد أن يضع عنده أمانة مئتي ليرة ذهباً، فدخل إلى دكانٍ لصيقٍ لدكانه خطأً وأعطاه الأمانة على ظنِّ الزُّهد، وذهب إلى الحج، فلما قضى حجَّه أتى إلى الحاج أسعد وقال له: أريد الأمانة. فقال له الحاج أسعد: وأيُّ أمانة؟ قال له: مئتا ليرة ذهباً عثمانياً أدَّيتُها لك قبل ذهابي إلى الحج. فنظر متعجِّباً ثم قام وأدّاها له. وبينا هو ذاهب إذْ رأى صاحبه الأول فقال له: ألا تأخذ أمانتك التي أودعتَها عندي. قال: وأي أمانة؟ لقد أخذتُها. قال له: كلا، هي لم تزل عندي. فرجع فأعطاها له، ثم عاد الحاج وأرجع الدراهم إلى الحاج أسعد وقال له: وكيف أعطيتني ذلك ولم يكن لي عندك شيء؟ قال: خفت أن تقول بين الناس أكل فلانٌ وديعتي، فتفسد سمعتي وأنا بريء فاشتريت عِرضي بمالي.

* * *

الأدب مع الله:

قال تعالى: ﴿أفرَأَيْتُم ماكُنْتُم تَعبُدُون * أنْتُم وآباؤُكُمُ الأقْدَمُون * فإنَّهم عَدوٌّ لي إلا ربَّ العالمينَ * الذي خلَقَنِي فَهُو يهْدِينِ * والذي هو يُطْعِمُنِي ويَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٩].

فأعلمَ إبراهيم أنّ الذي أمرض هو الذي يَشفي وهو الله تعالى، ولكن نسب المرض إلى نفسه حيث لم يقل: وإذا أمرضني، والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما من الله تعالى رعاية حسن الأدب في العبارة. كما قال الخضر عليه السلام في العَيْب: ﴿فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها﴾ [الكهف: ٧٩] وفي الخير: ﴿فأرَادَ ربُّك أنْ يَبْلُغَا أشُدَّهما ويَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُما﴾ [الكهف: ٨٢] وكذا الجنّ راقبوا هذا الأدب بعينه حيث قالوا:

﴿وأنَّا لاندري أشرٌّ أُريدَ بمن في الأرضِ أمْ أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً﴾ [الجن: ١٠]

* * *

تأديب الزوجة:

قيل إنَّ رجلاً طلب من سليمان عليه السلام أن يعلِّمه لغة الحيوانات، وألحَّ عليه، فأجابه بشرط أن لايُفشي سرَّ علمها لأحدٍ، وإن علم أحدٌ به فإنه يموت. فرضي، فذهب مرّةً إلى الفِلاحة مع ثوره، ثم عاد في المساء فقال الثور للحمار: لقد كدتُ أموتُ اليوم من التعب. فقال له الحمار: لاتأكلْ علفك غداً فيظنُّك صاحبك مريضاً فلا يأخذك. ففعل، فأخذ صاحبهما الحمارَ بدله. فلما عاد في المساء كاد أن يموت من تعبه. فقال للثور: لقد سمعتُ صاحبك يقول: إن الثور مريض فنذبحه ونبيعه قبل أن يموت. وكلُّ ذلك وصاحبهما يضحك ضحكاً عظيماً على محاورتهما، فقال الثور: كيف أعمل؟ قال: كُلْ علفك اليوم بشهيّة، وكلما يأتيك بعلف فكلْه فتنجو. ففعل الثور ذلك، فأخذه صاحبه للفلاحة وهو يضحك، فقالت له امرأته: ممَّ تضحك؟ لابدَّ أنك متزوج. فقال لها: لا. قالت له: ماسببُ هذا الانبساط الزائد، إلاَّ أنَّك متزوج بفلانة، أو تقول لي عن السبب. وبعد أن طال الجدال وملَّ عيشه عزم على إفشاء السرّ والموت، وبدأ يوصي ويهيِّئ أسباب الموت. وعنده دجاج، فصار الديك يفرح ويمرح ويصيح. قال له الحمار: ويلك أنت تفرح وصاحبك يموت؟ قال: نعم. قال: ولم؟ قال: أنا عندي عشرون دجاجة ولاتجرؤ واحدة منهنَّ على مخالفتي، وهو لم يقدر على واحدة فقط، فليْمت قليلُ الحكمة مثل هذا. قال له: ويلك ما أقساك كيف العمل؟ قال: فليفش لزوجته سرَّ العصا فتكون كإحدى دجاجاتي. فسمعهم صاحبهم، فأخرج العصا. وقال لزوجته: هذه السبب في ضحكي. ونالها بالضرب حتى رجعت.

* * *

لاتطيعوا النساء وخالفوهن:

قال تعالى : ﴿ياأيُّها الذينَ آمَنُوا إنَّ مِنْ أزْوَاجِكُم وأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لكم فاحذَرُوهُم﴾ [التغابن: ١٤].

حكي أن خسرو كان يحب أكل السمك، فكان يوماً جالساً في المنظرة وشيرين عنده، إذ جاء صياد ومعه سمكةٌ كبيرة، فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقالت شيرين: بئسما فعلت، لأنك إذا أعطيت بعد هذا أحداً من عسكرك هذا القدر احتقره وقال: أعطاني عطيَّة الصياد. فقال خسرو: لقد صدقتِ، لكن يقبُح على الملوك أن يرجعوا في عطيَّاتهم. فقالت شيرين: تدعو الصياد وتقول له: هذه السمكة ذكر أو أنثى؟ فإن قال ذكر فقل إنما أردنا أنثى، وإن قال أنثى فقل إنما أردنا ذكراً، فنودي الصياد فعاد، فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أو أنثى؟ فقال: هذه السمكة خنثى، فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى، فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب معه، وحملها على كاهله وهمّ بالخروج، فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصيادُ الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه، والملك وشيرين ينظران إليه، فقالت شيرين: أرأيت إلى خسة هذا الرجل وسفالته، سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه، ولم يسهُل عليه أن يتركه، فغضب الملك وقال: صدقت ياشيرين. ثم أمر بإعادة الصياد فقال: يادنيء الهمَّة لست إنساناً، ماهذا الحرص والتهالك على درهمٍ واحد؟فقبَّل الصياد الأرض وقال: إني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي، وإنما رفعتهُ عن الأرض لأنّ على أحدِ وجهيه اسمَ الملك وعلى الآخر صورته، فخشيت أن يأتي أحدٌ بغيرِ علم، فيضع عليه قدمَه، فيكون ذلك استخفافاً بالملك وصورته، فتعجَّب خسرو من كلامه، فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وكتب وصيةً للناس بأن لاتطيعوا النساء أصلاً، ولاتعملوا برأيهن قطعاً.

السبق إلى الإسلام عز في الدنيا والآخرة:

روي أنّ عدَّة من الناس اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه، فخرج الإذن لبلال وصهيب، فشقّ على أبي سفيان فقال لسهيل بن عمرو: إنما أُتينا من قِبَلنا، فإنهم دُعوا ودُعينا - يعني إلى الإسلام - فأسرعوا وأبطأنا.

وهذا باب عمر، فكيف التفاوت في الآخرة؟ ولئن حسدتموهم على باب عمر فما أعدّ الله لهم في الجنة أكثر.

* * *

الثناء على المودّة:

قال سقراط: أثن على ذي المودَّة خيراً عند مَنْ لقيت، فإنَّ رأس المودَّة حسنُ الثناء، كما أنّ رأس العداوة سوء الثناء.

* * *

الأمن مع الصديق:

وعنه: لاتكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، فكيف إذا لم يأمنك صديقك؟

* * *

حكمة لقمان في ثماني كلمات:

﴿**ولقد** آتينا لقمان الحكمة﴾ (لقمان: ١٢).

قال لقمان: خدمتُ أربعة آلاف نبيّ، واخترتُ من كلامهم ثماني كلمات:

إنْ كنت في الصلاة فاحفَظ قلبك، وإن كنت في الطعام فاحفظ حَلْقَك، وإن كنتَ في بيت الغير فاحفظ عينك، وإن كنت بين الناس فاحفَظْ لسانك، واذكُر اثنين وانس اثنين: أما اللذان تذكرهما فالله والموت. وأما اللذان تنساهما فإحسانك في حقّ الغير، وإساءة الغير في حقك.

* * *

رؤيا للمؤلف:

يقول كاتب هذه الحروف: سمعت نداءً في منامي كأنّ الله تعالى يقول لي: ماعبدتني حقَّ عبادتي. فقلت: عبادتي ياربّ أن لامعبود سواك. وأظنه في أحد الربيعين سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف. أسأله حسن الختام.

* * *

لما ماتت والدتي كنت صمّمت على إجراء عمليةٍ لها في رقبتها خوفاً من اختناقها بمرض الأدرة الذي ظننا تأثيره على حنجرتها. فاستمهلني الطبيب إلى اليوم الثاني، فرأيت والدي المرحوم بالمنام وقال لي: أخِّرْها إلى الظهر فسترى. ثم رأيتُني في بيت صغير مظلم وكأننا في مأتم، فأصبحت فوجدتها بحالة نَزْع، فما أتى الظهر حتى فارقت الحياة رحمها الله تعالى ورحم والدي.

* * *

لما عزمت على الحج عام ١٩٥٤ رأيت قبل مبارحتي الشام في المنام والدتي في حديقة غناء، حولها الزهور والرياحين ونوافر المياه في بركة، وهي قاعدة على كرسي عال. فودَّعتها، وكنت أَنَبْتُ رجلاً يحجُّ عنها، وقيل لي: الحق القطار فقد كاد يسير. فأسرعت حتى لحقته.

ولما عدت من الحج رأيتها في المنام واقفة على باب الجنة، تريد الدخول إليها، وكأني والله أراها الآن، وهي طويلة جداً وأنا أقصر منها بقليل لكنها بجمال لايوصف، وباب الجنة مغلق بمصراعين مكلّل بأنواع الحُلِيِّ ومزركش بأجمل زينة. وسألتها عن حالها فلم تزد على قول: والله يابني شي بخوِّف، والله يابني شي بخوِّف. وهي تكرِّرها؛ ثم انتبهت وعلمت بأن الله تقبَّل الحجَّ عنها بمنِّه وكرمه، ووثقت بعفو الله ورحمته وإحسانه لأمثالنا المذنبين المقصِّرين، أسأله تعالى حسن العفو والعافية والختام، وأن يجمعني بوالديّ وأولادي وذريّتي تحت لواء سيد المرسلين ﷺ آمين.

* * *

ورأيت فيما يرى النائم وكنت أقرأ قصَّة صاحب الرس[1] ، فرأيت أني هو وصرت المقبور،وأني إذا نزلت في البئر وألقوا علي حجارة فإني أصبر لأمر الله سبحانه وتعالى . ثم تفكَّرت وقلت : أنا اسمي أبو اليسر وليس اسمي حنظلة ، وإن حنظلة نبي وأنا لست نبياً ، وحنظلة يأتيه وحي وأنا لايأتيني فمن أين هذا؟ فأنا لست حنظلة . ثم انتبهت بعد أذان الفجر وقبل طلوع الشمس وأدركت الصلاة .

* * *

رأيت فيما يرى النائم لما كنت أشك أني متوضئ أو طرأ على وضوئي ناقض أثناء اليقظة وجبريل عليه السلام يقول لسيد العالمين عني وأنا أسمع كلامه ولاأرى شخصهما والنبي ﷺ يقول له : فليصلِّ إماماً فإنَّ معه آثار وضوء ، فلْيصلِّ إماماً فإنَّ معه آثار طهارة .

الشيخ الطبيب أبو اليسر عابدين

* * *

---

(١) صاحب الرسّ: هو نبي أرسله الله إلى قوم من بقايا ثمود بعدما مات ملكهم الذي كان عادلاً حسن السيرة، وكانوا قد أحبوه لعدله فيهم، فأتى الشيطان فدخل جثته بعد موته، فكلمهم وقال: إني لم أمت، ولكني قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي. فنصبوه صنماً يعبدونه. فأرسل الله لهم نبياً اسمه حنظلة بن صفوان أخبرهم بحقيقة الصنم، فقتلوه وطرحوه في رَسّ، وهو بئر كانت في بلاد عدن، فحلّت عليهم النقمة. انظر روح البيان ٥/ ٧١٠ في تفسير سورة ق، الآية (١٢).

المحتوى